

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU 190010

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب
خَطِّ الشَّيْخِ

.....

الجزء الاول

.....

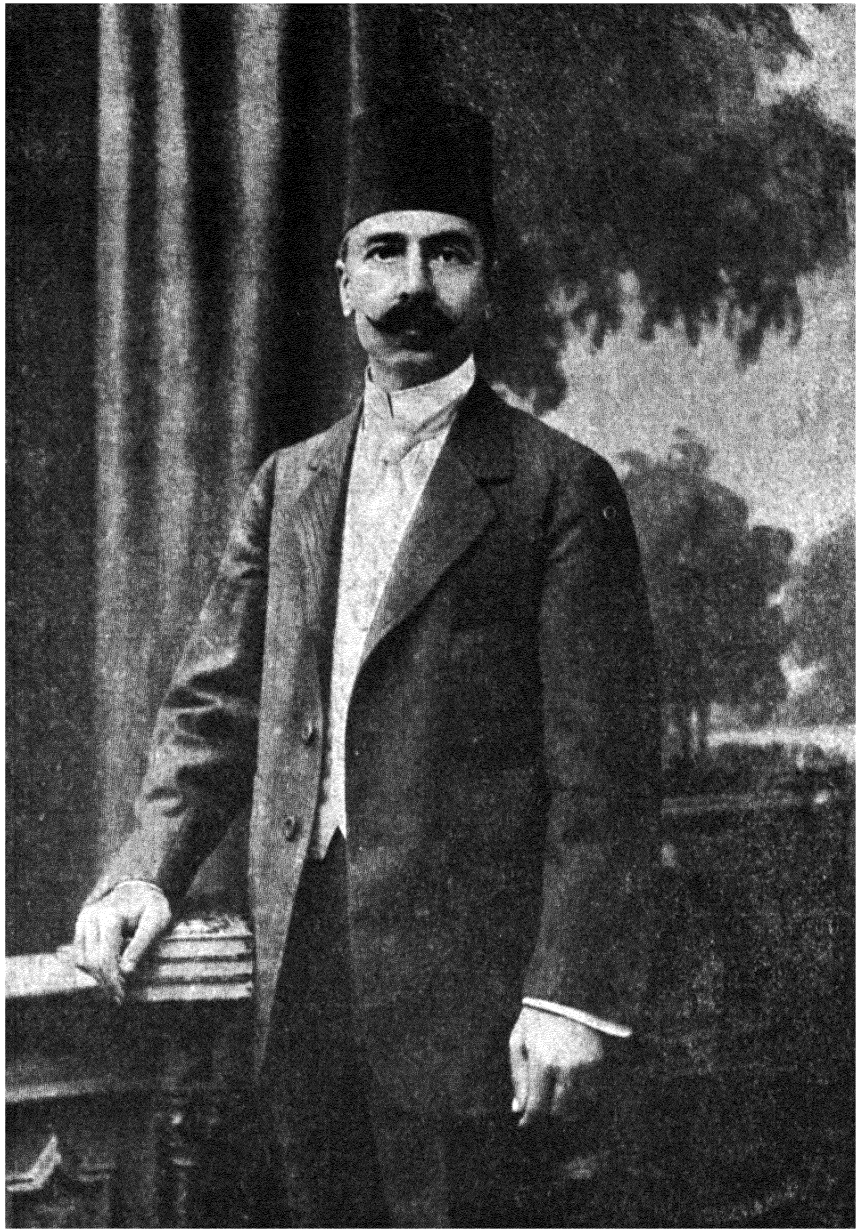
تأليف

محمد علي

رئيس المجمع العلمي العربي

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

طبع في المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ و ١٩٢٥ م



صديقي الابير العلامة العامل احمد تيمور باشا حفظه الله :

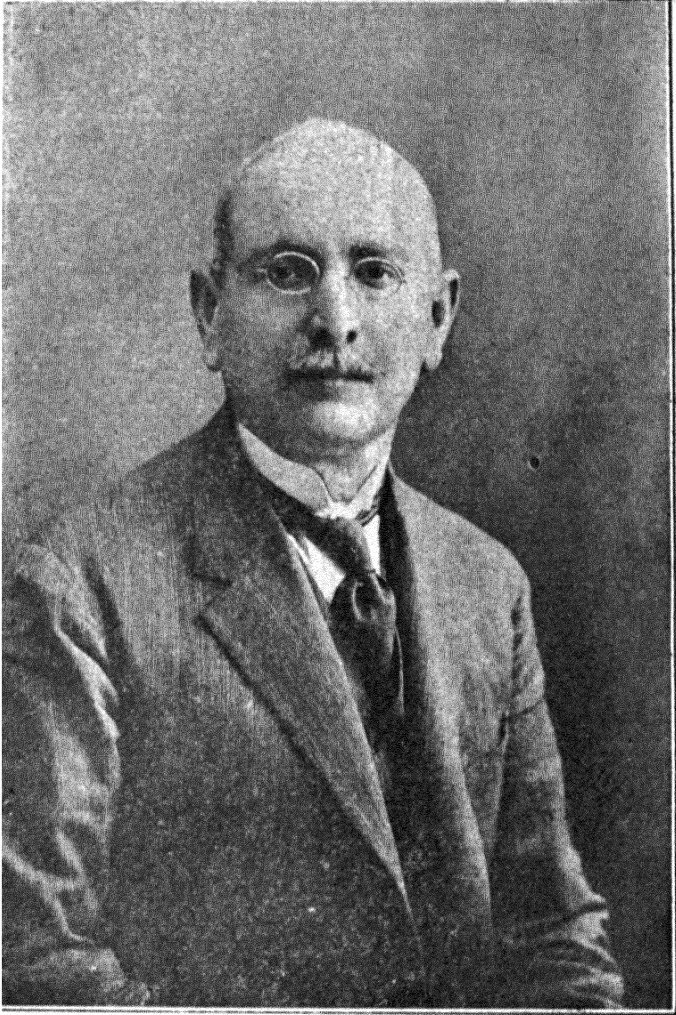
رأيتك بعد عالمي مصر والشام ، ومنحرف العرب وحجة الاسلام ، استاذينا المعظمين
الشيخ محمد عبده والشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله ، فرداً في المعاصرين من بني
قومي ، باخلاقك الطهر ، وعلومك الغر ، وحرصك على نشر آثار السلف ، ونفايك
في ثقيف عقول الخلف .

ولقد أوليت كتاب « خطط الشام » من معارفك وعوارفك وهو لم يبرح
علم الله غرساً ضئيلاً ، فلما ان اوراق عوده ، واطعمت شجرته ، كانت خزانة علم
الاعلام في عاصمة النيل ، أحق ان تهدي اليها ثمرة طاب التوفر على تعهدها
في جنات دمشق .

لم نفتأ تبث همي على العمل ، وتأخذ بيد عجزتي لاقوى على اخراج هذا السفر
للناس ، فالآن وقد تحققت الاماني بفضل وزد في الاحسان ، وأقتطع من وقتك
الثلثين ساعات ترشدني بها الى مواطن الضعف منه ، فلقلدني من مننك اللاحقة ،
قلادة فوق قلائدك السابقة .

واني لمعترف بقصورني عن وفاء حق مروءتك ووفائك ، في زمن قل فيه أهل
المروآت الاوفياء ، ممن لا تبطرم المظاهر الغرارة ، ولا تسكرهم النعم الدارة ،
ولا تعبرهم اهواء البيئات والاجواء .

اعز الله بجزائرك دولة العلم والادب ، وعلم العاملين من اخلاصك ما يستعيدون
به عزّة العرب ، وأقال هذه الأمة المحبوبة عثرات الليالي ونزوات الايام ، وقبض
لها من ينعشها بالعلم من تشتت الكفة والتواء الاعلام ، ليعلو في المجتمع الانساني
سعدھا ، ويرتفع في أم الحضارة الحديثة مجدها ، بجوله وطوله .



محمد كرد علي

صدر الخطط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عونك اللهم بالطيب



نشرت عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) في مجلة المقتطف تسعة فصول في «عمران دهنق» صادفت استحسان بعض من قرأوها من خاصة الباحثين ، وجهور المطالعين ، فوقع في النفس يومئذ ان اتوسع في هذا البحث ، وادرس عمران الشام كله ، لان صورة العاصمة وحدها لا تكفي للدلالة على حالة القطر ، ومن الاشراف على الاطراف ، قد تعرف صحة الجسم عامة والقلب خاصة ، ومن اهم بالجزء كان حرباً ان يضاعف العناية بكل .

فشرعت من ثم اتصفح كل ما ظفرت به من المخطوطات والمطبوعات باللغات العربية والتركية والافرنسية ، وقصدت دور الكتب الخاصة والعامة في الشام ومصر والمدينة المنورة والاسنانه ورومية وباريز وندرا واكسفورد وكبرديج وليدن وبرلين ومونيخ ومجريط والاسكور بال . وكنت كلما استكثرت من المطالعة ، نفخى امامي صعوبة العمل ، هذا مع ما قام في سبيل نشر هذا المجموع من العقبات ، منذ وطدت العزم على وضعه ، وما نالني من الكوارث في العهد الماضي . ولكن الشقاء قد يأتي بسعادة ، ورب ضرر اعقب خيراً . فان التضييق عليّ نشأ منه اضطراري الى الارتمال غير مره ، فأخذت اسفري المعالم والجاهل في هذا القطر ، ونزلت على ام كثيرة في بلاد الغرب ، فاستفدت من ثقلي بعض ما عندهم من اسفارنا وآثارنا ، وقابلت عن أم بين عمراننا وعمرانهم ، وجودنا اليوم وحركتهم .

رحلت الى اوربا ثلاث رحلات ، ابحت في دور كتبها عن المخطوطات التي يرجح ان يكون اصحابها قد تعرضوا لحوادث هذا القطر ، وزرت اصقاع الشام لا قبائل بين حاضره وغايه ، ولما نسجت بأخرة ما جمعت ، قدمت له مقدمة في بيان ما تشترك فيه بلاد الشام عامة من المظاهر والاضاع ، ثم تكلمت على كل مدينة وبلدة وقرية ومزرعة وجبل وواد ونهر وبحيرة وخليج وجون ، ورتبت ذلك على حروف المعجم ليسهل الرجوع اليه ، ويكون دليلاً للقريب والبعيد ، وسميته « خطط الشام » واعني بالشام البلاد التي تتناول ما اصطلاح العرب على تسميته بهذا الاسم ، وهو القطر الممتد من عريش مصر الى الفرات ، ومن سفوح طوروس الى اقصى البادية ، اي سورية وفلسطين في عرف المتأخرين . ويراد بالخطط كل ما يتناول العمران ، والبحث في تخطيط بلد بحث في تاريخه ^(١) وحضارته .

اول من هسلف في الخطط واستقصى فيها على ما علمنا الحسن بن زولاق المصري (المتوفى سنة ٣٨٧) وقال المقرئزي (المتوفى في سنة ٨٤٣) ان اول من صنف فيها ابو عمر بن يوسف الكندي ، ثم القاضي ابو عبدالله محمد بن سلامة القضاعي (٤٥٤) ، والذي انتهى اليها كتاب خطط مصر للمقرئزي المنوه به ، وهو اجمل مثال في باب الاجادة في التأليف . ولم نعلم ان احداً من المتقدمين كتب على الشام وخططه ، وكتب بعض المتأخرين في موضوع خاص و بلد معين . وما خطط الشام في الحقيقة الأزبدة لوقائع والكوائن ، واخبار الصعود والتدلي ، والمظاهر الغربية التي ظهرت بها هذه الديار ، في غير الاعصار ، مقتبساً ذلك مما ابقته الايام مكتوباً او مطبوعاً على ورق ، او منبوراً على حجر وآجر و بردني ورق .

(١) قال العلامة البيروني : التاريخ هي مدة معلومة من لدن اول سنة ماضية كان فيها مبعث نبي بآيات وبرهان ، او قيام ملك ميسلط عظيم الشأن ، او هلاك أمة بطوفان عام محزب ، او زلزلة او خسف مبيد ، او وباء مهلك ، او قحط مستأصل ، او انتقال دولة ، او تبدل ملة ، او حادثة عظيمة من الآيات السماوية ، والعلامات المشهورة الارضية ، التي لا تحدث الا في دهور متطاولة ، وازمنة متراخية ، تعرف بها الاوقات المحددة ، فلا غنى عنه في جميع الاحوال الدنيوية والدينية .

لاجرم ان موضوع الخطط موضوع جليل ، نتمين الاحاطة به على كل من يجب ان يعرف بلاده ليخدمها ، ويستفيد منها ، واحق الناس بمعرفة بلد اهلهم وجيرانهم . ومن لم يرزق حظاً من الاطلاع على ما حوى موطنه من الخيرات ، وما اتاه اجداده من الاعمال ، لا ينهض بما يجب عليه ليؤثر الاثر النافع في الحال والمآل ، وامن اجدو من الابناء والاحفاد ، بالرجوع الى سجلات الآباء والاجداد ، وكيف يجب المرء بلداً لا يعرفه ، ويحرص على سعادته ليسعد هو فيه ، وهو لا علم عنده بما تعاقب عليه حتى صار الى ما صار اليه ، وهل يفهم الحاضر بغير الغابر وهل تنشأ في الامة روح وطنية اذا لم تدرس تاريخها حق الدراسة .

كتب الغريبون في آثار هذا القطر وعمرانه وتاريخه واقتصادياته وعادياته اجمالاً من الكتب بلغاتهم ، وقلمنا نشرت كتب جامعة لاحد ابنائنا بلغتنا وعلى نهجنا . واستنفض الغريبون كل بقعة من بقاعنا ، ومدينة من مدننا ، وبادية من بوادينا ، واجادوا وافادوا في وصف مادتها وطبيعتها ومصانعها ، مما يسجل وبالأسف علم بنا ، وجهلنا حتى بأرضنا ، ويكفي ان يقال ان علماء الغرب وسياحهم صنفوا بين سنتي ١٨٠٥-١٩٠٣ م خمسة وتسمين كتاباً فقط في آثار البتراء (وادي موسى) على حين قل جداً في الشاميين انفسهم من زاروا هذه الخرائب المهمة ، ومنهم من لم يسمع باسمها .

اخذت مما ظفرت به من الكتب الافرنجية ، وعُنيت اشد العناية بالرجوع الى ما كتبه الاسلاف في هذا الشأن ، على نفرقه في تضاعيف السطور ، واعتمدت على مؤلفي العرب خاصة لان كل أمة اعرف على الغالب بمجالتها ، فان بحث علماء الافرنج في تاريخ هذا القطر قبل الاسلام ، ونبشوا عادياته ومصانمه ، وحاولوا لغاته ولهجاته ، فتاريخه بعد هذا العهد اقرب الى ان يكون علماً مرجحاً فيه فقد قيل « قتل ارضاً عالمها » .

جاء الكلام ناقصاً في بعض الادوار المتأخرة ونغمي على بعض مواضع مهمة ذات صلة بمدينة الشام والسبب فيه ان المتأخرين زهدوا في التاريخ حتى كادوا

لا يفرقون بينه وبين اقصيص الهجائز ، وموضوعات المخرفين والمخرفين ، من القصاصين والوضاعين ، ما دعا الى العناية بتجريد هذا الكتاب ما امكن من المبالغات والغرافات ، ونخل لباب الوقائع المهمة الثابتة وحذف ما فيه شبهة ، او شائبة غلو ، وان كان منها ما يروق بعضهم ويفكحون بسماعه ، ويطربون لترداده . فحاطبت ما استطمت العقل اكثر من العاطفة ، وعُنيت في قسم التاريخ السياسي ان ابين علل الحوادث ، وتسلسل الكواثر ، ودواعي الاحوال القريبة او البعيدة ، واستخراج النتائج واستنباط القواعد . والتاريخ ريب الحرية لا يتصرف على هوى من يكتبه و يقرأه . ولا على اذواق المعاصرين وميوهم . وما دام موضوعه الاعتبار بالخالي لمعرفة الحالي والآتي فهو جدير بان يتحرى فيه الحق ولا يدون سواء ولا يتناغى بغير الواقع . قال احد العلماء عندما نريد ان نصل الى الحقائق التاريخية ، يجب ان تصحهمنا على ازالة الاوهام ، ونزع الزوان من الاساطير التي تعلق بالوقائع الثابتة القليلة التي وصلت الينا .

كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قوبين ، اما ان يكذبوا فيغضبوا الحق ، او يصدقوا فيغضبوا الخلق ، والعمال والاعيان منهم خاصة . فقد الف مثلاً ابن زوجه ابي عذبة المقدسي المتوفى سنة ٨٥٦ تاريخين مطولاً ومختصراً ، ولما توفي اطلع بعضهم على الكبير منه ، فوجد فيه اشياء توهمها في ثلب اعراض الناس فاعدمه ، وصنف عبد الله البصري من اهل القرن الثاني عشر تاريخاً لهذه البلاد ، فبلغ اعيان دمشق خبره ، ولما هلك دخلوا داره وآلوا ان لا يأذنوا بدفنه او يأخذوا التاريخ الذي وضعه ، فضبطوه واحرقوه على اعين القوم ، مخافة ان نكتشف سيئات بعضهم . والذي ضاع من مده ثات المتقدمين والمتأخرين يعد بالعشرات ، لكثرة الجوائح الارضية والسماوية التي احصايتها . واذا كتب البقاء لشيء مما كتبه المتأخرون فيكون في الغالب الى الزكافة لا تسقط فيه على حقيقة ، وكثيراً ما كانت العقلاء يعلقون على حواشي بعض الكتب تعاليق لحوادث جرت ، وامور اهتم لها الناس وشغلت مجتمهم ، ومن مثل تلك الاوراق ضم هذا السفر جانباً ضمه لبعض اليهود والصكوك .

بمحت جد البحت عما دُون في التاريخ العام او الخاص بتاريخ بلد من بلاد الشام، فرأيت يد الضياع قد غالبها الا قليلاً ، وقد أهمني منها الاطلاع على تاريخ صفد للعثماني وتاريخ البرزالي وتاريخ حلب الكبير لابن العديم وتاريخها لابن ابي طي وتاريخ حمص لابن عيسى ولعبد الصمد بن سعيد واخبار فضاة دمشق للذهبي وتاريخ ابن ابي الدم الحموي وتاريخ قنسرين وتاريخ انطاكية وتاريخ المعرة لابن المهذب والدارس في اخبار المدارس لاحمد بن جمحي الحسيني من اهل المئة التاسعة وتواريخ كثيرة في سير مشاهير الفساحين كتبها أمثالـ ياقوت الحموي وابن شداد وابن واصل وابن حبيب وابن الداية وابن عبد الظاهر وابن تيمية والجريبي والسقلافي ، فلم اظفر بسوكة ورقات من بعضها ، او مختصرات ومنقولات لا تبلى غلة ، حررت بالنقل فنشوهت محاسنها .

* * *

ولقد وددت لما تبسر وضع خطط الشام على هذه الصورة لو ساغ لي ان اصدر عليه زمناً آخر حتى يتم التحقيق فيه على ما يجب عملاً بالحكمة التي تمثل بها التعالي في التيمية قال : « وكما امرته على الايام بصري ، واعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب ، ان اول ما يبدو من ضعف ابن آدم ، انه لا يكتب كتاباً فبهت عنده ليلة ، الا احب في غده ان يزيد فيه او ينقص منه ، هذا في ليلة فكيف في سنين عديدة » ولكن رأيت بعد طول التأمل ان من الحزم الاكفء بما تنبأ في هذه السنين ، والتمحيص ببحر لا ساحل له ، ولطالما ذكرت وانا اغوص في الكتب المختارة التي طالعتها لتأليف الخطط قول المؤرخ (فوستيل دي كولانج Fustel de Coulanges) : ليس التاريخ من العلوم السهلة فلاجل يوم واحد بصرف في التركيب ينبغي قضاء اعوام طويلة في التحليل . على اني لما راجعت مسودات ما صنفت ورأيتني قد تذوقتها فعضمتها ، ايقنت انه لا يتقبل على القراء في الجملة ، فأبرزته خائناً حوادث الايام ، ونزول داعي الحمام ، وانا موقن بان فوق ما طالعت وبمحت غايات ، لم يمكنني الزمان والمكان من بلوغها ، وعسى ان يقوم غيري

بعدي فيتم هذه الخطوط التي رسمتها من بنيان كتاب الخطط ، ويصلح بما يتوفر له من المواد ما ربما وقعت فيه من الغلط والشطط ، واذا حصلت الفائدة من عمل استغرق جلب مادته خمساً وعشرين سنة ، وكأف نعباً ونشباً ، فهو غاية ما اتطال إليه ، والا فهو جهد المقل ، والكمال لله وحده . وكتب في دمشق في اليوم الرابع من شعبان من شهور سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة والف بعد الهجرة بموافقة شباط من شهور سنة خمس وعشرين وتسعمائة والف للميلاد .



مصادر الخطط

- (١) تاريخ دمشق لابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ هـ)
- (٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع للسخاوي (٩٠٣ هـ)
- (٣) انكواب السائرة في اعيان المئة العاشرة للنجم الغزي (١٠٦١ هـ)
- (٤) ذيله المسمى اطف السمير وقطف الثمر من تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر للمؤلف نفسه
- (٥) شذرات الذهب في اخبار من ذهب لعبد الحمي بن العباد (١٠٨٢ هـ)
- (٦) ثمار المقاصد في ذكر المساجد ويوسف بن عبد الهادي (٩٠٩ هـ)
- (٧) كتاب الاعانات في معرفة الخانات له
- (٨) عدة الملمات في تعداد الحمامات له
- (٩) فيرست الكتب الموقوفة له
- (١٠) نشق الازهار في عجائب الامصار لابن اياس (٩٣٠ هـ)
- (١١) عقد الجمان المنسوب لمسعودي وهو للشاطبي (٨٧٢ هـ)
- (١٢) اجزاء من عيون التواريخ للصلاح الكتبي (٧٦٤ هـ)
- (١٣) المشتبه وضماً واختلف صقماً لياقوت الحموي (٦٢٦ هـ)
- (١٤) طبقات النخاة واللغو بين لابن شهية الاسدي
- (١٥) اطبقات الحنابلة لابن رجب (٧٩٥ هـ)
- (١٦) انباء الغمر في انباء العمر لابن حجر العسقلاني ٨٥٢ هـ وهي مسودة المؤلف
- (١٧) الاحكام السلطانية للقاضي ابي يعلى
- (١٨) الانصاف والتخري في دفع الظلم واتجوري عن ابي العلاء المعري لابن العدير (٦٦٠ هـ) فيه نقص في آخره
- (١٩) كتاب المدبجات المسمى بمناوح المادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر لعبد المنعم الجلياني المتوفى

- دار الكتب العربية بدمشق المعروفة
 قديماً بالظاهرية) .
 (٢٨) اجزاء من تذكرة ابن العديم
 (٦٦٦) .
 (٢٩) اجزاء من مسالك الامصار
 لابن فضل الله العمري (٧٤٩) .
 (٣٠) جنى الازهار من الروض الممطار
 للمقريزي (٨٤٥) .
 (٣١) الديق المتألق في محاسن سبق
 للراعي الشهير بان خدا ويردي (١١٦٥)
 (٣٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة
 لعبد الرحمن بن نصر بن عبدالله الشيرازي .
 (٣٣) تحفة الادباء وسلوة الغرباء
 للخياري (١٠٨٣) وهي رحته من المدينة
 الى الشام والروم ومصر .
 (٣٤) حماسة الخالدين لابي بكر محمد
 وابي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدين من
 اهل القرن الرابع .
 (٣٥) زيادات الحقها بعضهم في كتاب
 اخبار الدول وآثار الأول للقرماني فيها
 اخبار الولاة والقضاة بدمشق في القرن
 العاشر والحادي عشر والثاني عشر . (وهذه
 الكتب الثمانية محفوظة في دار الكتب
 المصرية بالقاهرة) .
 (٣٦) نزهة الناظرين واخبار الماضين
- اوائل المئة السابعة .
 (٢٠) مما نقل من كتاب الاعلاق
 الخطيرة في تاريخ الشام والجزيرة لابن
 شداد الحلبي (٦٨٤) .
 (٢١) تحاف المحبين بجواز ما يفعل في
 الخماسين للشيخ ابراهيم الخضيرى الحنفي .
 (٢٢) جزء من تاريخ بدأ من سنة
 اثنتين وتسعين وسبعمائة وانهى باخبار
 سنة ست وخمسين وثمانمائة مخروم اوله ولا
 يعلم مؤلفه كتب سنة ثمان عشرة وتسعمائة
 بقلم محمد بن المرحوم السهني قرقامس العلالي
 امير اخور والده .
 (٢٣) رحلة الشام ومصر والحجاز
 لعبد الغني النابلسي (١١٤٣) .
 (٢٤) ديوان خالد الكاتب (توفي في
 حدود السبعين والمائتين) .
 (٢٥) خلاصة تحقيق الظنون في
 الشروح والتون لجمال الدين محمد الصديقي
 اتمه سنة ١١٨٠ .
 (٢٦) نشر المحاسن اليمانية في خصائص
 اليمن ونسب القحطانية لاحد افاضل (وصاب)
 من بلاد اليمن .
 (٢٧) ست وخمسون رسالته في عقائد
 الدرروز وهي في ثلاثة مجلدات . (وهذه
 السبعة والعشرون مخطوطاً موجودة في

- ابن علي بن سمرة بن الحسن بن الهيثم .
 (٤٦) اخبار ملوك اليمن لقاسم بن
 حسن الجرزموي .
 (٤٧) تاريخ مفيد .
 (٤٨) الاحسان في دخول مملكة اليمن
 آل عثمان لعبد الصمد بن اسماعيل .
 (٤٩) جماهير الانساب لابن محمد
 علي بن غالب الاندلسي .
 (٥٠) غاية الاماني في اخبار القطر
 البهائي ليجي بن حسين .
 (٥١) البدر الطالع بمحاسن من بعد
 القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني .
 (٥٢) ذوب الذهب لمحسن بن حسن
 المنصور .
 (٥٣) مقاتل الطالبين لعلي بن حسين
 الاصفهاني وفي آخره نور العيون في
 سيرة المأمون .
 (٥٤) نسمة السحر بذكر من تشيع
 وشعر لبوسف بن يحيى .
 (٥٥) طرف الاخبار من نتائج الاسفار
 لشرف الدين حسين بن احمد الحيمي .
 (٥٦) تاريخ دولة الاتراك لحسن
 ابن عمر بن حبيب الحلبي .
 (٥٧) نجمات العنبر في القرن الثاني عشر
 لابراهيم الحومسي (وهذه الاربعة عشر مخطوطاً
 في تاريخ من ولي مصر في سالف العصر
 من الخلفاء والسلطين لمري الخنبلي
 الكرمي (١٠٣٣) .
 (٣٧) دمية القصر وعصرة اهل العصر
 لابي الحسن الباخري (٤٦٧) (وهذان
 المخطوطان في المكتبة الخالدية بالقدس) .
 (٣٨) تاريخ الاسلام الكبير للمحافظ
 الذهبي (٧٤٨) (في المكتبة الاحمدية بحلب)
 (٣٩) النجوم الزواهر في معرفة الاواخر
 للبودي الدمشقي من اهل القرن التاسع .
 (٤٠) الزبد والضرب في تاريخ حلب
 لرضي الدين محمد بن ابراهيم الخنبلي (٩٧١) .
 (٤١) غربال الزمان المفتوح بسيد ولد
 عدنان اختصار يحيى بن ابي بكر العامري من
 تاريخ الامام اسعد الياني مرتب على السنين
 فيه التراجم والوقائع الى سنة ٧٧٠
 (٤٢) أيمان العرب لابي اسحق
 النخعي (من اهل القرن الرابع) .
 (٤٣) مخدرات القصور لابن قطري
 الجيبي (٨٩٨) (وهذه المخطوطات
 الخمسة محفوظة في مكتبة شيخ الاسلام
 عارف حكمت في المدينة المنورة) .
 (٤٤) قررة العيون في تاريخ اليمن
 للميمون للربيع الزبيدي .
 (٤٥) طبقات فقهاء جبال اليمن لعمرو

- القرن الحادي عشر واول القرن الثاني عشر
 (٦٨) التيسير والاعتبار والتحرير
 والاختبار لمحمد الاسدي من اهل القرن
 التاسع .
- (٦٩) زلازل دمشق بدون ذكر
 اسم المؤلف وصف زلزال سنة ١١٧٣
 (٧٠) تحفة ذوي الالباب فيمن حكم
 دمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصالح
 الدين خليل بن ابيك الصفدي (٧٦٤) .
- (٧١) الطالع السعيد الجامع لاسماء
 الفضلا والرواة باعلى الصعيد لجعفر بن
 تعلقب الادفوي (٧٤٨) .
- (٧٢) الجزء الثامن والثلاثون من
 تذكرة الصلاح الصفدي .
- (٧٣) ذيل الدرر الكامنة لابن حجر .
- (٧٤) رحلة الامير يشبك الدوادار
 من مصر الى الشام في سنة ٨٧٥ للشمس بن
 اجا الحلبي (٨٨١) .
- (٧٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ
 لشمس الدين السخاوي (٩٠٢) .
- (٧٦) بلوغ المنا في تراجم اهل الغنا
 لمحمد بن احمد الكنجي العسروفي (١١٥٠)
- (٧٧) طبقات المهندسين في الاسلام
 لاحمد تيمور باشا .
- (٧٨) التصوير عند العرب له ايضاً
- في خزنة علي اميري افندي في الاستانة .
 (٥٨) حوادث دمشق اليومية من سنة
 ١١٥٤ - ١١٧٦ لابن بدير الحلاق .
 (٥٩) نوادر المخطوطات في دور
 الكتب بمصر والشام والاستانة من كناش
 الشيخ طاهر الجزائري (١٣٣٨)
- (٦٠) بعض تعليقات من كنياته
 الكبير ايضاً (وهذه من كتب الشيخ طاهر
 الجزائري بدمشق) .
- (٦١) كنهز الذهب لابي ذر احمد
 الشهير بسبط ابن العمري (٨٨٤) وهو ذيل
 على الدر المنتخب لسيح الجبريني (٨٤٣)
- (وهذا ذيل على تاريخ حلب لابن العدي) .
 (٦٢) قطعة من كتاب الجامع المختصر
 لابن الساعي (٦٧٤) .
- (٦٣) نصاب الاحتساب لعمر بن محمد
 ابن عوض التامي (النسامي او السنامي)
 تم في سنة احدى وسبعين ومائة والف
 (٦٤) اجزاء من الوافي بالوفيات
 للصلاح الصفدي .
- (٦٥) الذيل على الروضتين لابي شامة
 (٦٦) ذخائر القصر في تراجم نبلاء
 العصر لابن طولون (٩٥٣) .
- (٦٧) كناش الشيخ اسمعيل الحاسني
 الدمشقي وفيه حوادث وقعت في اواخر

(٨٥) تاريخ في ١٤٠ صفحة منصفة القطع ناقص كراساً من الاول أرخ فيه مؤلفه من ابتداء العالم الى زمن قايتباي سنة ٨٧٢ وعليه حواش لمحمد الاكمل بن مفلح (١٠١١) .

(٨٦) نذبه الطالب وارشاد المدارس لاحوال مواضع الفوائد بدمشق كدور القران والحديث والمدارس الخ وهو المعروف بالمدارس للنعمي (٩٢٧) .

(٨٧) المعزة فيما قيل في المزة للشمس محمد بن طولون .

(٨٨) الشمعة المضية في اخبار القاعة الدهستقية له ايضاً .

(٨٩) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار (وهذه المخطوطات الخمة من خزانة الشيخ عبد الرزاق البيطار بدمشق) .

(٩٠) المنهج الاحمد في تراجم الحنابلة لعبد الرحمن العليمي من اهل القرن العاشر (من مكتبة السيد محمد المبارك بدمشق) .

(٩١) المروج السندسية بتاريخ الصالحية لمحمد بن كنان (١١٥٣) .

(٩٢) الممالك الاسلامية في الممالك السامية له (من مكتبة جامع دومة الشام) .

(٩٣) محاسن الشام للبدرى (من كتب

(٧٩) سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر لدرويش محمد الطالوي المتوفى سنة (١٠١٤) .

(٨٠) اعلام الوري بن ولي من الاتراك بدمشق الكبرى لمحدث دمشق ومؤرخها تميم الدين بن طولون الحنفي الصالحى نقلها صاحب الخزانة التيمورية بالتصوير الشمسي عن مجموعة كبيرة لابن طولون ويحظه من خزانة كتب آل الجوهري في نابلس .

(٨١) تحفة الانام في فضائل الشام لجلال الدين البصري الحطيب في جامع بني أمية كتبت سنة (١١٥٩) هـ (وهذه

الاحد والعشرون مخطوطاً في الخزانة التيمورية الموقوفة حديثاً في القاهرة لواقفها احمد تيمور باشا) .

(٨٢) كتاب الحسبة لمحمد بن محمد المعروف بابن الاخوة القرشي كتب سنة ١٣٠٦

(٨٣) قطعة من تاريخ الامو بين من اول خلافة الوليد بن عبد الملك الى

انقراض الدولة العباسية .

(٨٤) الشعور بالعور وهو مجتم المشاهير الذين أصيبوا بفقد احدى باصرتيهم . (وهذه المخطوطات الثلاثة محفوظة في الخزانة الزكية خزانة احمد زكي باشا الموقوفة في القاهرة) .

- (١٠٠) طبقات ائمة القراء للمحافظ ابن الجزري انتهى من تبييضه سنة خمس وتسعين وسبعمائة (من كتب السيد ابي الخير عابدين بدمشق) .
- (١٠١) رسالة الجوامع والمدارس الاول مختصر من كتاب اماكن الزيارات .
- (١٠٢) مختصر تاريخ الاسلام للذهبي (٧٤٨) (كلاهما من كتب السيد محمد هاشم الكتبي بدمشق) .
- (١٠٣) ارسائل القاضي الفاضل (٥٩٦)
- (١٠٤) بهجة الصيانة في عجائب مصر والكتاتنة لاحمد بن محمد القزويني (كلاهما في خزانة كتب الجامعة الاميركية في بيروت) .
- (١٠٥) ذيل التمتع بالاقران لابن طولون (٩٥٣) .
- (١٠٦) رحلة البطريرك مكاريوس ابن الزعيم الحلبي .
- (١٠٧) تاريخ ميخائيل مشاقفة (١٣٠٦) وفيه حوادث أسرته وما جرى في لبنان وبلاد الشام في عهده وبعضها مما حذف من النسخة المطبوعة المحرفة المبذلة (وهذه الثلاثة المخطوطات من كتب البطريرك السيد غريغوريوس حداد بدمشق) .
- (١٠٨) نبذة في ذكر من تولى القضاء الامير عبد الله باشا الحسيني بدمشق) .
- (٩٤) مختصر الدارس للعلوي (٩٨١) .
- (٩٥) التحفة الظريفة المسماة بمجموعة الحكيم للسيد حسن بن السيد عثمان الحكيم جمعها سنة ١١٨٨ (من كتب عبد القادر بك المؤيد) (١٣٣٩) بدمشق .
- (٩٦) ديوان النصائح الكافية لمحمد المحافظ النجار من اهل القرن الثاني عشر (من كتب غالب بك الزائق بدمشق) .
- (٩٧) تاريخ دول الاعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الزمان لشهاب الدين احمد المقدسي المشهور بابن زوجة ابي عذبية (٨٥٦) (من كتب ابي السعود افندي الحسيني بدمشق) .
- (٩٨) الاشارات الى اماكن الزيارات للشيخ احمد الصباغ وذيله بتراجم بعض المشاهير من كتاب الزيارات لشيخ الاسلام محمود العدوي .
- (٩٩) المنقح من تاريخ الاسلام للمحافظ ابي عبد الله الذهبي مع ما اضيف اليه من تاريخي عماد الدين بن كثير وصلاح الدين الكتبي وغيرها انقاه لنفسه ابوبكر ابن قاضي شهبة الاسدي المتوفى سنة ٨٥١ وهو من سنة احدى وثلاثمائة الى سنة خمسين واربعائة والغالب انه جزء من تاريخه

- بدمشق الشام نقلت من كتاب تزهة الخطاطر
وبهجة الناظر لشرف الدين موسى بن
جمال يوسف بن ايوب الانطاكي الدمشقي
(في خزنة كتب الآباء اليسوعيين في
بيروت) .
- (١٠٩) التذكرة الكمالية لكامل
الدين الغزي (من كتب احفاد المؤلف
بدمشق) .
- (١١٠) ذيل الكواكب السائرة لنجم
الغزي « من مكتبة اسماعيل افندي الغزي
بدمشق » .
- (١١١) اجزاء من عيون التواريخ
للعلاص الكتي « من مكتبة وجيه افندي
الكيلافي بدمشق » .
- (١١٢) الدرر الكامنة في اعيان المئة
الثامنة لابن حجر المسقلاني (٨٥٢) للشيخ
اسماعيل الميداني بدمشق «
- (١١٣) كتاب حوادث يومية من
سنة ٩٨٥ الى سنة ١٠٠٦ نقل سنة ١١٠١
من خط محمد بن داود المقدسي الدمشقي
« من كتب نسيب افندي حمزة بدمشق »
- (١١٤) صور الاقاليم لابي زيد احمد
ابن سهل البلخي (٣٢٣) « من خزنة كتب
السيد كاظم الدجبل في بغداد » .
- (١١٥) المنهج الاحمد في تراجم
- اصحاب الامام احمد لعبد الرحمن العليمي
من اهل القرن العاشر « من خزنة كتب
السيد محمد المبارك بدمشق » .
- (١١٦) المددش لابي الفرج بن الجوزي
(٥٩٧) « من كتب السيد عبد الباقي
الحسني (١٣٣٥) بدمشق .
- (١١٧) كتاب في التراجم و بظن
انه جزء من طبقات الحنابلة « من كتب
الشيخ سعيد الكرعي في عمان » .
- (١١٨) قطعة من تاريخ ابن خلدون الكبير
غير المطبوع نقلها تلميذه محمد بن احمد
ازملاك في وفيها رحلة فيلسوف المغرب من
الديار المصرية الى دمشق لما غزاها
تيمورلنك سنة ٨٠٣ « من كتب محمد
علي افندي مسلم بدمشق » .
- (١١٩) مجموع كتب سنة ١١٠٥
لابراهيم ابن سليمان بن محمد بن عبدالعزيز
الحنفي الجنبيني الاصل الدمشقي الدار « من
كتب رشدي بك الشعبة بدمشق » .
- (١٢٠) نقحة الريحانة لمحمد ابن المحبي
(١١١١) « من خزنة كتب السيد تاج
الدين الحسني بدمشق » .
- (١٢١) حل الرموز في عقائد الدرور
« تأليف سليم افندي البخاري بدمشق » .
- (١٢٢) در الحبب في تاريخ اعيان

- حلب لابن الخنيلي الربيعي التادفي .
 (١٢٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب
 لابن العديم (٦٦٠) .
 (١٢٤) جزء من الدر المنتخب بتكلمة
 تاريخ حلب للجبيري المعروف بخطيب
 الناصرية .
 (١٢٥) تشریف الانام والعصور بسيرة
 الملك المنصور .
 (١٢٦) انباء الغمر في ابناء الغمر
 لاحمد بن حجر المسقلاني كتبت سنة
 ٨١٢ عتمدا عليها اكثر من مسودة المؤلف
 لسلامتها من سقم الخط وخلوها من الغلط
 (١٢٧) نزهة الزمان في حوادث جبل
 لبنان « مجهول مؤلفها » (وهذه المخطوطات
 الستة في دار كتب الامة بباريز) .
 (١٢٨) كتاب الباشات والقضاة بدمشق
 زمن السلطان سليم خان وبعده لمحمد بن
 جمعة المقار (١١٥٦) اوله الباب الرابع
 والخمسون وهو قطعة من كتاب .
 (١٢٩) ايضاح الظلم وبيان العدوان
 في تاريخ النابلسي الخارج الخوان لحسن
 ابن احمد بن عربشاه .
 (١٣٠) تراجم الاعيان من ابنا الزمان
 للحسن البوريني (١٠٢٤) .
 (١٣١) الدر النفيد في مناقب
 الملك الظاهر ابي سعيد كتبت سنة ٧٨٥
 (١٣٢) الكواكب الدرية في السيرة
 النورية بخط محمد المرادي سنة ١١٦٠
 (١٣٣) كتاب واقعة بين خارجي
 الديار المصرية ووزير الشام عثمان باشا .
 (١٣٤) فتوح الشام لابي اسماعيل
 الازدي .
 (١٣٥) تاريخ الحوري ميخائيل بريك
 من سنة ١٧٢٠ م الموافقة ١١٣٢ هـ وفيه
 الاخبار الاخيرة الى سنة ١٢٥٧ هـ .
 (١٣٦) تاريخ الملك الناصر محمد
 ابن قلاوون الدالمي واولاده من سنة
 سبع وثلاثين وسبعائة الى سنة خمس
 واربعين وسبعائة لشمس الدين بن السجاعي
 وهو جزء من اجزا .
 (١٣٧) رسالة فيمن تولى وقضى وافتى
 في مدينة الشام من حين انقضاء دولة
 لجراركة الى سنة الف ومائتين واربعين
 « وهذه المخطوطات محفوظة في دار كتب
 الامة ببرلين والاخير في خزانه جاهتها »
 (١٣٨) النصف الثاني المنتخب من
 تاريخ علم الدين البرزالي (٧٢٨) .
 (١٣٩) غرر السير للمحسن بن محمد
 المزغني .
 (١٤٠) البداية والنهاية لابن كثير (٧٢٤)

- (١٤١) اجزاء من الوافي بالوفيات
 للصفدي .
- (١٤٢) توارينج الحكماء للزوزني .
- (١٤٣) المؤلف واختلف ومثبه
 الشبه لابن نطقه « وهذه المخطوطات
 الستة من خزانة كتب الامير ليوني
 كاتاني في رومية » .
- (١٤٤) تاريخ حكماء الاسلام لظهير
 الدين البيهقي (١٥٧٠) .
- (١٤٥) كتاب نقش فصوص خواتم
 الحكماء واجتماعات الفلاسفة في الاعياد
 ونفاوض الحكمة بينهم .
- (١٤٦) تراجم اعيان الطبقة الاولى
 من القرن الحادي عشر لعبد الرحمن بن
 محمد بن حمزة واسمه الجوهر والدرر في
 تراجم اعيان القرن احادي عشر .
- (١٤٧) تاريخ الامير فخر الدين بن
 معن تأليف احمد بن محمد المدي الصفدي
 من اهل القرن الحادي عشر « وهذه
 المخطوطات الاربعة من مخطوطات
 جامعة مونيخ » .
- (١٤٨) رسالة لابن شداد كتبت
 في القرن الثاني عشر للهجرة .
- (١٤٩) كراستان ثقتنا من خط الشيخ
 حسن البوريني فيها حوادث جرت في
- دمشق من سنة ١٠٢٣ الى ١٠٢٦
 (١٥٠) ذيل مختصر على تاريخ ابن
 العديم في تاريخ حلب .
- (١٥١) ضرب الحوطة على جميع
 القوطة لابن طولون (وهذه المخطوطات
 الاربعة من خزانة كتب جامعة ليون) .
- (١٥٢) سيرة احمد باشا الجزار انتهت
 سنة ١٢٢٥ هـ وفيها ما حدث بعد مماته
 مؤلف مسيحي سوري .
- (١٥٣) الجزء الثالث من تاريخ الام
 للغزالي كلاهما في المتحف البريطاني في
 لندن) .
- (١٥٤) نهاية الرتبة في طلب الحسبة
 سنة ١٣٢٢ من حلب سنة ١٣٢٢
- (١٥٥) عرف البشام فيمن ولي فتوى
 دمشق الشام لخليل المرادي .
- (١٥٦) مجموعة رسائل واوراق عليها
 تعليقات بظن انها لابن آق بهق كتبت
 اوائل القرن الثالث عشر (كلاهما من
 خزانة كتب خليل بك مرادم بك بدهشق)
- (١٥٧) الاعلام في فضائل الشام
 للشيخ احمد العدوي العثماني الشهير
 المديني (من كتب الشيخ توفيق المديني
 بدهشق) .
- (١٥٨) كناشة السيد علي الكيلاني

- الحوي (في خزنة كتب الشيخ عبدالقادر المغربي بدمشق) .
- (١٥٩) حوادث جرت في دمشق بعد سنة ١٢٠١ هـ دونها من لم يذكر اسمه (من كتب السيد مراد انزين بدمشق)
- (١٦٠) النصف الاول من كتاب نزهة الابصار في ذكر الاتالم وملوك الامصار لحسن بن احمد بن علي مطر الشبير بحاكم البقاع انتهى سنة ١٢٤٢ (من كتب السيد عبد النبي القاضي في دمشق) .
- (١٦١) قاموس الصناعات الشامية المسمى بدائع الغرف في الصناعات والحرف للشيخ محمد سعيد القاسمي .
- (١٦٢) تعظيم المشاه في آثار دمشق الشام للشيخ جمال الدين القاسمي . (كلاهما من خزنة كتب الشيخ جمال الدين القاسمي بدمشق) .
- (١٦٣) تاريخ الامم الشرقية للسيد عيسى اسكندر المعروف .
- (١٦٤) تاريخ سورية الجوفية بن تليفه ايضاً .
- (١٦٥) مجموعة تاريخية فيها سير الشيخ طاهر العمر الزيداني بببول مؤلفها ونبذة في سيرته ايضاً لتراج المقدسي .
- (١٦٦) تاريخ سلیمان باشا والي عكا من سنة ١١٩٠-١٢٢٩ هـ لابراهيم العودا اتم كتابته في ٢٧ ذي الحجة ١٢٦٩ هـ (١٨٥٣ م) وهذه المخطوطات الاربعة من خزنة كتب السيد عيسى اسكندر المعلوم بدمشق) .
- (١٦٧) روضة الافكار والافهام لحسين بن غنماء الاحسائي (من كتب الشيخ فوزان السابق)
- (١٦٨) تاريخ المرزولسيد سالم الجنبدي في دمشق مازال بمسودة .
- (١٦٩) تاريخ حمص للسيد عمر الاتابي في حمص لم يرح في مسودته .
- (١٧٠) فضائل الشام وجاهها وما دنف بها من الصحابة والارلياء الكرام بظن انبا لعل بن محمد بن خناع الربيعي كتبت سنة خمس بعد الالف واكملت الورتفات الاوليان بخط سلیمان الحاسني .
- (١٧١) نبهة ذوي الاحشام في فضائل الشام لمحمد بن محمد بن احمد العيشاوي (وكلاهما من كتب الشيخ حمدي المسفرجلاني بدمشق)
- (١٧٢) حدائق الانعام في فضائل وشان الشام لعبدالرحمن بن عبدالرزاق من اهل القرن الثاني عشر .
- (١٧٣) الاشارات في معرفة اثار

- تأليف علي بن ابي بكر الهروي القساري
(كلاهما للسيد اديب نبي الدين في دمشق)
(١٧٤) الجزء الاول من كنوز الذهب
في تاريخ حلب وهو مسودة المؤلف .
(١٧٥) مسودة تاريخ ابي المواهب
ابن ميرو الحلبي المتوفى قبيل تمام امانتين
بعد الالف .
(١٧٦) قطعة من معادن الذهب في
الاعيان المشرفة بهم حلب لابي الوفا بن
محمد العرضي من اهل القرن الحادي عشر
(وهذه الثلاثة اسفار من كتب الشيخ
كامل الغزي في حلب) .

* * *

« المطبوعات العربية »

- (١٧٧) تاريخ ازسل والملوك لابن
جير الطبري (٣١٠) (طبع ايدن)
(١٧٨) صلة تاريخ الطبري لعريب
ابن سعد القرطبي (ايدن)
(١٧٩) تاريخ اليعقوبي (٢٧٨) (ايدن)
(١٨٠) مروج الذهب للمسعودي
(٣٤٦) « باريز » .
(١٨١) البدء والناريخ لمطهر بن
طاهر المقدسي من اهل القرن الرابع (باريز)
(١٨٢) تاريخ سني ملوك الارض
والانبياء لحمة الاصفهاني (نحو سنة
٣٥٠) (ايسيك) .
(١٨٣) ذيل تاريخ دمشق لابن
القلانسي (توفي في عشر التسعين واربعمائة)
ويتلوه نخب من تواريخ الازرقى الفارقي
وسبط ابن الجوزي (بيروت)
(١٨٤) تجارب الامم وتعاقب الحكم
لابن مسكويه (٤٢١) وتليه قطعة من
تاريخ هلال الصابي (٢٤٨) (ايدن)
والقاهرة) .
(١٨٥) العيون والحدائق في اخبار
الحقائق (ايدن) .
(١٨٦) النخري في الآداب السلطانية
والدول الاسلامية لابن طباطبا المعروف
بابن الطقطقي (٧٠١) (غرينزولد) .
(١٨٧) تاريخ الكامل لابن الاثير
(٦٣٠) (القاهرة) .
(١٨٨) المختصر في تاريخ البشر لابي
الفدا (٧٣) (القاهرة)
(١٨٩) تاريخ ابن الوردي (٧٥٠)
(القاهرة)
(١٩٠) تاريخ ابن خلدون (٨٠٨)
(القاهرة)
(١٩١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (كلكوتا)

- (٢٠٥) صفة جزيرة العرب للمهدياني
(٣٣٤) (ليدن)
- (٢٠٦) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لشيخ الربوة شمس الدين الدهشقي
(٧٢٨) (بطرسبرج)
- (٢٠٧) زبدة كشف الملك للظاهري من اهل القرن التاسع (باريز)
- (٢٠٨) آثار البلاد للقزويني (٦١٢)
(غولنغن)
- (٢٠٩) عجائب المخلوقات له (غولنغن)
- (٢١٠) نزعة المشتاق للادريسي (٥٤٨) (رومية)
- (٢١١) كتاب الامكنة والمياه والجمال والآثار ونحوها لابن النخعي نصر بن عبد الرحمن الاسكندراني (٥٦١) (ليدن)
- (٢١٢) فتوح البلدان للبلاذري (٢٧٩) (ليدن)
- (٢١٣) المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب لابن عبد البكري (٤٨٧) (ليدن)
- (٢١٤) كتاب الهواء اي مناخ الاقاليم للاصطخري (غونا)
- (٢١٥) معجم الاستعجم للبكري (غولنغن)
- (٢١٦) مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع لعبد المؤمن بن عبد الحن (٧٣٩) (ليدن)
- (١٩٢) فتوح مصر لابن عبد الحكم (ليدن)
- (١٩٣) تولى سعد الدولة ٣٨١ على حلب (بون)
- (١٩٤) تاريخ الانابكين في الشام لعز الدين ابن الاثير (هايدلبرغ)
- (١٩٥) السفر الرابع من المغرب في حلي المغرب لابن سعيد (٦٧٣) (ليدن)
- (١٩٦) معجم البلدان لياقوت الحموي (ليبسيك) ٦٢٦
- (١٩٧) جغرافية ابي الفدا (باريز)
- (١٩٨) المسالك والممالك لابن حوقل (واسط القرن الرابع) (ليدن)
- (١٩٩) مسالك الممالك للاصطخري (واسط القرن الرابع) (ليدن)
- (٢٠٠) المسالك والممالك لابن خرداذبة في حدود سنة ٣٠٠ (ليدن)
- (٢٠١) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدمي البشاري بعد سنة ٣٧٥ (ليدن)
- (٢٠٢) مختصر كتاب البلدان لابن النقيه (ليدن)
- (٢٠٣) النذبه والاشراف للمسعودي (ليدن)
- (٢٠٤) الاعلاق النفيسة لابن رسته (ليدن)

- (٢٣٠) طبقات الشعراء لمح: بن سلام الجعفي (٣٣١) (ليدن) .
- (٢٣١) طبقات الام لابن صاعد الاندلسي (٤٦٢) (بيروت) .
- (٢٣٢) ریحانة الالباء للخفاجي (١٠٦٩) (القاهرة) .
- (٢٣٣) كتاب الولاة الذين ولوا قضاء مصر للكندي مع ذيله لابي الحسن احمد بن عبد الرحمن بن برد واوصله مؤلف مجهول الى سنة ٤٢٦ (رومية)
- (٢٣٤) كتاب الولاة والقضاة لابي عمر الكندي (٢٤٦) بيروت .
- (٢٣٥) الانساب للسمعاني (٥٦٢) (لندرا)
- (٢٣٦) معجم الادباء لياقوت (القاهرة)
- (٢٣٧) روضة المناظر لابن الشحنة ٨١٥ (القاهرة) .
- (٢٣٨) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب المنسوب لابن الشحنة (بيروت)
- (٢٣٩) تاريخ محبوب بن قسطنطين المنجي (من اهل القرن العاشر للمسيح) (باريز) .
- (٢٤٠) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى (اواسط القرن التاسع) (بيروت)
- (٢٤١) تاريخ مصر لابن اياس (٩٣٠) (القاهرة) .
- (٢١٧) الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري (٢٨٢) (ليدن) .
- (٢١٨) مرآة الزمان ليوسف سبط ابن الجوزي (٦٥٤) (شيكاجو) .
- (٢١٩) السيرة النبوية لابن هشام (٢٣١) (مصر)
- (٢٢٠) طبقات ابن سعد الكبير (٢٣٠) (ليدن)
- (٢٢١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٦٣٠) (القاهرة)
- (٢٢٢) الاصابة في تمهيز اسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢) (كلكته)
- (٢٢٣) طبقات المفسرين للسيوطي (٩١١) (ليدن)
- (٢٢٤) طبقات الحفاظ للذهبي (٧٤٨) (غوننغن)
- (٢٢٥) طبقات الشافعية للتاج السبكي (٧٢٠) (القاهرة)
- (٢٢٦) طبقات الحنفية (تاج التراجم) لفاطم بن قطلوبغا (٨٧٩) (لبسيك) .
- (٢٢٧) طبقات الحنفية للكنوي (١٢٩٣) (الهند) .
- (٢٢٨) طبقات الادباء لابن الانباري (٥٧٧) .
- (٢٢٩) يتيمة الدهر للشعالبي (٤٢٩) (دمشق)

- (٢٤٢) تاريخ الجبرتي (١٢٤٠) « القاهرة »
- (٢٤٣) الانس الجليل بتاريخ القدس
والخليل لمجبر الدين الخنبلي (٩٢٧) (القاهرة)
- (٢٤٤) بغية الوعاة للسيوطي (القاهرة)
- (٢٤٥) حسن المحاضرة في اخبار
مصر والقاهرة للسيوطي (القاهرة)
- (٢٤٦) تاريخ مختصر الدول لابن
العربي ٦٨٥ (بيروت)
- (٢٤٧) اخبار الدول للقرماني
(١٠١٩) (القاهرة)
- (٢٤٨) (خلافة عمر وهشام) (ليدن)
- (٢٤٩) الشروط والعقود السياسية
بين ملوك ايطاليا والسلمين (ايطاليا)
- (٢٥٠) تلقيح فهوم اهل الآثار في
مختصر السير والاخبار لابن الجوزي
(٥٩٧) (برسلاو)
- (٢٥١) السلوك في دول الملوك
لمقرزي (غونفن)
- (٢٥٢) الجزء الحادي عشر من تاريخ
مصنف مجهول ولعله كتاب انساب
الاشراف واخبارهم للبلادري (٢٧٩)
- (غريفزولد)
- (٢٥٣) وصف فلسطين والشام
للادريسي (بون)
- (٢٥٤) رحلة في بلاد الاسلام لمحمد
ابن عبد الله الحسيني الموسوي الملقب
بكبريت (القاهرة)
- (٢٥٥) خلاصة الكلام لزيني دحلان
(القاهرة)
- (٢٥٦) مفردات ابن البيطار (القاهرة)
- (٢٥٧) الآثار الباقية في القرون
الغالية لابي الريحان البيروني (٤٤٠)
(لبيسيك)
- (٢٥٨) المشتبه في اسماء الرجال للحفاظ
الذهبي (٧٤٨) (ليدن)
- (٢٥٩) ميزات الاعتدال في نقد
الرجال للذهبي (القاهرة)
- (٢٦٠) النزاع والخاصم فيما بين بني
أمية وبني هاشم للمقرزي (ليدن)
- (٢٦١) مختصر اخبار الخلفاء لابن
الساعي (٦٧٤) (القاهرة)
- (٢٦٢) تاريخ سلاطين مصر والشام
وحلب وبيت المقدس وامرائها لابراهيم
مغلطاي (ليدن)
- (٢٦٣) مناقب عمر بن عبد العزيز
لابن الجوزي (لبيسيك)
- (٢٦٤) تاج العروس للزبيدي (١٢٠٥)
(القاهرة)
- (٢٦٥) اخبار مصر لابن ميسر (القاهرة)

- (٢٦٦) الافادة والاعتبار لعبد
اللطيف البغدادي ٦٢٩ (القاهرة)
- (٢٦٧) الاعتبار لابن منقذ (ليدن)
- (٢٦٨) تاريخ الوزراء لابي هلال
الصابي ٤٤٨ و يليه الجزء الثامن من كتاب
التاريخ له (بيروت)
- (٢٦٩) عيون الانباء في طبقات
الاطباء لابن ابي اصيبعة (٦٦٨) (القاهرة)
- (٢٧٠) اخبار العلماء باخبار الحكماء
لجمال الدين القفطي (٦٤٦) (ليبسيك)
- (٢٧١) وفيات الاعيان لابن خلكان
(٧٦١) (القاهرة)
- (٢٧٢) فوات الوفيات للصلاح الكتبي
(القاهرة)
- (٢٧٣) طبقات النحويين والمغويين
لابي بكر محمد بن الحسن الزبيدي (رومية)
- (٢٧٤) خلاصة الأثر في تراجم اهل القرن
الحادي عشر للمحيي (١١١١) (القاهرة)
- (٢٧٥) سلك الدرر في اعيان القرن
الثاني عشر للرازي (١٢٣٢) (القاهرة)
- (٢٧٦) تاريخ اعيان دمشق لابن
شاشو (دمشق)
- (٢٧٧) سلافة العصر لابن معصوم
(١١٠٤) (القاهرة)
- (٢٧٨) زبدة النصرة للعماد الاصفهاني
(٥٩٧) (القاهرة)
- (٢٧٩) الفتح القدسي للعماد ايضا (ليدن)
- (٢٨٠) كتاب الروضتين في اخبار
الدولتين لابي شامة (٦٦٥) (القاهرة)
- (٢٨١) سيرة صلاح الدين لابن
شداد (ليدن)
- (٢٨٢) نبذة من كتاب زبدة الحلب
من تاريخ حلب (ليدن)
- (٢٨٣) كتاب التاريخ مما تقدم عن
الآباء لابي افندي بن ابي الحسن السامري
(غوتا)
- (٢٨٤) تاريخ البطريرك افثيشيوس
المكثي بسعيد بن البطريق (٣٢٨) (بيروت)
- (٢٨٥) تاريخ ابي شاکر بطرس
ابن ابي الكرم بن المهذب المعروف بابن
الراهب (بيروت)
- (٢٨٦) النخب لابن منقذ (باريز)
- (٢٨٧) نبذة من كتاب الحراج لقدماء
ابن جعفر (٣١٠) (ليدن)
- (٢٨٨) كتاب الحراج للقاضي ابي
يوسف (١٨٢) (القاهرة)
- (٢٨٩) كتاب الحراج ليحيى بن آدم
القرشي (ليدن)
- (٢٩٠) كتاب الانساب المنققة في
الخط المتماثلة في النقط والضببط لعهد بن

- ظاهر بن علي المقدسي (ليدن) .
 (٢٩١) النكت العصرية في اخبار
 الوزراء المصرية لعامة اليميني (٥٦٩) (باريز)
 (٢٩٢) تكملة ديوان شعر عمارة اليميني
 وترسلاته ومختجات من سيرته واخبار
 معاصريه (باريز)
 (٢٩٣) كتاب التاج في اخلاق
 الملوك للمحافظ (٢٥٥) (القاهرة)
 (٢٩٤) كتاب الاصنام لابن الكلبي
 (٢٠٦) (القاهرة) .
 (٢٩٥) جامع التواريخ المسمى بكتاب
 نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة لابي علي
 المحسن التتوخي (٣٨٤) (القاهرة)
 (٢٩٦) المعارف لابن قتيبة (غوئنفن)
 (٢٩٧) عبون الاخبار لابن قتيبة
 (ستراسبورغ)
 (٢٩٨) المحاسن والمساوي للبيهقي
 (جيسين)
 (٢٩٩) مفاتيح العلوم للخوارزمي (ليدن)
 (٣٠٠) تهذيب الاسماء للتتوخي
 (٦٧٦) (غوئنفن)
 (٣٠١) النجوم الزاهرة في اخبار ملوك
 مصر والقاهرة لابن تعري بردي (٨٧٤)
 «ليدن»
 (٣٠٢) اتعاظ الحنفا للمقرئ يبي
 (٨٤٥) «القدس»
 (٣٠٣) الشمارينغ في علم التاريخ
 للسيوطي (٩١١) «ليدن»
 (٣٠٤) مورد اللطافة فين ولي السلطنة
 والخلافة لجمال الدين ن تعري بردي
 «كبرج»
 (٣٠٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي
 الحديد (٦٥٦) «القاهرة»
 (٣٠٦) النهج السديد والدر الفريد
 فيما بعد تاريخ ابن العميد للمفضل بن ابي
 الفضائل «باريز»
 (٣٠٧) كتاب التقدير في اخبار
 تيمور لان عربتاه «ليدن»
 (٣٠٨) نهاية الارب في معرفة اسباب
 العرب للقلقشندي (٨٢١) «بغداد»
 (٣٠٩) صبح الاعشى في صناعة الانشا
 للقلقشندي ايضا «القاهرة»
 (٣١٠) ادب الكتاب للصولي (٣٣٥)
 (القاهرة) .
 (٣١١) الفهرست لابن النديم (٣٨٥)
 (ليبسيك) .
 (٣١٢) ارشاد القاصد لابن ساعد
 الانصاري (٧٤٩) «بيروت»
 (٣١٣) ايجاد العلوم لصديق القنوجي
 (١٣٠٧) «الهند» .

- (٣١٤) كشف الظنون لكاتب
جليي « القاهرة »
- (٣١٥) كشف اصطلاحات الفنون
للتهانوي « الهند والاستانة » .
- (٣١٦) معالم الكتابة ووفائهم الاصابة
لعبد الرحيم بن شيت من اهل القرن
السادس « بيروت » .
- (٣١٧) حاشية على الدر المختار للسيد
محمد تابدین « القاهرة »
- (٣١٨) الاسعاف في احكام الاوقاف
لبرهان الدين الطرابلسي « القاهرة » .
- (٣١٩) احكام الوقوف والصدقات
للخفاف « القاهرة »
- (٣٢٠) اعلام الموقعين عن رب العالمين
لابن قيم الجوزية . « القاهرة »
- (٣٢١) حجة الله البالغة للدهلوي
« القاهرة » .
- (٣٢٢) رسالة الرد على الباطنية
للغزالي (٥٠٥) « لندن »
- (٣٢٣) غاية الاختصار في اخبار
البهوات العلوية المحفوظة من الغبار لتاج
الدين بن محمد الحسيني « القاهرة »
- (٣٢٤) لب الملباب في تحرير الانساب
للسيوطي « لندن » .
- (٣٢٥) تاريخ المدينة المعروف بوفاء
الوفا للسهمودي « القاهرة »
- (٣٢٦) اخبار مكة للازرق (٢٢٣)
« لبسيك »
- (٣٢٧) المنقح في اخبار ام القرى
وهي منتخب من الفاكي والقاسمي وابن
ظهيرة .
- (٣٢٨) الاعلام باعلام بيت الله الحرام
لقطب الدين النهروالي « ٩٩٠ » « لبسيك »
- (٣٢٩) محاضرة الاوائل ومسامرة
الاواخر لعلاء الدين علي دده السكتواري
البنسوي « القاهرة » .
- (٣٣٠) نهاية الارب في فنون الادب
لنويري « ٧٣٣ » « القاهرة » .
- (٣٣١) رحلة ابن جبیر « ٦١٤ »
« لندن »
- (٣٣٢) رحلة ابن بطوطة « ٧٧٧ »
« باريز » .
- (٣٣٣) خطط المقرزي « ٨٤٥ »
« القاهرة » .
- (٣٣٤) الحسبة في الاسلام لابن تيمية
« ٧٤٨ » « القاهرة » .
- (٣٣٥) الاشارة الي محاسن التجارة
لابي الفضل جعفر بن علي دمشقي « القاهرة »
- (٣٣٦) الامامة والسياسة لابن تيمية
« ٢٧٠ » « القاهرة » .

- (٣٤٨) القول المستطرف في سدر مولانا الملك الاشراف (تورينو)
- (٣٤٩) تاريخ المسلمين من صاحب الشريعة الاسلامية ابي القاسم محمد الى الدولة الاتابكية للشيخ المكين جرجس بن العميد (٦٧٢) ليدن .
- (٣٥٠) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاشكبري ٩٦٨ «القاهرة»
- (٣٥١) مساحة بعض البلاد الجارية في ملك الملك العادل نور الدين ابي القاسم محمود بن زنكي بن آسنقر في سنة اربع وستين وخمسمائة «باريز» .
- (٣٥٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي «القاهرة» .
- (٣٥٣) الكامل للبرد ٢٨٥ «لبسيسك»
- (٣٥٤) الامالي لابي علي الفسالي ٣٥٦ وذيله «القاهرة» .
- (٣٥٥) امالي السيد المرتضى (٤٣٦) «القاهرة» .
- (٣٥٦) امالي ازجاجي ٣٣٨ «القاهرة»
- (٣٥٧) المثل السائر لضياء الدين بن الاثير «القاهرة» .
- (٣٥٨) كتاب الحيوان للمحقق (٢٥٥) «القاهرة»
- (٣٣٧) الاحكام السلطانية للماوردي «٤٥٠» «القاهرة» .
- (٣٣٨) فتوح الشام للواقدي «٢٠٧» «القاهرة» .
- (٣٣٩) الاثافي لابي الفرج الاصبهاني «٣٥٦» «القاهرة» .
- (٣٤٠) الاستبصار في عجائب الامصار وهو مما ألف في سنة ٥٨٧ «فيينا»
- (٣٤١) الفرق بين الفرق لابي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي «٤٢٩» «القاهرة»
- (٣٤٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم الظاهري (٤٥٦) وبهامشه الملل والنحل لابي الفتح الشهرستاني (٥٤٨) «القاهرة»
- (٣٤٣) رسالة الغفران لابي العلاء المعري «القاهرة» .
- (٣٤٤) رسائل ابي العلاء المعري «اكسفورد» .
- (٣٤٥) رسائل ابي العلاء المعري «بيروت» .
- (٣٤٦) كتاب بغداد لابي الفضل احمد بن ابي طاهر طيفور «لبسيسك»
- (٣٤٧) المغرب للجوهري (٥٤٢) «لبسيسك»

- (٣٧٥) تحفة ذوي الارب ومشكل
النسب لابن خطيب الدهشة الحموي (٣٨٤)
« ليدن » .
- (٣٧٦) التعريف بالمصطلح الشريف
لابن فضل الله العمري (٧٤٩) « القاهرة »
(٣٧٧) اخبار الدول المنقطعة لجمال
الدين الازدي الحلبي « اوربا » .
- (٣٧٨) ذكر المعزلة من كتاب المنية
والامل لاحمد بن يحيى المرتضى (حيدر
آباد الدكن)
- (٣٧٩) تاريخ الاسلام للذهبي
(حيدر آباد الدكن) .
- (٣٨٠) تذكرة الحفاظ الذهبي (حيدر
آباد الدكن)
- (٣٨١) معيد النعم ومبيد النقم للتاج
السبكي (ليدن)
- (٣٨٢) تحفة الناظرين فيمن ولي مصر
من الولاة والسلطين لعبدالله الشرفاوي
(١٢٢٧) (القاهرة) .
- (٣٨٣) ترتيب الدول للحسن بن
عبدالله (القاهرة) .
- (٣٨٤) سير الملوك لعبد الرحمن
الاريلي (بيروت)
- (٣٨٥) الفباء ليوسف البلوي
(القاهرة) .
- (٣٥٩) البيان والتبيين له « القاهرة »
(٣٦٠) البخلاء له ايضاً « ليدن »
(٣٦١) المحاسن والاضداد له « ليدن »
(٢٦٢) مناقب الترك وغر السودان
على البهزان .
- (٣٦٣) التربع والتدوير « ليدن »
(٣٦٤) ومن رسائل الجاحظ ايضاً
تفضيل النطق على الصمت .
- (٣٦٥) ومدح التجار ودم عمل السلطان
(٣٦٦) العشق والنساء .
- (٣٦٧) الوكلاء .
- (٣٦٨) استنجاز الوعد .
- (٣٦٩) مذاهب الشيعة وطبقات
المغنين له « القاهرة »
- (٣٧٠) نفع الطيب للمقري (١٠٤١)
« القاهرة »
- (٣٧١) المقد الفريد لابن عبد ربه
(٣٢٨) « القاهرة » .
- (٣٧٢) المقد الفريد للملك السعيد
لابي سالم محمد بن طلحة الوزير (٦٥٢)
« القاهرة » .
- (٣٧٣) الموشى لابي الطيب الوشاء
(٣٢٥) « ليدن »
- (٣٧٤) الاشتقاق لابن دريد
(غوننغن) .

- (٣٨٦) لطائف اخبار الاول فيمن
تصرف في مصر من ارباب الدول للاسمافي
(١٠٣٢) (القاهرة)
- (٣٨٧) حسن المحاضرة في اخبار
مصر والقاهرة للسيوطي (القاهرة)
- (٣٨٨) المنهج السلوك في سياسة
المملك لعبد الرحمن بن عبد الله من علماء
القرن السادس .
- (٣٨٩) البحر الزاخر في علم الاوائل
والاواخر لابن تغري بردي (القاهرة)
- (٣٩٠) قوانين الدواوين لابن مماتي
(٦٠٦) (القاهرة)
- (٣٩١) مطالع البدور في منازل السرور
لعلاء الدين الغزولي (٨١٥) (القاهرة)
- (٣٩٢) النقود الاسلامية للمقرزي
(الاستانة)
- (٣٩٣) تاريخ الامير حيدر احمد
الشهابي (١٢٥١) (القاهرة)
- (٣٩٤) ذكر تملك جمهور الفرنداوية
للاقطار المصرية والبلاد الشامية لنقولا
الترك (١٢٤٤) (باريز)
- (٣٩٥) تاريخ الطائفة المارونية
للدويهي (١١١٦) (بيروت)
- (٣٩٦) اخبار الاعيان في جبل لبنان
لطنوس الشدياق (١٢٧٦) «بيروت»
- (٣٩٧) تاريخ بغداد لعثمان بن سند
البصري (١٢٥٠) «القاهرة»
- (٣٩٨) ديوان الاخطل (٩٠) «بيروت»
- (٣٩٩) ديوان سقط. الزند للمعري
«بيروت»
- (٤٠٠) اللزوميات للمعري «القاهرة»
- (٤٠١) ديوان المنبهي وشرح المكبري
«القاهرة»
- (٤٠٢) ديوان ابي تمام «بيروت»
- (٤٠٣) ديوان المجتري «الاستانة»
- (٤٠٤) ديوان ابن الوردي «الاستانة»
- (٤٠٥) المرأة الوضية لفسانديك
(١٨٩٦ م) «بيروت»
- (٤٠٦) تاريخ حوادث الشام ولبنان
لمخائيل الدمشقي وذلك من سنة ١١٩٧
الى ١٢٥٧ هـ «بيروت»
- (٤٠٧) تحفة الانام لعبد الباسط
الفاخوري «بيروت»
- (٤٠٨) دائرة المعارف للسادة بطرس
وسليم ونجيب وسليمان البستاني «بيروت
والقاهرة»
- (٤٠٩) محيط المحيط لبطرس
البستاني «بيروت»
- (٤١٠) آثار الادهار لسليم الخوري
وسليم شحاده (١٩٠٧ م) «بيروت»

- (٤٢٣) قاموس الجغرافية القديمة
 لاحمد زكي باشا (القاهرة)
- (٤٢٤) الحضارة الاسلامية له (القاهرة)
- (٤٢٥) تاريخ عمرو بن العاص للسيد
 حسن ابراهيم حسن (القاهرة)
- (٤٢٦) تاريخ المشرق لسبروتعريب
 احمد زكي باشا (القاهرة)
- (٤٢٧) اشهر مشاهير الاسلام
 لرفيق بك العظم (القاهرة)
- (٤٢٨) تاريخ الامم الاسلامية للشيخ
 محمد الخصري (القاهرة)
- (٤٢٩) تاريخ الدولة العثمانية
 لمحمد بك فريد (القاهرة)
- (٤٣٠) البهجة التوفيقية في تاريخ
 مؤسس العائلة الخديوية لمحمد فريد
 بك ايضاً (القاهرة)
- (٤٣١) التبر المسبوك في ذيل السلوك
 لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي (١٩٠٢)
 (القاهرة)
- (٤٣٢) تاريخ العرب لسيديليو
 (١٨٧٥) (القاهرة)
- (٤٣٣) تاريخ لبنان لرتين تعريب
 السيد رشيد الشرتوني (بيروت)
- (٤٣٤) تحفة الالباء في تاريخ حلب
 للشهباء ليشوف (بيروت)
- (٤١١) التاريخ القديم لبيروت «بيروت»
- (٤١٢) تاريخ سورية لمطران يوسف
 الدبس (١٣٢٥) « بيروت »
- (٤١٣) قاموس الكتاب المقدس
 لبوست (١٩٠٩) « بيروت »
- (٤١٤) نباتات سورية وفلسطين له
 (بيروت)
- (٤١٥) مشهد العيان بمجداث سورية
 ولبنان لميخائيل مشافة (القاهرة)
- (٤١٦) كتاب لبنان ألفه زمرة من
 الباحثين سنة ١٣٣٤ (بيروت)
- (٤١٧) حصر اللثام في نكبات الشام
 لمؤلف مجهول (القاهرة)
- (٤١٨) تحفة الزائر في مآثر الامير
 عبد القادر تأليف الامير محمد باشا
 الجزائري (القاهرة)
- (٤١٩) اقوم المسالك في معرفة احوال
 الممالك لخير الدين باشا التونسي (١٣٠٨)
 (تونس)
- (٤٢٠) صفوة الاعتبار للشيخ محمد
 بريم الخامس التونسي (القاهرة)
- (٤٢١) تاريخ كلدو وآثور لادي
 شير (بيروت)
- (٤٢٢) تاريخ سيناء القديم والحديث
 وجغرافيته للسيد نعم شقير (القاهرة)

- (٤٤٧) النصرانية وآدابها بين عرب
الجاهلية للاب لويس شيخو (بيروت)
- (٤٤٨) المخطوطات العربية لكتبة
النصرانية له (بيروت) .
- (٤٤٩) لأئحة في اصلاح القطر
السوري للشيخ محمد عبده (١٣٢٣) (بيروت)
- (٤٥٠) تاريخ حماة للشيخ احمد
الصابوني (حماة)
- (٤٥١) تاريخ صيدا للشيخ احمد عارف
الزين (صيدا) .
- (٤٥٢) تاريخ بعلبك للسيد ميخائيل
موسى الوف (بيروت) .
- (٤٥٣) تاريخ حيفا للجليل المجري (حيفا)
- (٤٥٤) تاريخ مدينة زحلة للسيد
عيسى اسكندر المعلوف (بيروت)
- (٤٥٥) دواني القطوف له (بيروت)
- (٤٥٦) جغرافية الكتاب المقدس
للسيد اسعد منصور (بيروت) .
- (٤٥٧) تاريخ الناصرة له (القاهرة)
- (٤٥٨) قطف الزهور لبوخنا
ابكار يوس (١٣٠٥) (بيروت)
- (٤٥٩) محاضرات ادبيات الجغرافيا
والتاريخ واللغة عند العرب للسنور
جويدي (القاهرة)
- (٤٦٠) المكتبة العربية الصقلية
(القاهرة) .
- (٤٣٥) تاريخ المقاطعة الكسروانية
للعثوني (بيروت)
- (٤٣٦) تاريخ سورية للسيد جرجي
بني «بيروت»
- (٤٣٧) الروضة الغناء لنعمان القساطلي
(بيروت)
- (٤٣٨) تاريخ اورشليم اي القدس
الشريف خليل سركينس (بيروت)
- (٤٣٩) تسريع الابصار فيما حوى
لبنان من الآثار للاب لامنس (بيروت)
- (٤٤٠) المذكرات الجغرافية في
الاقطار السورية له (بيروت)
- (٤٤١) زينب (الزباء) ملكة تدمر
للاب رنزفال (بيروت)
- (٤٤٢) دليل لبنان لابراهيم بك
الاسود (لبنان)
- (٤٤٣) مجموعة المحررات السياسية
والمفاوضات الدولية عن سورية ولبنان
تعريب الشيخين فيليب وفريد الخازن
«لبنان» .
- (٤٤٤) تاريخ التمدن الاسلامي
لجرجي زيدان ١٣٣٢ (القاهرة)
- (٤٤٥) العرب قبل الاسلام له (القاهرة)
- (٤٤٦) تاريخ الآداب العربية له
(القاهرة) .

- على معجم البلدان نشره محمد امين الخالنجي (القاهرة) (٤٦١) تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر اختصره الشيخ عبد القادر بدران «دمشق» (٤٦٢) اكفاء القنوع بما هو مطبوع للسيد ادورد فاندريك «القاهرة» (٤٦٣) عقود الجواهر في ترجمة من لم خمسون تصنيفاً فائمة فاكثر لجليل بك المنظر «بيروت» (٤٦٤) كتاب سوسنة سليمان في اصول العتائد والاديان «بيروت» (٤٦٥) تاريخ الصحافة العربية للسيد فيليب طرازي «بيروت» (٤٦٦) البدر الطالع للشوكني (١٢٥٥) «القاهرة» (٤٦٧) نديم الاديب لاحمد سعيد البغدادي «القاهرة» (٤٦٨) ملوك العرب للسيد امين الرياني «بيروت» (٤٦٩) نظام القضاء والادارة لاحمد بك قححة «القاهرة» (٤٧٠) حضارة الاسلام في دار السلام لجيل مدور «القاهرة» (٤٧١) التاريخ القديم له «بيروت» (٤٧٢) منجم العمران في المستدرك
- على معجم البلدان نشره محمد امين الخالنجي (القاهرة) (٤٧٣) اسباب الانقلاب العثماني لمحمد روجي الخالدي (١٩١٣) ومصنعه حسين وصفي رضا «القاهرة» (٤٧٤) منتخبات الجوائب (الاستانة) (٤٧٥) كتاب القصارى في حل ثلاث مسائل تاريخية نعلقت ببلاد الشام وما يجاورها للمطران يوسف داود (١٣١٠) «بيروت» (٤٧٦) تركيا الجديدة لجميل معلوف «سان باولو» (٤٧٧) تاريخ فلسطين للسيد عمر الصالح البرغوثي وخليل طوطح «القدس» (٤٧٨) جغرافية فلسطين للسيد خليل طوطح وحبیب خوري «القدس» (٤٧٩) جغرافية سورية الممومية المفصلة للسيد سعيد الصباغ «صيدا» (٤٨٠) سورية ولبنان للسيد اديب فرحات «بيروت» (٤٨١) كتاب الانتداب الفرنسي والنقايد الفرنسية في سورية ولبنان لعبد الله صفيير باشا «القاهرة» (٤٨٢) تاريخ حرب البلقان للسيد يوسف البستاني (القاهرة)

- (٤٨٣) خلع السلطان عبد الحميد
خليل بك الخوري (دمشق)
- (٤٨٤) النصائح الكافية لمن يتولى
معاوية للسيد محمد بن عقيل (القاهرة)
- (٤٨٥) درس التاريخ الاسلامي
للشيخ محيي الدين الخياط (بيروت)
- (٤٨٦) الدولة الاسلامية او ماضي
الشرق وحاضره للشيخ احمد الصابوني (حماة)
- (٤٨٧) بلوغ الارب للسيد محمود
شكري الالوسي (بغداد)
- (٤٨٨) نهر الذهب في تاريخ حلب
للشيخ كامل الغزي (حلب)
- (٤٨٩) اعلام النبلاء بتاريخ حلب
الشهباء للشيخ راغب الطباخ (حلب)
- (٤٩٠) الياذة هوميروس تعريب
السيد سليمان البستاني (القاهرة)
- (٤٩١) الحقوق الادارية لساكر بك
الحنبلي (دمشق)
- (٤٩٢) الحقوق الدولية العامة
لفوزي بك الغزي (دمشق)
- (٤٩٣) سير التاريخ الاسلامي للسيد
اديب النبي (دمشق)
- (٤٩٤) التاريخ العام له (دمشق)
- (٤٩٥) عزة اليوم وذلة امس لمحمد
رحيم تعريب محمد الكاظمي (بغداد)
- (٤٩٦) الشيعة وفنون الاسلام للسيد
حسن الصدر (صيدا)
- (٤٩٧) مذكرات سفير اميركا (القاهرة)
- (٤٩٨) مذكرات جمال باشا (القاهرة)
- (٤٩٩) الرحلة التجازية للبنوني
(القاهرة)
- (٥٠٠) سكردان السلطان لابن ابي
جملة التلمساني (القاهرة)
- (٥٠١) المغرب للجواليقي (لبسيك)
- (٥٠٢) الانفاظ الفارسية المعربة
لادي شير (بيروت)
- (٥٠٣) رقم الحلل في نظم الدول
لسان الدين ابن الخطيب (تونس)
- (٥٠٤) تجارة العراق قديماً وحديثاً
للسيد يوسف رزق الله غنيم (بغداد)
- (٥٠٥) الطرق الحكيمية في السياسة
الشرعية لابن قيم الجوزية (القاهرة)
- (٥٠٦) ولاية بيروت القسم الجنوبي
والقسم الشمالي لرفيق التميمي ومحمد بهجت
(بيروت)
- (٥٠٧) دليل لبنان وسورية
لبولس سعد (القاهرة)
- (٥٠٨) مختصر تاريخ لبنان للحد
صعب خاطر (بيروت)
- (٥٠٩) ابوسمرانانم او البطل اللبناني

- خليل همام فائز (بيروت)
 (٥١٠) علم الفلك تاريخه عند العرب
 في القرون الوسطى للسيد نالينو (رومية)
 (٥١١) بهجة الرايح والفادي في
 احاسن محاسن الوادي للسيد محمد المبارك
 ١٣٣٠ (بيروت)
 (٥١٢) تاريخ المسيح لرنان تعريب
 فرح انطون ١٣٤١ (القاهرة)
 (٥١٣) مختصر تاريخ الحنابلة للشيخ
 محمد جميل الشطي (دمشق)
 (٥١٤) العقود الدرية في تاريخ الاماكة
 السورية لايباس ديب مطر (بيروت)
 (٥١٥) المناقب الابراهيمية لاسكندر
 ابيكار يوس ومحمد مكايي (القاهرة)
 (٥١٦) الكنائس الشرقية في فلسطين
 لالفونس دالونسو (القدس)
 (٥١٧) السير السليم في يافا والرملة
 واورشليم (القدس)
 (٥١٨) مدينة العرب في الجاهلية
 والاسلام لمحمد رتدي (القاهرة)
 (٥١٩) جهاد لبنان لاميل يوسف
 حبشي (بيروت)
 (٥٢٠) لبنان في خمس سنين لكاتب
 مجهول (بيروت)
 (٥٢١) سورية ملحق الامم لهري
 ماميه تعريب السيد يب شهاب (دمشق)
 (٥٢٢) نبذة من وقائع الحرب الكونية
 للطف الله نصر البكاسيني (بيروت)
 (٥٢٣) معضلة الشرق للسيد خير الله
 خير الله عرب السيد عارف النكدي (بيروت)
 (٥٢٤) القول الحق لمؤلفه
 ج ٥٠ د ٥٠ ي ٥٠ ف ٥٠ د ٥٠ ومعرته السيد نزيه
 المؤيد (دمشق)
 (٥٢٥) سوربة للسور بن بقلم مسلم
 (بيروت)
 (٥٢٦) البقاع للبنانيين (بيروت)
 (٥٢٧) بنو معروف في جبل حوران
 للسيد عبد الله النجار (دمشق)
 (٥٢٨) افادات زراعية في دولة
 حلب للسيد شارل بافي تعريب السيدين
 اميل بطق وليون مراد (حلب)
 (٥٢٩) اللائحة المفصلة بمطالب الامة
 (دمشق)
 (٥٣٠) العصر الدموي للسيدنايف
 ابي زيد (دمشق)
 (٥٣١) المهاجر السوري لجميل
 بطرس حلوة (نيو يورك)
 (٥٣٢) تلخيص التاريخ العثماني
 المصور للسيد شاكر الحنبلي (دمشق)
 (٥٣٣) نوير البصائر بسيرة الشيخ

- طاهر للشيخ سعيد الباني (دمشق) (٥٤٤) مجلة المشرق (بيروت)
- (٥٣٤) مارأيت وما سمعت للسيد خير الدين الزركلي (القاهرة)
- (٥٣٥) محاضرات الجمع العلمي العربي (دمشق)
- (٥٣٦) الكواكب الدرية في تاريخ عبد الرحمن اليوسف صدرسورية للشيخ عبد القادر بدران (دمشق)
- (٥٣٧) نقويم البشير السنوي (بيروت)
- (٥٣٨) غرائب الغرب لمحمد كردعلي صاحب هذه الخطط (القاهرة)
- (٥٣٩) رسائل البلغاء له (القاهرة)
- (٥٤٠) تاريخ الحضارة لسنويوبوس تعريبه ايضاً (القاهرة ودمشق)
- (٥٤١) القديم والحديث : أيفه (القاهرة)
- (٥٤٢) كنوز الاجداد من تأليفه ايضاً (القاهرة)
- (٥٤٣) مجلة المقتطف (بيروت والقاهرة)
- (٥٤٤) مجلة المشرق (بيروت)
- (٥٤٥) مجلة المنار (القاهرة)
- (٥٤٦) مجلة الهلال (القاهرة)
- (٥٤٧) مجلة المقتبس (القاهرة ودمشق)
- (٥٤٨) مجلة البيان (القاهرة)
- (٥٤٩) مجلة الضياء (القاهرة)
- (٥٥٠) مجلة الآتار (زحلة)
- (٥٥١) مجلة النعمة (دمشق)
- (٥٥٢) مجلة الكايمية (بيروت)
- (٥٥٣) مجلة العرفان (صيدا)
- (٥٥٤) مجلة الجمع العلمي العربي (دمشق)
- (٥٥٥) مجلة الشعلة (حلب)
- (٥٥٦) مجلة المباحث (طرابلس)
- (٥٥٧) مجلة الزهرة (حيفا)
- (٥٥٨) النصوص والاعمال سلسلة مقالات تاريخية لسير القضية العربية ، جريدة المفيد ١٣٤٢ هـ ١٩٢٤ م (دمشق)
- (٥٥٩) مجموعة جريدة المقتبس ست عشرة سنة (دمشق)

الكتب التركية

- | | |
|---------------------------------------|------------------------------------|
| (٥٨٠) تاريخ احمد رامس | (٥٦٠) جهان نما لكاتب جلي |
| (٥٨١) مجموعة لجنة التاريخ العثماني | (٥٦١) قاموس الاعلام لشمس |
| (٥٨٢) نتائج الوقوعات لمصطفى باشا | الدين سامي |
| (٥٨٣) اوراق بريشان لنامق كمال | (٥٦٢) تاريخ ابو الفاروق لمراد بك |
| (٥٨٤) حيات عثماني — ضيا باشا | الداغستاني |
| (٥٨٥) منشآت فريدون | (٥٦٣) تاريخ سياسي لكامل باشا |
| (٥٨٦) تركيا ونظامها | (٥٦٤) تاريخ جودت |
| (٥٨٧) تاريخ تدبسات عثمانيه | (٥٦٥) تاريخ نعيما |
| ● لجلال نوري | (٥٦٦) التاريخ العثماني لعبد الرحمن |
| (٥٨٨) عبد الحميد ودور سلطنتي | شرف |
| لعثمان نوري | (٥٦٧) خاطرات مدحت باشا |
| (٥٨٩) تورك تاريخي لرضا نور | (٥٦٨) خاطرات سعيد باشا |
| (٥٩٠) آصف نامه للطفي باشا | (٥٦٩) خاطرات كامل باشا |
| (٥٩١) تقويم (ساننامه) ولاية | (٥٧٠) تاريخ سامي وشاكر وصحبي |
| سورية عدة سنين | (٥٧١) سليماننامه |
| (٥٩٢) تقويم ولاية بيروت عدة | (٥٧٢) تاريخ بجوي |
| سنين | (٥٧٣) تاريخ ثاني زاده |
| (٥٩٣) تقويم ولاية حلب عدة | (٥٧٤) تاريخ راشد |
| سنين | (٥٧٥) تاريخ صولاق زاده |
| (٥٩٤) سجل رسمي بالتركية فيه | (٥٧٦) تاج التواريخ |
| قيود معاملات الشام اوائل القرن الحادي | (٥٧٧) تاريخ عكا |
| عشر للهجرة (من خزانه المجمع العلمي | (٥٧٨) = سلايكلبي مصطفى |
| العربي) | (٥٧٩) = لطفي |

المطبوعات الافرنسية

BIBLIOGRAPHIE FRANÇAISE

Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux

Maxime Petit : Histoire générale des peuples

Buisson : Nouveau dictionnaire de pédagogie

Léon Say et Chailly : Nouveau dictionnaire d'économie politique, avec le supplément

Block : Petit dictionnaire politique et social

Saglio et Daremberg : Dictionnaire des antiquités grecques et romaines

Mommsen : Histoire Romaine

De la Jonquière : Histoire de l'Empire Ottoman :

De Vogue : Syrie, Palestine, Mont Athos

Gayet : L'art Arabe

Babelon : Manuel d'Archéologie orientale

Seignobos : Histoire Politique de l'Europe contemporaine

(٥٩٥) كتاب مؤرخي الحروب

الصليبية ومنه ثلاث مجلدات في المؤرخين الشرقيين .

(٥٩٦) تاريخ الشعوب العام لما كسيم

بني .

(٥٩٧) معجم جديد في علم التربية

لبويسون .

(٥٩٨) معجم جديد في علم الاقتصاد

السياسي للبون ساي وشالي مع الملحق .

(٥٩٩) مختصر القاموس السياسي والاجتماعي لبلوك .

(٦٠٠) معجم العاديات اليونانية

والرومانية لساغليو ودرميرج .

(٦٠١) تاريخ الرومان لمومسين

(٦٠٢) تاريخ المملكة العثمانية

لدبلاجونكير .

(٦٠٣) سورية وفلسطين وجبل

اتوس لدي فوكويه .

(٦٠٤) الصنائع العربية لتكاييه .

(٦٠٥) مختصر في علم الآثار الشرقية

لبابلون .

(٦٠٦) تاريخ اوربا الحاضرة

السياسي لسنيوبوس .

Cuinet : Syrie, Liban et Palestine

(٦٠٧) سورية ولبنان وفلسطين
لكونه .

Jausсен et Savignac : Mission archéologique en Arabie

(٦٠٨) بعثة أثرية في بلاد العرب
لجوسن وسافنيك .

La Grande Encyclopédie Française

(٦٠٩) المعلة الافرنسية الكبرى .

Elisée Reclus : Nouvelle géographie Universelle

(٦١٠) الجغرافية العامة الجديدة
لاليزدر كلو .

Encyclopédie de l'Islam

(٦١١) المعلة الاسلامية .

Bouillet : Dictionnaire d'Histoire et de Géographie

(٦١٢) قاموس التاريخ والجغرافية
بوليه .

Cl. Huart : Histoire des Arabes

(٦١٣) تاريخ العرب لهوار .

Dussaud : Histoire et religion des Nossairis

(٦١٤) تاريخ النصيرية وديانتهم
الدوسو .

Dussaud et Macler : Mission dans les régions désertiques de la Syrie Moyenne

(٦١٥) بعثة في بادية سورية الوسطى
لدوسو وماكلر .

Dussaud : Les arabes en Syrie avant l'Islam

(٦١٦) العرب في سورية قبل
الاسلام لدوسو .

A. Jausсен : Coutumes des Arabes en pays de Moab

(٦١٧) عادات العرب في بلاد
مواب اللاب انطون جوسين .

Quatremère : Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte, écrite en Arabe par Takied-dine Ahmed Makrizi

(٦١٨) ترجمة تاريخ سلاطين الممالك
للكتريزي نقله الى الافرنسية كاتريمير .

Lavisse et Rambaud : Histoire Générale

(٦١٩) التاريخ العام للافيس ورامبو

Clermont-Ganneau : La Palestine inconnue

(٦٢٠) فلسطين المجهولة الكرمون كانوا

Clermont - Ganneau : Nouveaux monuments des croisés

E. Montel : De l'Etat présent et de l'Avenir de l'Islam

La Revue archéologique
Journal Asiatique (collection complète)

Revue du Monde Musulman (collection complète)

Bulletin de l'Institut Français d'archéologie orientale du Caire

Mémoires de l'Institut d'Egypte

F. Vigouroux : Dictionnaire de la Bible

Nouveau Larousse illustré avec les suppléments

N. J. Vernev et G. Dambmann : Les Puissances étrangères dans le Levant, en Syrie et Palestine

Montesquieu : Considérations sur les causes de la Grandeur des Romains et de leur décadence

Montesquieu : De l'esprit des Lois

Driault : La question d'Orient

R. Pinon : l'Europe et l'Empire Ottoman

Gustave Lebon : La Civilisation des Arabes

Ch. Seignobos : Histoire de la Civilisation

(٦٢١) مصانع جديدة للصليبيين

تأليف كارمون كانو.

(٦٢٢) حاضر الاسلام ومستقبله

لموتيه .

(٦٢٣) المجلة الاثرية .

(٦٢٤) مجموعة المجلة الآسيوية .

(٦٢٥) مجموعة مجلة العالم الاسلامي

(٦٢٦) مجلة المجمع العلمي الافرنسي

للعاديات الشرقية في القاهرة

(٦٢٧) مفكرات المجمع العلمي

المصري

(٦٢٨) قاموس الثوراة لنيكورو

(٦٢٩) معجم لاروس المصور الجديد

مع الذبول .

(٦٣٠) الدول الاجنبية في الشرق

في سورية وفلسطين لفرني ودايمان .

(٦٣١) ملاحظات في اسباب عظمت

الرومان وانحطاطهم لمونتسكيو .

(٦٣٢) روح الشرائع لمونتسكيو

(٦٣٣) المسألة الشرقية لدربول

(٦٣٤) اوربا والمملكة العثمانية لبنون

(٦٣٥) مذبذبة العرب لكستاف لوبون

(٦٣٦) تاريخ الحضارة لشارل

- Ferdinand Perrier* : La Syrie sous le gouvernement de Mehemed-Ali
سورية على عهد حكومة محمد علي فرديناند برييه .
- Volney* : Voyage en Syrie et en Egypte
رحلة فولني في سورية ومصر (٦٣٨)
- W. Heyd* : Histoire du Commerce du Levant au moyen âge
تاريخ التجارة بالشرق في القرون الوسطى لهيد .
- Arthur Guy* : Situation économique de la région de Caiffa et de St. Jean d' Acre
الحالة الاقتصادية في اصقاع حيفا وعكا لارتور كي .
- Général de Torey* : Etudes géographiques et historiques sur la Syrie (Revue de la géographie)
ابحاث جغرافية وتاريخية عن سورية للجنرال دي توري (عن المجلة الجغرافية) .
- K. I. Kbarallab* : La Syrie
سورية خير الله خير الله .
- Kbarallab* : Autour de la question sociale et scolaire en Syrie
انسنة الاجتعية والمدرسية في سورية خير الله خير الله .
- L'arjabe* : Histoire de Beyrouth
تاريخ بيروت لوارجابد .
- François Lenormant* : Histoire des massacres de Syrie en 1860
تاريخ المنذبح في الشام سنة ١٨٦٠ لفرانسوا لنورمان .
- Atala* : La Syrie, Les aspects actuels de la question syrienne
سورية ، الحالة الحاضرة في المسألة السورية ليوسف عطا الله .
- E. Peck* : Manuel des sociétés anonymes fonctionnant en Turquie
١٧٠٤ - كتاب الشركات المغفلة في المملكة العثمانية لبيش .
- P. Barnabe Meistermann* : Nouveau guide de Terre Sainte 1907
دليل الارض المقدسة لبرنابه مسترمان عن سنة ١٩٠٧ .
- Baedeker* : Palestine et Syrie
دليل فلسطين وسورية لبيدكر .
- De Goeje* : Mémoire sur la conquête de la Syrie
٦٥٠ - مفكرات علي فتح سورية لدخويه .

- V. Guérin*: Description géographique, historique et archéologique de la Palestine (Galilée, Samarie, Judée) بلاد (٦٥١) وصف جغرافي اثري لبلاد فلسطين (الخليل والسامرة واليهودية) لكبيرين .
- Lortet*: La Syrie d'aujourd'hui . سورية اليوم للورتيه . (٦٥٢)
- G. Maspero*: Histoire ancienne des peuples de l'Orient Classique (٦٥٣) التاريخ القديم للأمم في الشرق القديم لماسيرو .
- Michaud*: Histoire des Croisades . (٦٥٤) تاريخ الصليبيين لميشو .
- Berehem et Fatjo*: Voyage en Syrie (Collection) (٦٥٥) سياحة في سورية لبرشم وفاتيو
- Berehem*: Syrie du Nord, Syrie du Sud . (٦٥٦) سورية الشمالية وسورية الجنوبية لبرشم .
- Berehem*: Notes sur les Croisades (٦٥٧) مذكرات على الحروب الصليبية لبرشم .
- Berehem*: Recherches Archéologiques en Syrie (٦٥٨) تحقيقات اثرية في سورية لبرشم .
- Berehem*: Le Château de Bani-'âs et ses inscriptions (٦٥٩) قلعة بانياس وكتاباتها لبرشم
- Delaville le Roulx*: La France en Orient au XIV^e siècle (٣٦٠) فرنسا في الشرق في القرن الرابع عشر لدلافيل لرو .
- Goldziber*: Le dogme et la loi de l'Islam (Traduction de Félix Arin) (٦٦١) العقيدة والشرع الاسلامي لغولدزبير (ترجمة فليكس ارين)
- Chauvin*: Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes, publiés dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885 (٦٦٢) بيان في التأليف العربية او الخاصة بالعرب المنشورة في اوربا المسيحية من سنة ١٨١٠ الى سنة ١٨٨٥ لشوفين .
- Ristelbuber*: Traditions Françaises au Liban (٦٦٣) التقاليد الفرنسية في لبنان لرستلهوبر .

- Jacques J. Tabet: La Syrie* • سورية ليعقوب ثابت (٦٦٤)
- Michaud: Bibliothèque des croisades* • مكتبة الحروب الصليبية لميتو (٦٦٥)
- Cbauvet et Isambert: Syrie et Palestine* • سورية وفلسطين لشوفيه وايزنبر • (٦٦٦)
- Renan: Mission de Phénicie* • البعثة الفينيقية لرنان (٦٦٧)
- Sébillot: Histoire générale des Arabes* • تاريخ العرب العام لسيديليو (٦٦٨)
- Caussin de Perceval: Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islam* • باكورة في تاريخ العرب قبل الاسلام لكوسين دي برسفال (٦٦٩)
- Burckhardt: Voyage en Arabie* • رحلة في بلاد العرب لبور كهار (٦٧٠)
- Nieubr: Description de l'Arabie* • وصف بلاد العرب لنيوبور (٦٧١)
- Palgrave: Une année de voyage dans l'Arabie Centrale* • عام في السياحة في اواسط بلاد العرب لباكراف • (٦٧٢)
- Huber: Journal d'un voyage en Arabie* • مذكرات سياحة في بلاد العرب لهوبر • (٦٧٣)
- Dussaud et Macler: Voyage archéologique au Safa et dans le Djebel-ed-Druze* • رحلة اثرية الى بلاد الصفا وجبل الدرود لدوسو وماكلر • (٦٧٤)
- Saladin et Migeon: Manuel d'art Musulman.* • مختصر في الصنائع الاسلامية لسلاطين وميجون • (٦٧٥)
- Renan: Histoire des langues sémitiques* • تاريخ اللسان السامية لرنان (٦٧٦)
- Résumé de l'Histoire politique et religieuse de la Syrie depuis la conquête Romaine jusqu'à nos jours (Beyrouth)* • موجز التاريخ السياسي والديني في الشام من الفتح الروماني الى عهدنا (بيروت) (٦٧٧)
- E. Montet: L'Islam.* • الاسلام لادوارد مونتيه (٦٧٨)
- Ibsan Charif: La condition internationale de la Syrie* • الحالة الدولية في الشام لاحسان الشريف • (٦٧٩)

- Habib Abi Chabla* : L'extinction des capitulations en Turquie et dans les régions arabes
- I. Guidi* : L'Arabie antéislamique
- Bluntschli*: La politique
- Derebourg*: Notes épigraphiques
- Barbier de Meynard*: Surnoms et sobriquets dans la littérature arabe
- Dozy*: Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes
- Dozy*: Supplément aux dictionnaires arabes
- Rey*: voyage dans le Haouran et aux abords de la mer Morte
- Léon Carl*: Au Sinaï et dans l'Arabie Pétrée
- Carra de Vaux* : Les penseurs de l'Islam
- La Syrie et le Liban en 1921
- H. Lammens* : La Syrie. Précis historique
- H. Lammens*. Etudes sur les règnes des Califs Omayyades Moawia 1er et Yazid 1er
- R. de Gontaut-Biron*: Comment la France s'est installée en Syrie « 1918-1919 »
- (٦٨٠) القضاء على الامتيازات الاجنبية في تركيا والاصتقاع العربية لحبيب ابى شهلا .
- (٦٨١) بلاد العرب قبل الاسلام لجويدي .
- (٦٨٢) كتاب السياسة لبونشلي .
- (٦٨٣) تعليقات اثرية لدرانبور
- (٦٨٤) الكنى والالقاب في الآداب العربية لباربه دي مينار .
- (٦٨٥) معجم مفصل في اسماء الثياب عند العرب لدوزي .
- (٦٨٦) ملحق للمعجم العربية لدوزي
- (٦٨٧) سياحة في حوران وعلى ضفاف بحيرة لوط لري .
- (٦٨٨) في سينا والبتراء (٠ ادي موسى) لليون كار .
- (٦٨٩) المفكرون في الاسلام لكارادي فو .
- (٦٩٠) سورية ولبنان في عام (١٩٢١)
- (٦٩١) مختصر في تاريخ سورية للاب هنري لامنس .
- (٦٩٢) بحث في عهد الخليفتين معاوية الاول ويزيد الاول للامنس .
- (٦٩٣) كيف استقرت فرنسا في (سورية سنة ١٩١٨-١٩١٩) لدي كونتوبيرون

Sejer Nameb: Relation du voyage de Nassri Khosrau en Syrie, en Palestine, en Egypte, en Arabie et en Perse. Publié, traduit et annoté par Charles Schefer

R. De Gontaut-Biron et Le Révérend: D'Angora à Lausanne

(٦٩٤) رحلة ناصر خسرو في القرن

الخامس من سنة ٤٣٧هـ — ١٣٠٥هـ ٤٤٤ —

١٠٤٢ هـ المعروفة بسفرنامه في سورية وفلسطين ومصر وبلاد العرب وبلاد الفرس

نقلها للافرنسية وعلق عليها شيفر .

(٦٩٥) من انقره الى لوزان لدي

كونتو بيرون ولزيفيران .



تقويم الشام

—••••—

تعريف الشام / الشأم والشأم والشام والشآم هو اسم هذا القطر العزيز على
للاقدمين } ما عرفته العرب وهو يتناول عامة البلاد الداخلة اليوم في
فلسطين وسورية بحسب الاصطلاح الحديث . وسورية اسم غلب اطلاقه على القطر
الشامي منذ عهد الفراعنة مقتضياً مع تخفيفه من اسم اشورية لغلبة الاشور بين عليه
والسين والشين ثنعاوران في اللغات السامية . قال البكري : « سورية » بضم اوله وكسر
الراء المهملة وتخفيف الياء اخت الواو وفتحها « اسم للشام . وقيل ان سبب تسميته بسورية
نسبة لصور ثغر الشام القديم ومخرج الصاد والسين واحد . وقال آخرون ان اليونان
لما فتحوا الشام رأوا الاشور بين يتولون امره فسموه اشورية . قال المسعودي : سورية
هي الشام والجزيرة وكان الروم يسمون البلاد التي سكانها المسلمون في عهده (٣٤٥ هـ)
من الشام والعراق سوريا ، والفرس كانوا يسمون العراق والجزيرة والشام سورستان
اضافة الى السريان الذين هم الكلدانيون وتسميهم العرب الـبَـيـطَ .

و يقال ان فلسطين^(١) سميت بفلسطين بن سام او بفلسطين بن كلثوم ، او
بفليستين بن كسلوخيم من بني يافث بن نوح ثم عربت فلبشين . وجوزوا في اسم

(١) قد نقل عبارة المؤلفين برمتها او نخذف منها جملاً او الفاظاً بحسب ما يقتضيه

تأليف الكلام وبسطه او اقتضابه ولا نعزو عبارات المؤرخين التي نقلها غير واحد
منهم على الاغلب ويكون الغزو لما نفرد به مؤرخ او كان له ابتكاراً دون غيره من
معاصريه وسابقه .

الشام التذكير والتأنيث والمشهور التذكير . وللعربين والجغرافيين في سبب تسميته شاماً آراء مختلفة ف قيل سمي لتشاؤم بني كنعان اليه وقيل بل سمي بسام بن نوح لانه نزل به واسمه بالسريانية شام بشين مهجمة . وقال بعضهم ان سام بن نوح لم يدخل الشام قط وقيل لان ارضه اي ارض الشام مختلفة الالوان بالحمرة والسواد والبياض فسمي شاماً لذلك ، كما يسمى الخلال في بدن الانسان شامة ، وقيل سمي شاماً لانه عن شمال الكعبة . والشام لغة في الشمال ، وقيل سميت الشام شاماً لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات . وجوزوا فيه وجهين احدهما ان يكون من اليد الشؤمي وهي اليسرى والثاني ان يكون فعلاً من الشؤم .

* * *

معنى الشام } واختصرت العرب من شامين الشام وغلّب على الصقع كله (ياقوت)
وجمه } وهذا مثل فلسطين وكنسرين ونصيبين وحوران وهو كثير في
نواحي الشام . وذكروا ان معنى الشام الطيب ، ويقال للشام اللذاعة (مشددة) ،
واللذاعة بالكبان تلح بهم اي تدعوهم اليها وتطيبهم ، وقد تجمع الشام على شامات
وتسمى بلاد الشام بذلك ، ومن الناس من لا يجعله الا شاماً واحداً ، ومنهم من
يجعله شامات فيجعل بلاد فلسطين والارض المقدسة الى حد الأردن شاماً ، ويقولون
الشام الاعلى ويجعل دمشق وبلادها من الأردن الى الجبال المعروفة بالطوال شاماً
ويجعل سورية وهي حمص وبلادها الى رحبة مالك شاماً ، ويجعلون حماة وشيزر من
مضافاتها ويجعل قنسرين من بلادها وحب مما يدخل في هذا الحد الى جبال الروم
وببلاد العواصم والثغور . فاما عكا وطرابلس وكل ما هو على ساحل البحر وكل ما قابل
شيء منه شيئاً من الشامات فيحسب منه .

واطلاق الشام على دمشق من باب اطلاق العام على الخاص والعرب (نالينو)
كثيراً ما يسمون المدن القواعد باسماء أقاليمها فكانوا يقولون بلا فرق دهشق او الشام
— الفسطاط او القاهرة او مصر — شام او حضرموت — صحار او عمّان —
الاندلس بدلاً من قرطبة — صقلية عبارة عن بلرم .

* * *

حد الشام / هذا غاية ما قالوه في تعليل اسم الشام وسورية وفلسطين . اما حد قديماً : (الشام فمن الغرب البحر المتوسط او بحر الروم ا: بحر الملح او بحر الشام ومن الشرق البادية من أيلة الى الفرات . وأيلة مدينة قديمة على البحر الاحمر او القلزم وهي على مقربة من العقبة اليوم . ثم يذهب الحد من الفرات الى حد الروم او آسيا الصغرى وشمالاً الى الروم وجنوباً حد مصر وتيه بني اسرائيل . واوصلوا الحد من الغرب الى طرسوس قرب أذنة الى رفح في اول الجفصار بين مصر والشام . واوسع من هذا التعريف انه يحيط بالشام من جهة الجنوب حد يمتد من رفح الى تيه بني اسرائيل الى ما بين الشوبك وأيلة الى البلقاء ويحيط به من جهة الشرق حد يمتد من البلقاء الى مشاريق صرخد آخذاً على اطراف القوطة الى سدمية الى مشاريق حلب الى بالس . ويحيط به من جهة الشمال حد يمتد من بالس مع الفرات الى قلعة نجم الى البيرة الى قلعة الروم الى سميساط الى حمن منصور الى بهسنى الى مرعش الى بلاد سيس الى طرسوس . وهذا الحد للعرب قال به كاتب جلبي في القرن الحادي عشر .

* * *

حقيقة حد / وبموجب الاتفاق الافرنسي التركي الاخير جعلت الحدود في قرية قطعة الشام : (على طريق السكة البغدادية على اربعين كيلومتراً من حلب . ودخلت كلبس في حدود الروم . وايس هذا الحد الجغرافي الطبيعي للشام من الشمال . بل حد الشام ينهي بسفوح جبال طوروس المعروفة بالدروب عند العرب آخذاً الى ماوراء خليج الاسكندرونه لجهة بلاد الروم وكان جبل السياح (بفتح السين وتشديد الياء) حداً بين الشام والروم ولا تعرف هذا الجبل بهذا الاسم اليوم . ويقول الادريسي : ومن السويدية الى جبل رأس الخنزير عشرون ميلاً وعلى هذا الجبل دير كبير وهو اول بلاد الارمن وآخر بلاد الشام . فما كان من جهة الشام على ضفة الفرات فهو شام وما كان على الضفة الاخرى من الشرق فهو عراق . فصحة بين مثلاً في الشام وقلعة جعبر في بر الجزيرة الفراتية وبينهما مقدار فرسخ او اقل وتدخل بالس اي مسكنة بالشام لانها من غرب الفرات وتدخل البيرة (ببهه جك) في الجزيرة لانها على الشق الآخر من الفرات . وما كان من دير الزور على الفرات الى جهة الشام فهو من الشام

وما كان على الشاطيء الآخر الى الشرق فهو من العراق وتدخل دومة الجندل المعروفة اليوم بالجوف في الجنوب في جملة هذا القطر . كما ان أيلة هي آخر الحجاز واول الشام . فالعريش او رفح او الزعقة ورفح هي حد الشام الجنوبي الغربي ومعان نصفها للشام ونصفها للحجاز فيقال معان الشامية ومعان الحجازية .

* * *

حدوده مع / وقد انفقت الحكومتان العثمانية والمصرية سنة (١٣٢٤ ١٩٠٦ م) مصر : (على تعيين الحد بين مصر والشام من رأس طابا على الساحل الغربي لخليج العقبة ممتداً الى قمة جبل فورت ماراً على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا ، ثم من قمة جبل فورت بنجه الى الخط الفاصل الى نقطة المرق على قمة جبل فنجي باشا حيث يلتقي طريق غزة الى العقبة بطريق نخل الى العقبة . ومن هذه النقطة الى التل الذي الى الشرق من مكان ماء يعرف بتميلة الراددي والمطلة على التيملة ، بحيث تبقى التيملة غربي الخط . ومن هناك الى قمة رأس الراددي ثم الى رأس جبل الصفرة ، ومنه الى رأس القمة الشرقية بجبل قم فثم الى سويلة شمالي التيملة ، ومنها الى غرب الشمال الغربي من سماوة ومنها الى قمة التل الواقع الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة في الفرع الشمالي من وادي ماين ، ومنها الى غربي جبل المقرأة فالى رأس العين ثم الى نقطة على جبل ام حواويط الى منتصف المسافة بين عمودين قائمين في الجنوب الغربي من بئر رفح ، ومنها الى نقطة على التلال الرملية في اتجاه ٢٨ درجة اي ٨٠ درجة الى الغرب وعلى مسافة ٤٢٠ متراً في خط مستقيم من العمودين المذكورين ثم يمتد الخط مستقيماً من هذه النقطة باتجاه ٣٣٦٤ درجة من الشمال المنتطيسي أعني ٢٦ درجة الى الغرب الى شاطيء البحر الابيض المتوسط ماراً بتل خرائب على ساحل البحر الاحمر . هذا هو الحد الذي اتفقوا عليه بين مصر والشام . وفي اول ايلول ١٩٢٠ نقرر ان تكون حدود حلب شمالاً التحوم الشمالية للواء الاسكندرونة والتحوم الشمالية للمطقة الغربية القديمة آخر نقطة منها تلتي بالخط الحديدي شرقي محطة هملن ثم خط الحديد وهو داخل التحوم حتى تل ابيض ثم خط يجمع بين تل ابيض والخابور شرقاً ونهر الخابور حتى مصبه في النرات

ثم نهر الفرات حتى البوكل جنوباً وهو الخط المعروف بخط البوكل الى تدمر ثم الى الحدود الغربية الشمالية . وهذا الحد مصنع ككل التصنيع . ولعل هذا القطر لن يعدم حده الطبيعي من الشمال فان الصخور التي تفصل الشام من الشمال عن آسيا الصغرى ليس لها مثيل في الصخور الطبيعية كما قال نابوليون . وجعل اليزهركلو حد الشام من جبال امانوس (اللكام) الى طورسينا وقال : ان طورسينا وان ضم سياسياً الى مصر فهو جزء من اجزاء الشام . وقال بوليه : ان حد سورية شمالاً آسيا الصغرى . وقال بوتر : ان سورية اي سورية الرومانيين يحدها شمالاً آسيا الصغرى . وقال بيدكر : ان حد الشام من طوروس الى مصر . وبذلك رأينا ان الشام يحيط به من الجنوب رمال من الجفار وتيه بني امراييل وجزء من البحر الاحمر فالبادية . ومن الشمال جبال شامخة صعبة المسالك وهي جبل امانوس احد سلاسل جبال طوروس . ومن الشرق الفرات ومن الغرب البحر . اي رمال وجبال ونهر وبحر .

* * *

مساحة الشام / وقدرا القدماء طول الشام من الريش الى الفرات بمسيرة نحو شهر وصورته : ا وعرضه من جبلي طي اجاء وسلي من القبلة الى بحر الروم نحو عشرين يوماً وجبلا اجاء وسلي جنوب الشراة وراء البترا، المعروفة عند الرومان باسم (بروفنسيا ارايبا او ارايبا بتر - Provincia Arabia Arabia Petraea) . وقال شيخ الربوة : حد الشام طولاً من ماطية الى الريش ومسافته سبعة وعشرون يوماً ، وعرضه الأعرض من منبج الى طرسوس . وعدا ياقوت من الشام الثغور وهي المصيصة وطررسوس وأذنة وجميع العواصم من مرعش والمدث وغير ذلك . وقال علماء الافرنج : ان معدل طول الشام نحو الف كيلومتر وعرضه نحو مائة وخمسين كيلومتراً ومساحته ١٨٣ الف كيلومتر مربع وقال بعضهم : ان مساحته السطحية نحو ٢٨٠ الف كيلومتر وابعده غيره الى ثلاثمائة الف وانزله آخر الى مائة وتسعة وخمسين الف كيلومتر بل بالغ في تصغيره بعضهم فقال ان مساحته مائة الف كيلومتر مربع فقط ومنهم من قال مائة وخمسة عشر . وقال غيره : ان طوله ينيف

على اربعمائة ميل وعرضه يختلف كثيراً ومعدله نحو مئة وعشرين ميلاً . ومساحة الشام خمسون الف ميل مربع . وذكر آخر : ان طول الشام المتوسط من الشمال الى الجنوب نحو سبعمائة كيلومتر وعرضه من الغرب الى الشرق نحو اربعمائة وخمسين كيلومتراً . وأكد بعضهم ان طوله من طوروس الى طور سيناء لا يقل عن الف ومئة كيلومتر وقال غير واحد : انه لا يقل عن ٨٠٠ الى ٩٠٠ هذا اذا تركت منه البادية ولم يحسب غيز الاراضي القابلة للزرع . وقد ترت الارض القابلة للزراعة في الشام بمئة وخمسين الف كيلومتر مربع . والاختلاف في حد الشام ومساحته بين علماء الجغرافية المحدثين اكثر مما بين علماء تقويم البلدان من العرب الاقدمين . وقد شبه بعضهم الشام في هيئته الطبيعية بشكل مستطيل طوله ثمانية اضعاف عرضه . وشبهه آخر بانه شكل مربع الاضلاع مستطيل كثيراً .

* * *

مدخل الفاتحين / وقد جاء الفاتحون الشام بجرأ وبرأ بل جاءوها من جهاتها الاربع الى الشام : ا فجاءها الفراعنة من البحر والبر ، والبابليون والفرس من الشرق والشمال ، والاسكندر والصلبيون والعمانيون من الشمال ، وغازان وهولاكو وتيمورلنك من الشرق ، والعرب الفاتحون من الشرق والجنوب ، دنابوليون من الجنوب ومن الغرب بجرأ ، وابراهيم باشا المصري برأ و بجرأ اي من الغرب والجنوب الغربي ، وجيوش الجلفاء من الانكيز والفرنسيس والعرب من الجنوب والغرب . وكانت على اعتزالها وراء حدودها الطبيعية مطبخ الطامحين ، وطعمة الطامعين ، لم تدفع عنها حصونها التي فصلتها عن الحجاز ببحار مقفرة ، وحرار معطشة ، وعن العراق بنير عظيم ، وعن آسيا الصغرى سبجبال عالية ، وعن مصر بل عن قنارة افرريقية برمالم محرقة . وداس تربتها الجميلة سنابك خيل الفاتحين ، وعبثت بجمعيل محياها سهام النوايب ، واوردتها موارد العذاب الهون ، ولم تأمن عادية العادين ، على ما فيها من الجبال الشم ، ومضايق تضل فيها العُصم .

* * *

مدن الشام / في الشام مدن كثيرة منها ما دثر وانحط بعد ان كان له شأن مهم في وقراه : (الازمان الغائرة ، مثل قيسارية والمعرة وانطاكية وفسرين وافامية وجرش والبتراء وبصرى وصيدا وصور وندسر وبعلبك وجبيل وسبسطية . ومنها ما ثبت على صدمات الايام والليالي وكان له من موقعه وملاءمة الطبيعة له ما ابقى عليه ، كأن يكون وسط ريف خصيب ، وماء دافق ، كدمشق وحمص وحماة وطرابلس . ودمشق اهم مدن الشام وعاصمته في الاسلام وعلى عهد السريان ، وكانت انطاكية عاصمته على عهد الروم والرومان . وتجيء بالعظم بعد دمشق مدينة حلب ثم بيروت ثم القدس . وسكان دمشق نحو مائتين وخمسين ألفاً ، وسكان حلب نحو مائتين ، وبيروت نحو مائة وخمسين ، والقدس اقل من ذلك . وفي الشام زدة مدن تزيد على خمسين الف نسمة ، مثل يافا وحماة وحمص ، وفيها عدة مدن تختلف بين العشرين والثلاثين الف نسمة ، مثل غزة . صفد . زحلة . صيدا . المعرة . الاسكندرونة . وعشرات من القرى هي اشبه بمدن او مدن اشبه بقرى نقل نفوسها عن عشرة آلاف او تزيد عنها قليلاً مثل صيدا والحليل والرملة ولدت والناصره وطبرية والدامور وبعلبك وحاصبيا والصلت وعربيل ودومة وداريا وجوبر وهرود ودير عطية وحارم واداب وسمية وغيرها . ولا نقل قرى الشام عن ثمانية آلاف قرية دمرعة وبلدة ومدينة وسكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف يدخل فيهم العرب الرحالة .

* * *

طبيعة / قطر تأخذه الفصول الاربعة حكماً ، وتم في قيعانه وجباله اسباب النعم ، الشام : (معتدل الاهوية ، متهاطل الامطار والثلوج ، ممرع التربة ، فيه الغابات والمعادن ، والحمامات المعدنية والانهار الجارية ، والبحيرات النافعة ، والاجواء البهجة ، والرباع المنبسطة ، والمناظر المدهشة فيه من الجبال امثال الشراة والحليل ونامل وسنير وحرمون ولبنان وحووران وجرش ومجلون وعكار والكام والاقوع والكليبة والاكراد وجبال القدموس وبائر والمنيطرة وصنين والكنيسة والباروك ونيحا والزيجان وطابور والجمرق والكرمل وبلودان والنبك والصلت ومواب وانطاكية والقصير وريحا . ومن البحيرات العمق والغاب وافامية والمطخ واليمونه والعتيبة والعيانة وطبرية والحولة ولوط .

ومن السهول سهل حوران والجلولان والجيدور والغوطة والمرج والبقاع والبقعة ومحص
والاسكندرونة وانطاكية واللاذقية وطرابلس والشوفات وصيدا وصور والطنطورة
وبيسان واريحا. ومن المروج مرج ابن عامر وصارونه والبقاء. ومن الانهار النهر الكبير
والأردن واليرموك والمعاصي والفرات وقويق والساجور وعفرين والاسود وبردى
والبارد وبرايم وقاديشا والليطاني والحاصباني والزرقا والعوجا والاعوج والاولى
والزهرافي والكلب والموجب والدامور والذهب وقنديل وصنوبر وقرشيش وبرغل
والمضيق والسن او الابتر وحر بصوف او مرقبة والجوز والكبيرة ونعمين والمقطع
والازرق والاخضر واي زابورة. ومن المناظر البديعة صنين وظير القضيب واهدن
والبهاضة واصطبل عنتر والصبر والنبي يوشع وناسيون والطور والمرمل والكرمل.

* * *

خيرات / وفيه ثنبت الحبوب والبقول والاشجار على اختلاف انواعها. ففي جنوبه
الشام: ا) وشرقيه النخيل. وفي سواحله الموز والبرنقال. وفي اواسطه السرو
والارز. ويجود فيه القطن والقنب والكتان والحرير والنيلة والدخان وقصب السكر
والعسل والارز والقوة والسماق والسوس. وتصلح مراعيه لتربية ضروب الماشية.
وفي ارضه ومياهه انواع الطيور والاسماك وتعيش فيه الجمال كما تعيش البغال وتضمن فيه
الجواميس كما ينمو الغنم والماعز فيه زهاء مئة وثلاثين نجما لم يستثمر منها الا الاسفلت والفوسفات
والحجر على ان فيه الذهب والفضة والنكل والحديد والفحم الحجري والرصاص والمغرة والنحاس
والكروم والزنابق والكبريت والسنباذج والجبس والبتروول والانتيمون والزاج والمرمر.
ومن الحمامات المعدنية حمام طبرية وحمّة سمنخ وحمّة ابي رباح وحمّة ضمير وحمّة
مولولا وحمّة انطاكية والمرقب وزرقاء معين وعجلون ولها كلها من الخواص الصحية
ما اشتهر امره.

* * *

هواء الشام / صُقع حوى غرائب الطبيعة تشهد فيه برداً قارساً بل شتاءً مستوفى
وماؤه: ا) في قنن جباله وسفوحه وفي الوقت نفسه تشهد في اغواره كغور بيسان
وغور الصافي وطبرية واريحا ربهاماً تاماً بل صيفاً معتدلاً، وبيننا تذبذب شمس الصفاة واللجاة

زأس قاصدهما، اذا به في ريح بليل عليل اذا قصد الجبال وما اليها . فهو مصطاف ومرنعب ومشتى في آن واحد . وفيه ما لا يكاد يوجد له مثيل في الارض : بحيرة طبرية تحت سطح البحر على ١٣١٦ قدماً وفيها اسماك كثيرة اما بحيرة لوط فلا يعيش فيها حيوان فكان نهر الأردن الذي يجري من بحيرة طبرية وينتهي بحيرة لوط هو في اوله حياة وفي آخره موت ، وهذا لا نظير له في العالم .

ومن عجائب طبيعة الشام ان نينجيس في بعض اصقاعه عيون طيبة ثرة في بقعة ضيقة . في الجديدة على مقربة من الحولة عشرات من العيون على هضبة سميت بها البلدة « مرج عيون » وفي جبل ريجان من عمل حلب عيون لطيفة داراة في الاعالي تكاد تخلو منها السهول المنخفضة المجاورة ومياه الشام على الجملة طيبة لذيدة .

* * *

خصائص قطر هذه مواهبه قامت فيه في الازمان الفائرة النصرانية واليهودية . الشام : ا وانبعت من ارجائه مجد من الاسلام ، فكان مباءة اول دولة عربية اسلامية ، والنصيرية ثم آوى اليه الشيع الغريبة من النخل والمذاهب التي لامثيل لها في غيره ، كالدرزية والاساعيلية والموارنة والسامرة بل معظم المذاهب الاسلامية والسجعية والاسرائيلية وتبلغ سبعة عشر مذهباً وجملة من العناصر القوية ذات المدنية التي استتمت عربا .

رأى الشام طلعة موسى وعيسى واحمد من النبيين ، وامثال الاسكندر وابن الخطاب ونور الدين وصلاح الدين وسليم ونابوليون وابراهيم من الفاتحين . وعمر بن عبد العزيز والمأمون وابن تيمية و ابا الفدا من المجددين . و بختنصر وهولاكو وجنكيز وغازان وتيمورلنك من المخربين ، وقل في الممالك كما قال كورتبوس ما اندمج فيه كثير من التواريخ في بقعة ضيقة كهذه .

الشام مهوى افئدة الشعوب المسيحية ، ومجاز حجاج المسلمين الى الاماكن الطاهرة الحجازية ، بل نقطة الاتصال القريبة بين آسيا وافريقية ، وآسيا واوربا ، بل بين القارات الثلاث القديمة آسيا واوربا وافريقية ، واجمل مصيف ومشتى للاقطار الحارة المجاورة كالحجاز والعراق ومصر . والشام في اواسط البلاد التي يتكلم اهلها بالعربية

هو بلد الخيال والشعر ، بل الهمم العلياء واستقلال الفكر ، وارضه ابدأ باسمه
طرية كسمائه :

مصحة ابدان ونزهة اعين ولهو نفوس دائم وسرورها
مقدسة جاد الربيع بلادها ففي كل ارض روضة وغديرها



سكان الشام

العمو / من الصعب الحكم على اصول السكان في بلاد الشام قبل ان يُعرف واللودانو: (التاريخ ، وتعيين اول من نزلها من القبائل قبل ان تبني الملعن والخواضر وتعرف المزارع والذساكر واقدم ما عرف منها قبائل كانت تعرف بالعمو ورد ذكرها في الآثار المصرية ومعناها الشعب باللغة السامية اختلطت على ما يظهرها بذرية لود اخي آرام، او غيرها من القبائل التي كانت تسكن بعض شمالي الشام ، وسمي هذا القبيل بالروتانو او لودانو ويقسمون الى روتان المغرب و يراد بهم سكان دمشق و بلاد كنعان ، والى روتان المشرق او الاعلى وهؤلاء كانوا ينزلون في شمالي اشام وجزء من غربي ما بين النهرين ولعل ذلك كان قبل الطوفان ، طوفان نوح او بعده بقليل . وقد حدث الطوفان قبل المسيح بنحو الفين وخمسمائة سنة ، ولم يم الكرة الارضية ولا قارة من قاراتها المعروفة ، بل انحصر في بقعة صغيرة من آسيا على الارجح اي انه كان في الجزيرة على ما ذكره اهل الادراك من المفسرين .

وظهرت بعد الطوفان ام كثيرة سكنت الشام ، بعضها من اصل سامي وبعضها لم يعرف عنه شيء ، ومنها ما عرف انه اتى من البلاد المجاورة ومنها من لم يثبت اصله . فقد ظهر بعد الطوفان الاراميون في دمشق والجيدور والجولان والبقاع وحمص ولبنان وآرام هو الاسم الذي اطلقته التوراة على الشام وبين النهرين وكان يسكنها ابنا آرام الابن الخامس لسام . واقام العموريون في البلاد الواقعة بين البحر والأردن ، والعمونيون في ارض جلعاد اي في شرقي الأردن ، والمواآيون في الجنوب الشرقي من

ببحيرة لوط ، والاسماعيليون من نسل اسماعيل جد العرب في سلع او البتراء وماجاورها . وانتشر الادوميون من وادي العربة الى حدود العقبة عقبه ايلة و الفينيقيون في صور وصيدا وجبيل ، و تفرعت من هذه القبائل فروع كثيرة في قرون مختلفة . ولا تعرف اصول اكثر هذه القبائل . وقد قال رولنسون ان اصل الفينيقيين من سكان البحرين في الخليج الفارسي ظنوا من هناك الى ساحل الشام منذ نحو خمسة آلاف سنة وانهم عرب باصولم وان هناك مدناً فينيقية اسمائها اسماء فينيقية مثل صور وجبيل . وذكر مكالستر انه سكنت فلسطين شعوب من غير الساميين و ربما عني بهم الحثيين والعموريين .

ومن اقدم شعوب الشام شعب كان ينزل منذ الزمن الاطول في الحوض الاعلى من نهري الفرات و قزل ايرمتق و يعتصم في مضائق جبال طوروس عرف عند اليونان باسم خيطايوس وعند العبران بجطي خطيم وعند الاشوريين بجاطي وعند المصريين بجاطي خاطي وعرفه المتأخرون بالحثيين وهو شعب غير سامي مجهول اللسان . واصل العبرانيين او اليهود سبط من الساميين الذين نزوا من جبال ارمينية الى سهول الفرات على عهد مملكة الكلدان الاولى و ضربوا نحو الغرب فجازوا الفرات الفلقر فالشام حتى انتهوا الى ماوراء بلاد الأردن وراء فينيقية . وتعرف هذه الاسباط بالعبرانيين يعني اهل ماوراء النزر . قال هشام الكلبى : ما اخذ على شرقي الفرات الى بوية العرب يسمى العبر واليه ينسب العبريون من اليهود لانهم لم يكونوا عبروا الفرات حينئذ . والعبرانيون كعظم الساميين شعب من الرعاة الرحالة لم يحرثوا الارض ، ولا سكنوا الدور والمنازل ، وقد دعيت بلادهم ارض الميعاد او ارض كنعان او فلسطين . ودعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها اهل النصرانية الارض المقدسة وكان عدد الاسرائيليين ايام عزم ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً .

* * *

الاراميون والعناصر (و بعد انقراض دولة الحثيين في القرن الثامن قبل الميلاد عمّ الأخرى : اسم آرام هذه الديار فاصبح القسم الاكبر من سور بوية يسمى آراماً وسكانها الآراميين وقد ورد اسم آرام في التوراة . مضافاً عدة مرات مثل آرام

رحوب وآرام معكة وآرام صوبا . وقيل ان إرم الواردة في القرآن مضافة ايضاً « ارم ذات العماد » هي دمشق بعينها . وللمفسرين في ذلك اقوال كثيرة ليس هذا محل ايرادها . وفي الشام عناصر متنوعة من نسل حام بن نوح وسام بن نوح ويافت بن نوح . اي ان فيها الدم الآري والقافاسمي والعربي والتركي وبعبارة اصرح فيها بقايا من الشعب الاشوري والبابلي والكلداني والكنعاني والفينيقي والبراني والحثي والفارسي والروماني واليوناني والتتري والعربي . وكانت منذ عهد بني اسرائيل موطن العصابات وفيها على رأي ابن خلدون قبائل فلسطين وكنعان و بني عيصو و بني مدين و بني لوط والروم واليونان والمالقة و الكريكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثيرة وبنوعاً في العصابة ، ولذلك يتعذر رد كل جنس الى جنسه اليوم بعد هذا التمازج الذي دام اكثر من ستين قرناً في هذه البوئقة الجميلة مضافة الى الاصول التي كانت فيها من قبل ونعني بهذه البوئقة بلاد الشام .

* * *

العناصر القديمة / كل أمة عظيمة عرفت في الشام طال عمرها بضعة قرون ثم فزيت والعرب : ا في غيرها وأدغم الضعيف في القوي وتمثل المغلوب في الغالب مع توالي الايام والليالي . هكذا يقال في السريان والبران واليونان والرومان . ويمكن ان يقال في الجملة انه كان في الشام منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد شعوب كثيرة اهمهم الكنعانيون النازلون في الجنوب والوسط والشمال يقطنها الآراميون وما وراء ذلك من الشمال يسكنه الحثيون . ولم تطل حياة عنصر في صحه بلاد الشام كما طالت حياة العرب فانهم فيها على اصح الاقوال منذ زهاء الفين وخمسةائة سنة واوصله بعضهم الى نحو اربعة آلاف سنة ، وهم الذين اندمج فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت فلم تعد تعرف غير العربية لساناً ومنزغاً . ولذلك كان من المعقول ان يدل الشامي بعربيته اكثر من ادلاله بفينيقيته وروميته وسريانيته وعبرانيته . وفي تاريخ فلسطين ان العرب دخلوا فلسطين قبل الاسلام بقرون . والدليل ان نرام سين بن سرجون ملك الكلدان غزا فلسطين سنة ٣٨٠٠ ق م وصادف في سيناً حكومة عربية ثم حارب قبيلة عمال العربية واسراميرها وقد ظهر من آثار بابل ما يثبت ذلك . ومنها ان سرجون الثاني غزا عرب البادية الذين

اعتدوا على بلاد السامرة واخضع قبائلهم ومنها عمود ومدين ومساكنهم شرقي الأردن وحارب عبايد واخذ منهم طائفة واسكنها في بلاد السامرة . ولما جاء الاسكندر الى غزة وحاصرها كانت حاميتها عربياً فقاومته اشد المقاومة ومنها ان احد تلامذة المسيح بشر بلغات عديدة منها اللغة العربية كما ورد في اعمال الرسل ومنها ان الحرث حاكم دمشق كان عربياً لما دخلها بولس الرسول كما ورد في رسالته الى اهل مدينة كورنثوس ومنها ان تيطس لما جاء لفتح القدس كان معه الحرث ملك العرب يقود فرقة عربية ومنها ان هركانوس المكابي النجى الى الحرث ملك العرب فأنجده وساعده على اخيه ارستوبولس ومنها ان فيلبس الروماني الذي صار امبراطوراً في رومية سنة ٢٤٤ ب ٣٠ م كان عربياً من بصرى حوران .

والغالب ان في العرب خاصية التثبل اذا جاؤوا شعباً قريه من منحيم وادخلوا عليه لغتهم وهم المادة العظمى التي ما زالت نفوذ على الشام واهل الدير والمدن والبادية والحضر منهم من اصبر الامم على الحروب والاسفار الطويلة والاكتفاء بميسور العيش لكنهم لا يصبرون على الضيم والاذى ولطالما غزوا من جزيرتهم العراق وفارس والجزيرة والشام ولم يسمع ان حكمتهم امة وقدمتكنوا كما قال جوياي من غزوا الاعداء وهم المغازة التي بينهم وبين العراق والشام اي صحراء الشام والنفود ومن هجم عليهم في بلادهم لم تدم سلطنته عليهم كملوك الاثور بين او رجع بالخبيبة والافضاح كغالوس .

* * *

دول العرب (كانت العرب تخلف الى الشام قبل الاسلام بقرون طويلة، قامت الاقدمين : ا) لهم فيها وفي جوارها دول عظيمة خلفت من آثارها ما دل على عظمتها فمنها دولة النبط ويغلب في اساء ملوك النبطيين اسم الحرث وعبادة ومالك وهم عرب من بقايا العماليقة والعماليقة قوم من عاد وهم القوم الجبارون في الشام . ولم تخلف البتراء غير تدمر واصل ملوكها من سلالة عربية ايضاً . وقد ابتقت هاتان الدولتان من اصولها وحاميتها جنداً كثيراً اصبحوا بعدد من جملة سكان الشام والمادة الاولى للعربية فيه . قال ناليو : النبط والنبط في اصطلاح العرب في القرون الاولى للهجرة اسم اهل الحضر المتكلمين باللغات الارامية الساكنين في الشام وخصوصاً في بلاد

ما بين النهرين وليسوا النبط او الانباط الذين اتسعت مملكتهم في ارض الحجاز
الشامية الى حدود فلسطين ونواحي دمشق .

* * *

سليح وغسان } وقد ذكر المؤرخون ان نزول العرب في ديار الشام اقدم من ذلك
والضجاعم : } بقرون فان نغلت فلازر الثاني احد ملوك اشور غزا الشام ممراراً
من سنة ٧٤٣ الى ٧٣٢ ق م واخضع في خلال ذلك السامرة ودمشق وصور وحمّة
وعرب البادية بين فلسطين ومصر وكانت عليهم يومئذ ملكة اسمها حبيبة . وقيل ان
اول من دخل الشام من العرب سليح وهو من غسان — وغسان ماء نزل عليه
قوم من الازد بين رَمع وزبيد في اليمن فنسبوا اليه — ويقال من قضاة فدانت
بالنصرانية ومالك عليها ملك الروم رجلاً منهم يقال له النعمان بن عمرو بن مالك فلما
خرج عمرو بن عامر مزيقيا من اليمن في ولده وقرابته ومن تبعه من الازد اتوا بلاد
عك في اليمن ثم ارض الحجاز وصار منهم قوم الى الشام منهم آل جفنة ملوك الشام
فكتب سليح الى قيصر يستأذنه في انزالهم فاذن لهم على شروط شرطها لهم . وبنو غسان في الحقيقة
حي من الازد على رواية المسعودي من القحطانية قال ابو عبيد وهم بنو جفنة والحارث وهو
ثعلبة والعتقاء وحارثة ومالك وكمب وخارجة وعوف بن عمرو بن مزيقيا وذكر
الحمداني ان في البلقاء طائفة منهم وباليرموك الجم الفقير وبمحص منهم جماعة .
وحكم ملوك غسان حوران والبلقاء والغوطة وحمص ودمشق . قال المسعودي : وكانت ديار
ملوك غسان باليرموك والجولان وغيرهم بين غوطة دمشق واعمالها ومنهم من نزل الاردن
وقد اخرجت غسان من الشام سليحاً وصاروا ملوكها واول من ملك جفنة بن عمرو فقتل ملوك
قضاة بن سليح الذين كانوا يدعون الضجاعم او الضجاعم ودانت له قضاة ومن بالشام من الروم
وجميع ملوك جفنة من آل غسان اثنان وثلثون ملكاً لبثوا في ملكهم ستائة وست عشرة
سنة وقيل اربعمائة سنة . وقد جمع اخبارهم كوسين دي برسفال في تاريخ العرب .

* * *

هذا في الجنوب اما في الشمال فقد نزل النوخيون قبل الاسلام بقرون
} وسموا نئوخيين لانهم حلفوا على المقام بالشام ، والتنغ والنوخ المقام ،
النوخيون

كانوا قبائل تناخم منازلها بلاد الروم فلما غزا ملك الفرس الروم ، وأذرع فيهم القتل والسبي وخرب العمائر ، انفذ ملك الروم الى نئوخ يستجدهم على ملك الفرس فأنجدهم ، وقاتلوا معه قتالاً شديداً ، ثم سألوا ملك الروم ان يتولوا حرب الفرس منفردين عن جند الروم لتظهر له طاعتهم وغناؤهم فاجابهم الى ذلك فقاتلوا الفرس وظفروا بهم ، فاعجب بهم ملك الروم وفرق فيهم الدنانير والثياب وقر بهم وادناهم واقطعهم سورية وما جاورها من البلاد الى الجزيرة . وسورية مدينة بقرب الاحص على جانب البرية . قال ابن العديم هذا منعه امرهم في الجاهلية .

ولم يعرف الزمن الذي كان فيه النئوخيون ، وبعضهم يقول انهم كانوا في اواخر القرن الثالث للمسيح ويقول المسعودي : ان قضاة بن مالك بن حمير اول من نزل الشام وانضافوا الى ملوك الروم فمذكوم ، بعد ان دخلوا في دين النصرانية ، على من حوى الشام من العرب ، فكان اول ملوك نئوخ النعمان بن عمرو بن مالك ، ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو ، ثم ملك بعده الحواري بن النعمان ولم يملك من نئوخ غيرهم . ثم وردت سلع الشام فنغلبت على نئوخ ونصرت فمذكتها الروم على العرب الذين بالشام . قال : وغلبت غسان على من بالشام من العرب فملكها الروم على العرب وقال : ان من ملكته الروم من اليمن بالشام نئوخ والضحام من سلع بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاة وغسان استكنافهم من بلبيهم من بادية العرب .

* * *

المهاجرات } والغالب ان معظم مهاجرات العرب الى الشام كانت تقع عقيب
والايطوريون } حوادث طبيعية في ارضهم من جفاف وطوفان وجدب وموتان ،
فيستهو بهم بخصبه ، ويتنجمون هناء العيش في ارجائه . وفي الاغاني لما ارسل الله سيل
العرم على اهل مأرب قام رائدهم فقال : من كان منكم يريد الحجر والحخير ، والأمر
والنأمير ، والدباج والحري ، فليحلق ببصرى والحفير ، وهي من ارض الشام فكان
الذين سكنوه غسان .

ومن الدول العربية التي اشتهرت زمن دخول الرومان الى سورية دولة الايطور بين ومعنى الايطور بين بالبرية الجليليون وهم شعب عربي جاء وامن ايتورة اي الجيدور شمالي

حوران واشتهروا برومي النشاب فاستولوا بمضائهم الحربي على جبل الشيخ (حرمون) والبقاع الي فينيقية وبعض اسماء الجنود الجيدور بين التي جاءت في الكتابات اللاتينية باللغة الارامية وبعضها باللغة العربية . قال دوسو : لم تكن هجرة العرب الي سورية ما ينسب لادارة الرومان كما يظن بعضهم بل ان الاحوال قد سهلت طرقها في ذاك العصر وضمنت لهم رسوخ قدمها في ظل السلام . فقد كانت مدينة حمص في يد حكومة عربية قبل وصول القائد بومي الي سورية وان الاقيال الذين تولوا امر تلك البلاد لتطلق عليهم القاب عربية صرفة . كما يفهم من آثار الصفا . ولما جاء الاسكندر الي الشام كان العرب يحتلون لبنان .

* * *

سليج وعاملة) ومن يجب عدم في المهاجرة الأولى من العرب الي بر الشام سليج الذي وقضاعة (اشرنا اليهم آتقاً فقد قال البكري : سارت سليج بن عمرو بن الحاف ابن قضاعة يقودها الحدرجان بن سلمة حتى نزلوا ناحية فلسطين على بني أذينة بن السميدع من عاملة وانتشر سائر قبائل قضاعة في البلاد ، يطلبون المتسع في المعاش ويؤمنون الارياف والعمران ، فوجدوا بلاداً واسعة خالية في اطراف الشام قد خرب اكثرها ، واندفت آبارها ، وغارت مياهها ، لآخراب بخت نصر لها ، فافترقت قضاعة فرقاً اربعاً ينضم الي الفرقة طوائف من غيرها يتبع الرجل اصهاره واخواله فسار ضجيم ابن حماطة وليهد بن الحدرجان السليجي في جماعة من سليج وقبائل من قضاعة الي اطراف الشام ومشارفها وملك العرب يومئذ ظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هزير العماتي فانضموا اليه وصاروا معه فانزلهم مناظر الشام بين البلقاء الي حوارين الي الزيتون (جبال فلسطين) فلم يزالوا ملوك العماليق يغزون معهم المغازي ويصيبون معهم المغانم حتى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن عدي بن نصر الحمي واستولوا على الملك بعدها فلم يزالوا ملوكاً حتى غلبتهم غسان على الملك قال بعض آل سعد بن ملكيكر بذكر منازل من خرج من اليمن وقد ذكر غسان وقضاعة وكتباً :

وغسان حي عزم في سيوفهم كرام المساعي قد حووا ارض قيصر
وقد نزلت منا قضاعة منزلاً بعيداً فامست في بلاد الصنوبر
وكلب لها ما بين رملة عالج الي الحرة الرجلاء من ارض تدمر

وعالج رمال معروفة في البادية والحرة والرجلاء في ديار بني القين في اطراف الشام بين حوران وتيماء والشاعر يقول انها من ارض تدمر . وفي تاريخ الامم الاسلامية : « ان الضجاعة ملوك اصطنعهم الرومان لينموا عرب البدية من العيث وليكونوا عدة ضد الفرس وولوا منهم ملكاً ومن اشهر ملوكهم زياد بن المهولة » .

ظم ، جذام ، عاملة ، ذكر الهمداني مساكن من تشاءم من العرب اي دخل ذيبان ، كلب : الشام فصال اما مساكن ظم فهي منفرة واكثرها بين الرملة ومصر في الجفار ومنها في الجولان ومنها في حوران والبثنية ، ومدينة نوى ، وبها خلف بن جبلة القصيري وابن عزيز النخعي مسكنه طرف جبال الشراة واما جذام فهي بين مدين الى تبوك فالى اذرح ومنها نخد مما يلي طبرية من ارض الأردن الى اللجون واليسامون الى ناحية عكا واما عاملة فهي في جبلها مشرفة على طبرية الى نحو البحر واما ذيبان فهي من حد البياض بياض قرقرة — والقرقرة الارض الملاء — وهو غائط — والغائط كالغوطة المطمئن من الارض — بين تيماء وحوران لا يخاطهم الاطيء وحاضرهم السواد ومرور الحياتيات — والحياتية كورة بالسواد من ارض دمشق وهي كورة جبل جرش قرب الخور — واما كلب فساكنها السماء — والسماء الارض المستوية لا حجومها وهي البادية بين الكوفة والشام — ولا يخاط بطونها في السيادة احد . ومن كلب بارض الغوطة عامر بن الحصين بن عليم وابن رباب المعقلية ومن بني الحرث بن كعب بيت يسكنون بالفتحة من ارض دمشق — والفججات في شعر حسان بالشام كلشارف والمزائف بالعراق والمشارف جمع مشرف قرى قرب حوران منها بصرى من الشام —

جهينة ، القين ، ثم للحم ومن يخاطها من كنانة ما حول الرملة الى نابلس ولم ايضاً بهراء ، نونخ : (ما جاز تبوك الي زغر — قرية بمشارف الشام — ثم البهيرة الميتة وللحم ايضاً الجولان وما يليها من البلاد نوى والبثنية وشقص من ارض حوران

ويخالطهم في هذه المواضع جهينة وذبيان ومن القين وعن ايسر جبال الشراة مدائن قوم لوط قال : وفي الحياتيات وما يليها ديار القين حيث كانت بقية من جديس اخوة طسم فاذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسان من آل جفنة وغيرهم فان تهاست من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في ارض بهراء ثم من ايسرهم مما يصل البحر نونوخ وهي ديار الفصية سادة نونوخ ومكودم (المقيم الملازم) ومنها اللاذقية على شاطئ البحر ثم تقع في نصارى وغير ذلك الي حد الفرات وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية وخلفها مما يلي العراق حماة وشيزر وكفر طاب لكنانة من كلب .

* * *

اياد وطبيء وكندة وحمير وعذرة) ويؤخذ مما قاله اليه قوبي ان اهل حماة قوم وزبهد وهمدان ويحصب وقيس : (من بين والاغلب عليهم بهراء ونونوخ وصوران - كورة بحمص - وبها قوم من اياد واهل حمص جميعاً بين من طبيء وكندة وحمير وكلب وهمدان وغيرهم من البطون واهل التمة من اقاليم حمص كلب واهل سلمية من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي ومواليهم واهل تدمر كلب وتلنس مساكن اياد (وتل مآس حصن قرب المعرة) ومعرة النعمان اهلها نونوخ واهل البارة بهراء وفامية عذرة وبهراء واهل مدينة شيزر قوم من كندة ومدينة كفر طاب والاطميم وهي مدينة قديمة واهلها قوم من بين من سائر البطون واكثرهم كندة واهل اللاذقية قوم من بين من سليح وزبهد وهمدان ويحصب وغيرهم واهل مدينة جبلة همندان وبها قوم من قيس ومن اياد ومدينة بلنيس واهلها اخلاط واهل مدينة انطرطوس قوم من كندة .

قال وكانت دمشق منازل ملوك غسان والاغلب على اهلها اهل اليمن وبها قوم من قيس واهل القوطة غسان وبطون من قيس وبها جماعة من قريرش وجبال ومدبنتها عرندال - قريرش من ارض الشراة - واهلها قوم من غسان ومن بلقين وغيرهم وما بوزغر واهلها اخلاط من الناس والشراة ومدبنتها اذرح واهلها موالي بني هاشم وبها الحميمة منازل علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وولده . والجولان ومدبنتها بانيس واهلها قوم

من قيس اكثرهم بنو صرة وبها نفر من اهل اليمن وجبل سنير — اي ابنان الشرقي ويدخل فيه جبل قلمون ووادي التيم — واهلها بنو ضبة وبها قوم من كلب .

* * *

الفرس والزط } و بعلبك واهلها قوم من الفرس وفي اطرافها قوم من اليمن وجبل
وعهداهل الذمة: { الجليل واهلها قوم من عاملة ولبنان وصيدا وبها قوم من
قريش ومن اليمن وكورة عرقه — شرقي طرابلس — ولها مدينة قديمة فيها قوم
من الفرس ناقلة وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة ومدينة طرابلس واهلها قوم من
الفرس تعلمهم اليها معاوية بن ابي سفيان كما نقل منهم الى جبيل وصيدا وبيروت .
وقد نقل معاوية قوماً من فرس بعلبك وحمص وانطاكية الى سواحل الاردن وصور
وعكا سنة ٤٢. وتقل من اساورة البصرة والكوفة وفرس بعلبك وحمص الى انطاكية
جماعة . والغالب ان الفرس عند دخول العرب المسلمين الى الشام كانوا اصحاب مكانة
حتى جرى ذكرهم بالنصيص في العهد الذي اعطاه ابو عبيدة الى اهل بعلبك « رومها
وفرسها وعربها » .

وقال البلاذري : نقل معاوية في سنة ٤٩ او سنة خمسين الى السواحل قوماً من
زُط البصرة والسباجية وانزل بعضهم انطاكية وكان الوليد بن عبد الملك نقل الى
انطاكية قوماً من الزط السند وخرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك .
فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن العباس من قتل مقاتلتهم واقراً من بقي منهم
على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان . قال البلاذري : فحدثني القسم بن
سلام ان محمداً بن كثير حدثه ان الاوزاعي كتب الى صالح رسالة طويلة حفظ
منها : وقد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على
خروجه ممن قنلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم . ما قد علمت فكيف تؤخذ عاهة بذنوب
خاصة حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى ان « لا تزر وازرة وزر اخرى »
وهو احق ما وقف عنده وانندي به واحق الرصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانه قال : « من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فانا حجيجه »
ثم ذكر كلاماً .

الاخلاط والسامرة وجذام / واهل مدينة طبرية قوم من الاشعر بين هم الغالبون
وعذرة ونهد وجرم والازد: (عليها واهل صور وعكا وقدس وبيسان وفحل وجرش
والسواد اخلاط من العرب والهمج واهل الرملة اخلاط من الناس من العرب والهمج
وذمتها سامرة واهل مدينة نابلس اخلاط من العرب والهمج والسامرة واهل كورة
جبرين قوم من جذام واهل جند فلسطين اخلاط من العرب من غم وجذام وعاملة
وكندة وقيس وكنانة. وذكر القاقشندي : ان بني كلب كانوا ينزلون في الجاهلية دومة
الجندل (الجوف) كما نزلوا تبوك وشيزر وحلب وبلادها وفي تدمر والمناظر اقوام
منهم ومن بني عذرة اقوام بالشام وكذلك من بني نهد وفي بلاد غزة جرم طيب
وللازد بقايا في زُرْع وبصرى ولفسان بقايا ببلاد البلقاء والبرموك وحمص وهذا في
القرن الثامن للهجرة وكان غسان وجذام وكلب وغم وغيرهم من القبائل يعدون من
المستعربة كما قال ابن البطريق استجلبهم هرقل لما سمع ان المسلمين فتحوا فلسطين
والاردن وصاروا الى البثنية . ولما وصل ابو عبيدة بن الجراح فاتح الشام الى حاصر
حلب وهو قريب منها جمع اصنافاً من العرب من ثنوخ وغيرهم وكانوا ارسلوا الى
خالد بن الوليد انهم عرب وانهم انما حشروا مع الروم ولم يكن من رايهم حربه
فقبل منهم وتركهم .

* * *

قيس ويم / وهكذا رأينا مما تقدم من النقول ان كل اقليم بل كل بلد
واحصاء السكان: (ناله حظ من نزول العرب في ارجائه وذلك قبل الاسلام وبعده :
بها غدر القبائل من معدّ وقحطان ومن سرّوات فير

والمجموع اصولهم يرجع الى قيس ويم وهم الذين كان يطلق عليهم اسم العشران
وكثيراً ما كانت تقع بينهم حروب اهلية تسيل فيها الدماء وينادي فيها بالثارات
انتشروا من الجنوب الى الشمال ودام ذلك الى العهد الاخير وكانت بقايا هذه النعمة
في لبنان الى القرن الماضي فذثرت وآخر حرب نشبت بين قيس ويم الحرب التي وقعت
في قرية خربة بفلسطين والحرب التي نشبت في قرية عين داراة في جبل لبنان سنة ١٧١٠م .
ويتعدّر الآن الحكم على اجيال العرب التي نزلت الشام 'مراً على البلاد من ضروب البلاء

كالوباء والجذب والزلال والظلم والجلاء وقد ذكر لامنس ان العرب المسلمين لما انتهوا من امر الجلبية وعمّ واس ودابق اي لما فتحوا الشام برمتها انشأوا ينزلون المدن والقرى وقد دخل منهم قبائل برمتها قدرها من مئة الروم مائتي الف ونظن هذا التقدير اقل من الحقيقة لان المسجلين بديوان العطاء في دمشق فقط كانوا في الصدر الاول خمسة واربعين الفا فما بالك بسائر من كان يجري عليه العطاء في البلدان الاخرى وغيرهم من التجار واصحاب الزرع والضرع قال فلو فرضنا ان نصفهم قتلوا في الحروب فبقي النصف الآخر امام سكان البلاد وكانوا من اربعة الى خمسة ملايين وكان في الشام على عهد الرومان نحو سبعة ملايين . وقال بعض الباحثين من الافرنج : ان الشام على عهد الاسكندر اى قبل المسيح بثلاثة قرون كان يسكنها عشرون مليوناً من البشر ولما جاءت العرب في القرن السابع كان سكانها قد تنقصوا حتى بلغوا عشرة ملايين وفي عهدنا نزل عددهم الى اربعة ملايين . وفي هذا الاحصاء ضرب من ضروب المبالغة .

* * *

المردة والجراحة والارمن (وقد اخذ يوستينيانوس ملك الروم اثني عشر الف مقاتل من الروم والوارنة : المردة او الجراحة على رواية الدوبيهي وكانوا اشداء وذلك ارضاء للخليفة عبد الملك الاموي . واسكن ابو جعفر المنصور بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلاد المردة في لبنان فجلا الامير فند بن مالك واخوه الامير ارسلان بجماعة من عشيرتهما من بلاد المعرة سنة ١٤١ هـ . فنزلوا في وادي التيم في الحصن المعروف بمحصن ابي الجليش ثم تفرقوا في جبل لبنان وعمروا الخالي من ارضه وفي ادائل حكم العباسيين اخرج صالح بن علي قوماً من الارمن واللان ممن كانت الروم تسيروهم من ارمينية مع كوشان جاثليقهم واسكنهم سورية ومن هذا اليوم امنع ملوك الروم ان يسكنوا في سلطانهم احداً من الارمن ولا سيما في المواضع القريبة من الثغور اى ثغور الشام او بلاد قيليقية . وفي سنة ١٨٩ ارسل هرود الرشيد منشوراً الى الامير ثابت بن نصر الخزاعي امير الثغور الشامية ومناشير اخرى الى باقي عمال الشام ان يطلقوا النبيه في البلاد بالرحيل الى لبنان لتشتد قوة امرائه . ومثل ذلك وقع منذ خمسة قرون على ما في دواني القطوف فهاجرت مئات من الاسر المسيحية في القرن

الرابع عشر وبعده من حوران وما اليها الى لبنان واعتصمت في معاقله ولا سيما بعد الفتح العثماني وذلك نقادياً من قوة الشيعة في تلك البلاد كما ان الموارنة انتقلوا من جهات حمص وظلوا ينتشرون في شمالي لبنان حتى وصلوا الى كسروان والمتن والشوف واقصى بلاد لبنان في جزين كما انتقل الدرروز في الاعصر الثلاثة الاخيرة من الشوف ووادي التيم وغيرها الى جبل حوران الذي كان يسمى جبل الريان وجبل بني هلال او امالدانوس واصبحوا فيه الاكثرية المطلقة . وكما هاجر النصارى الشرقيون الى القدس من ارض البلقاء وعمان وعرفوا بالمشرقيين ومحتهم بالمشارقة . وبهذا رأينا ان الهجرة من صقع الى صقع من اصقاع هذا القطر والهجرة من القاءية والهجرة الى القاصية لم تنقطع في الاسلام كما انها كانت كذلك منذ جلاء بني اسرائيل الى بابل بل قبلها مما لم تباغنا بالتفصيل اخباره .

* * *

التركان والأتراك والاكرد / نزل التركان على عهد دولة بني مرداس العربية في والشركس وغيرهم : شمالي حلب وسير الاتابك زنكي طائفة من التركان الايونية مع الامير اليارق الى الشام واسكنهم في ولاية حلب وامرهم بجهاد الافرنج وملكمهم كل ما استنقذوه من البلاد للافرنج وجعله ملكاً لهم . ولم يزل جميع ما فتحوه في ايديهم الى نحو سنة ستمائة . واسكن صلاح الدين كثيراً من التركان والاكرد في لبنان وساحله . والتركان والاكرد كثروا جداً في الشام على عهد الدولتين النورية والصلاحية وكن قسم عظيم من جند المسلمين اذ ذاك منهم فتديروا البلاد واستعربوا الاقليلاً . ولم تحي دولة المماليك حتى كثرت الشراكسة في البلاد واستعربوا وحكومتهم مع ازمين . وفي عهد العثمانيين نزل قبائل من التركان في بغراس (بيلان) وما اليها من البلاد وعادت هذه فنعربت بين كان نزلها من الاسماعيلية العرب الذين اخضعوا لسلطانهم تلك الجبال جبال اللسكام وما اليها .

جاء القرن الحادي عشر وفي الشام كما قال كاتب جلبي انواع اللسنة من العربية والتركية والكرديّة والفارسية والهنديّة والافغانية والسليمانية وهذا كله في دمشق قال وهناك مغاربة وسريان وعرب وفي الاسكندرونة وطرابلس وصيدا والقدس

اليونان واللاتين والطلبيان والفرنسيس والاسبان والانكليز والنمساويون والبولونيون والروس والموسكوف والتبطن والحشب والارمن وجميع طوائف النصارى اه .
ومن اعظم شعوب اوربا عراقا في هذه الديار البنادقة والبيزان والجنوبيون والطوسقانيون من أم ايطاليا وكانت تجارة البحر المتوسط في ايديهم الا قليلاً من القرن الخامس الى القرن التاسع للهجرة ومنهم من توالد في البلاد وملك الدور والتجارات الواسعة .

المهاجرون المحدثون) وفي اواخر القرن الماضي جاء الشام قبائل كثيرة وجاليات اليهود والارمن : (معمة من الطاغستان والبشناق والششن والشركس والمغاربة فنزلوا بعض القرى في فلسطين مثل قيسارية وبعض بلاد الجنوب مثل عمان وعين صولح وناعبور ووادي السير وبعض القرى في اقليم الجولان ومنها القنيطرة وما اليها من القرى وبعض قرى حمص وحلب فلم يأت عليهم بطن حتى استعربوا الا قليلاً كما استعرب من قبل التراكمة والاكرد . وهناك بقايا من موظفي الترك سكنوا بعض مدن الشام على عهد العثمانيين وامتزجوا باهلها وتعربوا .

ومن اهم المهاجرين المتأخرين مهاجرة الصهيونيين من الاسرائيليين الى فلسطين واكثرهم ممن اضطهدوا في روسيا وبولونيا ورومانيا ومنهم من اهل العنصر الجرماني وهؤلاء يتعاصون على التعرب وقد جعلوا من لغاتهم الاصلية واللغة العبرية السنهم المدنية والدينية ويقدرون الاسرائيليين عامة بحسب احصاء الحكومة الاخير في فلسطين بثلاثة وثمانين الفا وسبعائة واربع وسبعين نفساً من اصل سكان بلغوا ٧٥٧٦١٨٢ نفساً من العرب . وما ندرى هل يعلم ابناء اسرائيل العرب لسانهم ام يخضع العبرانيون بحكم الطبيعة الى التعرب بعد جيلين او ثلاثة كما جرى في كل مكان وطئتها اقدم العرب . وكذلك يقال في مهاجرة الارمن والروم في سورية فقد قذفت الحوادث الاخيرة في قيليقية وازمير نيفاً ومائة وثمانين الف نسمة اكثرهم من الارمن نزلوا حلب ودمشق وبيروت وغيرها من البلدان الصغرى وما يدرينا ايضاً اذا كانوا يستعربون كما ترك اجدادهم في آسيا الصغرى . واصبح الارمني والرومي

لا يعرف غير التركية يتكلم بها في داره ويفهم بها صلواته ام يؤلفون كتلة جديدة في وسط هذا المجموع العربي الكبير .

عوامل (ولولا ان مضى على الشام الى قبيل الحرب العامة خمسون سنة وهو النمو :) يرسل من ابناؤه كل سنة الى اليمن زهاء عشرة آلاف مجند يهلك اكثرهم كما اكد لي الثقة لقلنا وما زالت جزيرة العرب الى اليوم ترسل الى الشام من ابنائها اناسا يسكنونها ويمتزجون باهلها كما ن بلاد هذه الجزيرة العظيمة بعض ولايات الشام تعطيا اكثر مما تأخذ منها كما تعطي المدن الصغيرة للعواصم وقلما تعطي هذه لغيرها من اعماما . ولولا اعتدال المناخ والرضا بالدون من العيش وتعدد الزوجات في الطبقة النازلة من الشعب والاعتقاد بالقدر وترك الابوين المجال للتوالد لظهر عجز كبير في عدد السكان خصوصا بعد ان منيت الشام بالهجرة على مقياس واسع ولم يخفف بالاسباب الصحية احتفال الغربين بها في بلادهم والام يكثر سوادها على قول سكرتارن باربعة عوامل وهي الهجرة والاستيطان والولادات والوفيات وبنقيضها تفقر البلاد ويقل عدد ساكنيها . وقد كان ابناء الشام منذ عهد الدولة الرومانية في كل مكان كما تراهم الآن وكان منهم في جيش جرمانيكوس القائد الروماني عدة كتاب عندما حمل حملته على الرين . والبشر في فطرتهم النقل والسלטان الارضي والسלטان الطبيعي آثار في ذلك مسطورة مشهورة .

العرب في الشام (وما زالت الى اليوم سمحات بعض سكان الاصقاع الشامية والاختلاط :) كحوران والبلقاء ثم عن اصول عربية صرفة على ما نرى ذلك مائلا في الطوائف التي احتفظت بانسابها العربية ولم يدخلها دم جديد كسكان الشوف ووادي التيم وجبل حوران وجبال الكلبية . وما طول القامات واتساع الصدور ومثانة العضلات والجملة العصبية والادمغة في الجماعات كما في الافراد الا ادلة ناصعة على ماورثه ابناء البلاد من الدم العربي . وفي الشام جميع الامزجة يكثر الدمويون مثلا في بلاد الداخيلة كالقدس وناבלس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وانطاكية كما

يكثر الصفراويون العصبيون في يافا وحيفا وصيدا وبيروت وطرابلس واللاذقية والاسكندرونة من مدن الساحل وان ما في تركيب ادمغة السوربين من اشكل الرؤوس كالشكل البهضوي المستطيل المعروف عند الافرنج (بدوليكوسفال — Dolichocéphale) والشكل المدور المنبسط المعروف (ببراكيسفال — Brachycéphale) ليبدل كل الدلالة على مبلغ الشاميين من الذكاء والمضاء فقد قال فوليه : ان اتساع الجبهة يشعر باستعداد الحواس العقلية وامتداد القذال ينم عن استعداد للشهوات الجسمية . وفي وجوه السور بين ثقرأ بعض اصولم القديمة وما امتزجت به من الدم الحديث فسمود الشعور والعيون والبشرة اجمالاً هم من اصل عربي وشقر الشعوب وزرق العيون وبيض البشرة فيهم الدم القافقاسي . وفي تراكيهم دم العبيد والزنوج كما فيهم دم العرق الابيض . قال جلايبرت : (المشرق ٨) اذا فحصت الصور المكتشفة في صيدا تحققت انه كان يدخل في خدمة السلوقيين رجال من كل فج و صوب منهم يونان كأهل لقديمونة واقريطش ومنهم اسويون كأهل قارية وببيدية وليقية وليدية فيجار العقل باختلاط كل هذه الجزيات في جيوش السلوقيين .

وبعد فان سكان الحولة واريجما والغور لايشبهون بالطبع سكان اللبنانيين الغربي والشرقي وجبال اللكام لمكان الهواء واختلاف البعد والقرب عن سطح البحر . وابن ضفاف العاصي وبردى ليس في طبيعته كالنازل على ضفاف الأردن والفرات . والاختلاف « ما بين من نزل البطون و بين من نزل الحزوت و بين من نزل النجود و بين من نزل الاغوار » معروف مشهود في كل أمة ومع هذا تساوى سكان هذا القطر من حيث الجملة كما قال الجاحظ في العرب : « في التربة وفي اللغة والشماثل ، وفي الأنفة والحمية ، وفي الاخلاق والسجية ، فسبكوا سبكاً واحداً ، وافرغوا فراغاً واحداً ، وكان القلب واحداً ، تشابهت الاجزاء وناسبت الاخلاط حتى صار ذلك اشد تشابهاً في باب الاعم والاخص وفي باب الوفاق والمباينة من بعض الارحام » . وقصارى القول ان من نراه من ابناء الشام على اختلاف ارجائه وهوائه هم سلالة اولئك الحدود ظهوروا على الزمن بظهور آخر فكانوا كما بدع الفسيفساء في الرقعة الجميلة .

لغات الشام



اللغة الآرامية والسريانية والعبرانية / اللغات التي انتشرت في الشام قبل الاسلام
والفينيقية والعربية (كثيرة اهمها اللغات السامية. اخوات اللغة
العربية وهي السريانية والعبرانية والفينيقية . وقد قسم جو يدي ^(١) اهل اللغات
السامية الى قسمين ا كبرين شرقي وهم اهل انوراي اهل بابل واشور وغربي وهو
اما شمالي واما جنوبي فاما الشمالي منها فينقسم قسمين كبيرين احدهما الكنعاني ويشمل
العبراني والفينيقي وغيرهما والاخر آرامي . واما الجنوبي فهو نوعان النوع الاول
العربية المهودة اي لغة القبائل التي سكنت النواحي الشمالية من جزيرة العرب والنوع
الثاني عربية القبائل الجنوبية كسبأ وحمير ويشبه هذا النوع لغة الحبش القديمة وقد
يسمى النوع الاول لسان العرب المستعربة وقد يسمى النوع الثاني لسان العرب العاربة
فالعبرانية من لغات كنعان ومن اللغات الكنعانية لغة موآب ومن لغات الكنعانيين
لغة الفينيقيين وقال : ان اللسان الآرامي هو النوع الثاني من القسم الشمالي في اللغات
السامية وفي هذا اللسان قسمان احدهما غربي وهو لسان اليهود المتأخرين في

(١) قال جو يدي : واول ما بلغنا مما سطره البابليون هو في غاية القدم اي من
القرن الاربعين قبل الميلاد واكتتابات الكنعانية في مكاتيب تل العمارنة هي من
القرن الخامس عشر قبل الميلاد ثم الكتابات السبئية في جنوب جزيرة العرب فيسـل
انها من القرن الثاني عشر واكتتابات الفينيقية والآرامية من القرن الثامن او السابع
ق ٠ وكتتابات الحبش القديمة سطرت في منتصف القرن الرابع بعد الميلاد .

فلسطين وفي مصر وهو لسان عدة أم كالسامرة والنبط واهل تدمر والقسم الثاني شرقي وهو لسان اليهود في بابل ولسان السريان وغيرهم .
 قال : ومن اللغات الآرامية الغربية لغة الكتابات النبطية وكان الانباط أمة عربية الاصل ولغتهم المأنوسة العربية للتكلم والمحاورة بين الناس لا لكتابة الرسائل والكتابات اذ الاحرف الهجائية لم تستنبط بعد عند العرب .

* * *

البابلية والكنعانية } فكان اهل الشام منذ الزمن الاطول قبائل سامية من البابليين
 والكلدانية : } ولم يزل يهاجر اليها اجيال من الناس سموها الكنعانيين فغلب
 الكنعانيون البابليين وباللغة البابلية كتبت رسائل تل العمارنة التي وجدت في مصر سنة ١٨٨٨م وهي رسائل صدرت عن عمال الشام الى ملوك مصر قبل موسى وهرون فاستدل علماء الافرنج ان اللغة البابلية كانت في ذلك العهد لغة الحكومة بين الدول الراقية وارتأى بعضهم ان الشام كانت تتكلم اذ ذاك بالبابلية وكان اللسان الكنعاني اخذ يمتزج بلغة بابل فغلب بفرعيه العبراني والفينيقي على لغة اشور وبابل . وكان الكلدانيون يتكلمون بالآرامية على رأي بوست وفقاً لعادة ديوان الحكومة ولكنها لم تكن لغتهم الخاصة ولا العلمية اما لغة الكلدانيين الاصلية فالكلدانية القديمة وهي لغة أكد وقد استعملها سكان بابل الاصيلون الا انها كانت على وشك الاضمحلال في زمن بخت نصر وقد هجرتها الالسنة لذلك الحين وكان ظهور اللغة المسماة الآن بالسريانية في القرن الثاني بعد المسيح وهجر اهلها استعمالها نحو القرن الثاني عشر .

* * *

الحثية والآرية } اما اللغة الحثية فكانت على قول كروفرد في القرن الرابع
 واليونانية واللاتينية : } عشر والثالث عشر قبل التاريخ المسيحي لغة مستعملة من
 اللغات الهندية الاوربية اي اللغات الاوربية المشابهة لللاتينية والآرية الايرانية
 والارمنية وان الحثيين انفسهم من سلالة آرية اوربية ولكن امتزج بهم مع الزمن
 دم من غير الدم الآري الاوربي اي ان الحثيين من اصل غير سامي ولم تنتشر لغتهم

كما قال حتى بين عامة البلاد ولم يتوفق الجاثون الى حل رموزها حتى الآن . فاللغة البابلية كانت منتشرة في الشام منذ هاء ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح ثم تغلبت الكنعانية التي تشمل العبرانية والفينيقية ثم تغلبت الآرامية على الكنعانية وهما متشابهتان . ولما صار الامر الى الفرس بعد البابليين في الشام بقيت اللغة الآرامية لغة البلاد الرسمية . اما دولة الروم السلوقية خلفاء الاسكندر فقد بشوا المدينة اليونانية في سكان سواحل البحر المتوسط وكانت مع هذا الى ضعف ولاسيا في لبنان اذ دام اهله على استعمال الآرامية ممزوجة باللغة الفينيقية وكانت اليونانية اللغة الرسمية ولغة العلماء على عهد الروم والرومان ايضا في كثير من البلاد . وكانت مدرسة الفقه في بيروت تدرس باللاتينية مدة اربعة قرون . واكن اليونانية على تأصلها بالنسبة للاتينية لم تشع في العامة . ولما استولى الايطوريون على لبنان لم يغيروا شيئا من لغته ولا شك في ان لغتهم كانت العربية الآرامية . اما النبط وهم من اقارب الايطوريين وجيرتهم فان لغتهم لم تكن سوى لهجة آرامية .

وذكر احد الباحثين : ان الرومان لما جاؤوا الشام واستعمروه انتشرت اللغة اليونانية في المراكز الكبرى حتى نسي كثير من اللغة الفينيقية واللغة الآرامية ولا سيما بين الاشراف واصحاب الثروة . بقيت اللغة اللاتينية لغة الحكومة وحافظت العامة على اللغة الفينيقية والسريانية وكان الفقهاء يكتبون باللاتينية لغة الفقه والقضاء ، والادباء والفلاسفة باليونانية وهي اللهجة العامة في الشرق واللغة الآرامية هي اللغة الرسمية لدولة تدمر . وظل الشاميون يتكلمون اليونانية على عهد انتشار النصرانية وكذلك عمال الحكومة ورجال القضاء وكان الآراميون او الانباط كما كان يسميهم العرب في كل محل ما عدا المدن التي كانت مزيجاً من عناصر مختلفة .

* * *

تنازع السريانية } قال بعضهم : ان السريانية كانت لغة عامة في الشام لم تدر
مع العربية : } الا بتملك الرومان على الشرق ونشرهم لغتهم فيه فدرج مجد
السريانية ولم يبق الا القليل حتى جاء الاسلام وادخل العربية . وقال آخر : ان
السريانية كانت على عهد المسيح اللغة العامة في سورية وفلسطين ممزوجة بقليل من العبرية .
ورأى دى فوكويه ان جميع الكتابات التي وقفنا الى اكتشافها لا تتجاوز القرن الاول

قبل الميلاد واللغة التي كان شعوب سورية يتكلمون بها الاماندر هي اللغة الآرامية وجميع الكتابات التي عثرنا عليها في تدمر وحوران وبلاد النبطيين كتبت بهذا الفرع من اللغة السريانية . واللغة التدمرية واللغة اليونانية هما الغالبتان على الكتابات المكتشفة في تدمر . قالوا : وكانت اللغة اليونانية بمنزلة اللغة الرسمية في جميع الاقاليم الشرقية الخاضعة لدولة الرومان واما لسان اهل تدمر فهو لهجة آرامية على غابة الشبه بالسريانية . وقال بعضهم : انها من اللغات الآرية الغربية ونقارب النبطية وفي بعض هذه الكتابات اسم ملكهم أذينة ومن اللغات الكنعانية لغة موآب في شرقي فلسطين وفي تخف باريز كتابة قديمة في هذه اللغة وضعها ملك اسم ميسع يذكر فيها حروبه مع عمري ملك الاسباط (اسباط بني اسرائيل) ويقال لم في كتب العرب ملوك الاسباط .

* * *

رأي رنان : } وذكر نران ان الفينيقيين كانوا الواسطة الوحيدة بين العنصر السامي
وسائر العالم وكثيراً ما عرفوا بانهم اخترعوا اموراً ما كانوا فيها الاقلية .
وما الفينيقيون سوى سماسرة مدنية كانت بابل مقرها ، وظاهر الحال يدعوا الى
الاعتقاد بان بابل التي علمت العالم اصول المقاييس والموازن قد اخترعت حروف الفباء
مركية من اثنين وعشرين حرفاً . قال : وكانت اللغة العبرية لغة الشعوب في فلسطين
عند ما دخل بنو اسرائيل الى هذه البلاد وقد ذكرت اسماء الشعوب المذكورة في
الاصحاح العاشر من سفر التكوين بجلاء ووضوح الأمّ المجاورة لفلسطين وجعلت
اسم كنعان رابطة من روابط القرى بين جميع شعوب الساحل ولبنان من مدينة حماة
وارواد في الشمال الى جرار (في فلسطين) والبحيرة المنتنة في الجنوب وهم مجموعة
الشعوب التي كان اليونان يطلقون عليهم اسم الفينيقيين .

* * *

اراء أخرى : } وذكر يوسف داود : ان لسان اهل فلسطين ولا سيما اورشليم
في عصر المسيح الآرامي اي السريانية فكانت اليونانية لغة
اجنبية يتكلم بها كثير من الغرباء النازلين في الشام وهي لغة الحكام والحكومة في
عهد تلك الدولة كما تقدم بيانه . وكثيراً ما كانوا يكتبون بعض المقدسات على ذلك

الدور بالعبراني او السرياني واللاتيني واليوناني وكان يحرم على اليهود في فلسطين ولا سيما الرجال ان يتعلموا اللغة اليونانية وبياح للنساء تعلمها من باب التزين الجائز لمن . قلت وهذا من التحكيمات الباردة مثل الامر الصادر عن احد خلفاء بني العباس من اخذ اهل الذمة بتعلم اللغة السريانية والعبرانية وترك العربية ولكن امره لم ينفذ لانه غير معقول .

وارتأى حتى : ان الآرامية كانت لغة العامة في عهد المملكة الاشورية وكانت الاشورية اللغة الرسمية ، وكان الموظفون في العهد البيزنطي القادمون الى سورية يعتمدون على الترجمة مع الاهلين المتكلمين بالآرامية . ولما انقضى العصر البابلي الاشوري حلت اللغة الآرامية محل البابلية في السياسة والتجارة ، واصبحت اللغة الرسمية للملوك فارس وآرام وتدمر والبراء . وكانت اللغة الفينيقية تختلف عن السريانية في القرون الاولى قبل الميلاد ثم تمازجتا حتى اصحبتا شيئاً واحداً ، وكانت اللهجة العامة عند يهود فلسطين وهي اقرب الى الآرامية منها الى العبرية ، يطلق عليها بين اليهود انفسهم اسم اللغة العبرية ولكنها تختلف عن لغتهم المقدسة . وقد ذكر رنان : ان اللغة السريانية الكلدانية كانت اكثر اللغات انتشاراً في بلاد الجليل وان المسيح عليه السلام كان يتكلم بها في محاوراته مع الناس ، والاناجيل كتبت لاول امرها باليونانية واصبحت هذه في الشام لغة عامة ولغة علم ، وكان من نتائج ذلك دخول الالفاظ اليونانية في اللغة السريانية بكثرة زائدة حتى ان اللغة اللاتينية لم يكن لها تأثير البتة بين الشعوب السامية ، فمن القواعد العامة ان الفتح الروماني لم يستطع ان يقضي على استعمال اللغة اليونانية في كل البلاد التي راها متأصلة فيها على حين كانت اللغة اللاتينية تنتشر في ارجاء الغرب انتشاراً هائلاً .

وذكر منش : انه بعد انقراض دولة الحثيين في القرن الثامن قبل الميلاد عم اسم آرام بلاد الشام فاصبح القسم الاكبر منها يسمى آرام وسكانها يدعون بالآراميين وهم الدين اختطوا حلب او حلبون وعادت اللغة الآرامية الى شيوخها في جهات حلب تمازجها اللهجة البابلية بدلها ما يشاهد في نواحي حلب من اعلام الامكنة التي مازالت تلفظ على اصلها بالفتح الى اليوم ، وسادت اللغة اليونانية بظهور الدولة السلوقية وكانت

لغة الخاصة والعلماء ورجال الدولة ولما تقلص ظلها عادت السريانية الى ازدهارها بمخالطها فرعا التدمري الذي انتشر اذ ذاك في سورية الشمالية على عهد سيادة تدمر في صدر النصرانية .

* * *

انتشار العربية : } هذا ما كان من امر اللغات السامية واللاتينية واليونانية في الشام . اما اللغة العربية فكان يتكلم بها قبل الفتح الاسلامي بزمان طويل لما ثبت من انتشار الغسانيين والنخوعيين والنبطيين والسبأيين وغيرهم . وكانت حوران والبلقاء والشراة من الاصقاع التي سبقت غيرها في هذا السبيل بدليل ما يشاهد من اسماء بعض قراها العربية مثل جرس ، جاسم ، تبنه ، اذرع ، اذرع ، اذرع ، اذرع ، السويداء ، البتراء ، نجران ، القسطل ، القناطر ، الحفيرة ، الخ وذلك لان هذه الاقاليم الثلاثة كانت اقرب الى الاتصال بالعرب من الجنوب . وكان السابقون الى نشر العربية في ديارنا الوثنيون من العرب اولاً ثم نصارى العرب ويرجع اليهم الفضل في نشرها باديء الامر فلم تلبث اللغة ستين او سبعين سنة للفتح الاسلامي ان انتشرت في سورية . ونقلت الدواوين زمن عبد الملك من اليونانية الى العربية ونازعت اللغة العربية السريانية فبذتها على صورة مدهشة وان كان الضعف قد دب في هذه قبل الاسلام . وتغلبت العربية لغناها وسلاستها وضبط قواعدها وشدة احتياج الناس اليها في مصالحهم . قال ابن خلدون : ولما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان القائمين بالدولة الاسلامية عربياً هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام وطاعة العرب . وهجر الامم لغاتهم والسننهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسم ذلك لغة في جميع امصارهم وصارت اللسان الاعجمية دخيلة فيها وغريبة اه .

* * *

العربية لغة كاملة / وقال رنان : من اغرب ما وقع في تاريخ البشر ، وصعب وفصاحة الشام : (حل سره ، انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة باديء بدء فبذت فجأة على غاية الكمال سلسلة غنية واي غنى كاملة بحيث

انها من ذلك العهد الى يومنا هذا لم يدخل عليها ادنى تعديل مع ، فليس لها طفولة ولا شيخوخة ، ظهرت لاول امرها تامة ، ولا ادري اذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الارض دون ان تدخل في اطوار وادوار مختلفة . وقال : وما عهدت قط فتوح اعظم من فتوح العربية ولا اشد سرعة منه ، فان العربية ولا جدال قد عمّت اجزاء كبرى من العالم لم ينازعها الشرف في كونها لغة عامة او لسان فكر دني او سياسي اسمى من اختلافات العناصر الا لغتان اللاتينية واليونانية ، ولكن اين مجال هاتين اللغتين في السعة من الاقطار التي عم انتشار اللغة العربية فيها اه .

قلنا وربما ذهب الشام بفضل هذا الشرف الاعظم ولعله سبق العراق في الاخذ بمذاهب العرب . قال التعالي : لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها اشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها في الجاهلية والاسلام والسبب في ذلك تبرز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر ، قربهم من خطط العرب ولا سيما اهل الحجاز وبعدم عن بلاد العميم ، حتى ان كتاب الدولة الأموية استعملوا من الالفاظ العربية الفحلة والمتينة الجزلة ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية لان كتاب الدولة الأموية قصدوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها حتى عدت في جملة الفضائل التي يثابروا على اقتنائها . وليست استفاضة لغة العرب في العراق كما استفاضة في ارض الحجاز والشام . وقال اليزهركو : ان اهل دمشق اكثر السوربين عراقية في العربية وذلك لعلاقتهم المتصلة بالتجارة مع مكة والهجّة العربية فيها اجمل من سائر لهجات الشام . وكان محمد عبده يقول : ان الفصح في لغة الشام اي بلاد الشام اوفر مما هي في لهجة مصر .

* * *

كيف انتشرت / واذا اردنا استنقراء الطرق في نشر العربية في الشام لم نرها العربية : ا حاربت لغة البلاد الاصلية على رسوخها فيها بل سارت في نشرها سير تعقل ، وراعى دعايتها سنن الطبيعة والنشوء ، وعملت قاعدة الانتخاب الطبيعي عملها في اللغة كما عملت في العناصر ، فبقي ما هو مفيد للناس في مصالحهم على اختلاف نحلهم وملهم . ومنذ عدل في القرن الاول عن اللغة الرومية في الدواو بن

لم ترح جميع الحكومات التي تعاقبت على هذه الديار تستعمل اللغة العربية في
مفاوضاتها وسجلاتها على ان منها الكردي والتركي والشركسي الا الدولة العثمانية
في آخر عهدها فانها الفت الديوان العربي من مراكز الحكومات السورية والفلسطينية
واكتفت بالدواوين التركية وعلى كثرة عنايتها بلغتها في الستين سنة الاخيرة لم
توفق الى نشرها الا بين الموظفين فقط من ابناء البلاد فكان شأنها شأنها في رومانيا
وصربيا وبلغاريا ويونان والباينا امتد سلطانها عليها قروناً ومع هذا لم تستطع
نشر لغتها بين سكانها . والعرب اجدر من غيرهم بان يحرصوا على لسانهم وهو
لسان مدنية ودين معاً وان لا يتخذوا عنه بدلاً وهو متأصل في هذه الديار
قبل الاسلام .

اللغة الصفوية : (قال دوسو : الى الجنوب الشرقي من دمشق في مدخل
بادية الشام حول الصقع البركاني المسعى بالصفاء ، يعثر الباحث
على كتابات كثيرة زُبرت على الصخر البركاني والشعب الذي خط هذه الكتابات
في القرون الاولى للميلاد هو من اصل عربي ولغته من اللهجات العربية وخطه من
فضيلة خطوط بلاد العرب الجنوبية . وبفضل هذه الكتابات تعرف احدى اللغات
التي كان يتكلم بها في بادية الشام قبل الاسلام وتقف على مقام رحالة من العرب
كانوا على وشك ان ينقلوا الى اتخاذ البيوت وعيش الحضارة في الشام . اما الصفويون
فلم يكونوا اول من قصد الى ارض الميعاد ولا آخرهم بل هم وحدهم الذين عرفناهم قبل
ان يتحولوا تحولاً كلياً اي عندما كان لهم لسانهم وخطهم واربابهم وعاداتهم . فمن
الخطأ الاعتقاد بان دخول العناصر العربية الى الشام يرجع فقط الى الفتح الاسلامي
واختراق المسلمين صفوف الروم في وقعة اليرموك سنة ٦٣٦ م ومهاجرتهم الشام ثم
انتشارهم في الشرق حتى اواسط آسيا وفي الغرب حتى اقاصي شمالي افريقية ثم الى
اسبانيا . هذا الهجوم قد دل على بلوغ دولة العرب غاية مجدها فاذا ظهر ان الفتح
الاسلامي في القرن السابع قد كان من الحوادث الشاذة فهو في الحقيقة نتيجة حركة
عادية طبيعية نشأت من اختلاط العرب على الدوام بسكان الحضرة ودخولهم بلادهم .

قال : ولا ينبغي ان يفهم من لفظة العرب سكان جزيرة العرب فقط بل انه يتناول اهل
الظعن الذين يطوفون اواسط بلاد العرب وشمالها وجميع بادية الشام .

* * *

الصليبيون ولغاتهم / وما برحت العربية تئاضل القرن بعد القرن في هذا القطر
والعربية ولبنان : (الجليل ، حتى كانت الحروب الصليبية تخشي عليها ان تنازعها
الاولوية لغات الصليبيين ، خصوصاً بعد ان طال مقامهم في انطاكية والساحل نحو قرنين
يتكلمون بلهجات مختلفة اهمها الطليباينة والافرنسية . بيد ان اللغة الافرنسية كانت
لغة جميع الغربين النازلين في الشرق وكان فرسان الصليبيين الاقليات من
الفرنسيس ومنهم جميع الأسر الحاكمة في الشام على ان اكثر امراء الافرنج من
الصليبين كانوا تعلموا اللغة العربية ومنهم من ضرب النقود بالعربية مثل اصحاب عكا
وصور وبيروت وطرابلس ورسموا عليها حروفاً كوفية على شبه النقود الاسلامية مع
رموز نصرانية كالصليب وآيات من الكتاب المقدس . واصبح نساؤهم ينتقن كالمسلمات
ويلبسن ثياب المسلمات مثلاً كان رجالهن يلبسون ثياب الوضيين .

ثم ان بعض انحاء لبنان قد تأخرت في التعرب بمحملتها حتى القرن الرابع عشر
لميلاد فيما قيل وقل انتشار العربية في اعالي لبنان وظل السكان في عدة قرى يتكلمون
بالسريانية وذلك لقلّة المخطوطات العربية في لبنان ولا سيما بين الموارنة وكان اهل
بشراي وحصرون والقرى المجاورة لها الى قبيل مئة سنة يتكلمون بالسريانية كما بقيت
الى اليوم ثلاث قرى في جبل قلمون وهي جبعدين ومعلولا وبنجعة يتكلم المسلمون من
اهلها والمسيحيون مع العربية باللغة السريانية ، وسريانيتهم افصح من السريانية العامة اليوم
في آنور والجزيرة والعراق على ما قاله العارفون .

* * *

اللغة التركية : (وبينما كان جبل لبنان الشرقي والغربي يحفظان في معاورهما
بقايا اللغة السريانية التي انحصرت في الاديار والبيع ، بعد ان
انهزمت امام العربية ، كانت بعض ارجاء جبال اللكّام وما اليها تؤوي من اللغات اللغة
التركية او التركية وعندما رحل الاشراف قايتباي سنة ٨٨٢ هـ من مصر الى اقصى

الشام كانت اهل البلاد من اللاذقية الى البيرة (بيره جك) يشككون بالتركية . قال
 • وواف رحلته : واهل البيرة يتحدثون بالعربي اللطيف اكثر من التركي بخلاف ماتقدم
 من البلاد فانه من حين توجهنا من اللاذقية الى البيرة لم يكن كلامهم الا التركي .
 ولم نعرف العهد الذي انتشرت فيه التركية في الحدود الشمالية من الشام وربما
 كان من عهد العباسيين ، وان كان المنسككون بالعربية في بعض الجهات اكثر من
 المنسككين بالتركية . ومن شأن بلاد النخوة على الاغلب ان يتكلموا بلغتين ومنهم من يتكلم
 بثلاث . والغالب ان نزول الاتراك في جزء صغير من شمالي الشام اقدم من العثمانيين
 وربما كانوا من زمن السلجوقيين والاتابكيين . ومدينة حلب يوزح بين البلاد العربية
 والتركية . وعلى نحو اربعين كيلومتراً من شمالي حلب يقل المنسككون بالعربية وتصيح
 البلاد الى التركية اقرب ولنكلم بعض قرى كليس بالعربية والتركية والكرديّة وجميع
 السكان عرب من شرق حلب وغربها ما عدا بعض قرى من عمل حاره فسكانها من
 الشركس . وسكان العمق اكراد وفي قضاء الباب قليل جدا من التركمان والاتراك والاكرد
 والشركس . واهل قضا منبج شركس وفيهم عرب وتغلب التركية على اهل عمل
 الاسكندرونة . ومن اهل انطاكية من يتكلم بالتركية ومنهم من يتكلم بالعربية . فيصح
 ان يقال فيهم ان تركيهم تعرب وعربيهم تترك . وبعض اهالي قضاء بيلان (بفراس)
 ينككون بالتركية وكذلك ناحية اردو على ان العربية غالبية عليهم . يتكلم نحو نصف
 سكان مدينة انطاكية بالتركية ولكن اصولهم عربية على الاكثر الا قليلا وثمانون في
 المئة من اهل عملها هم عرب اسانا وجنسا وهكذا يقال في بيلان وكليس واردو ،
 ولا يمكن ان تثبت باحصاء صحيح ان الاتراك يؤلفون في بلاد الشام كلمة واحدة ووسطاً
 واحداً كما ان التركمان والشراكسة والطاغستان والششن والبشناق والاكرد والمغاربة
 لم يؤلفوا شيئاً من ذلك ، وتراهم يتازجون كلهم بالبوقة العربية ويندججون في العرب .
 شأن سكان فرنسا والمانيا واطاليا وغيرها من الممالك التي كانت جاهتها لسانها ولا
 يزالون في الحدود واواسط البلاد يتكلمون بغير لغة الدولة التي يظلمهم علمها .

السواد الاعظم / ليست العبرة ببقعة مخصوصة وانما هي بمجموع القطر الذي والعربية : ا يراد ان تعزى اليه جنسية او قومية معروفة والا لزم من ذلك ان تعد ولاية اذنة اليوم او جزء عظيم منها او قلبية عربية لان نحو مئة الف من سكانها عرب باصولهم، ولسانهم على تأصل الدول التركية والتركانية في صقعهم، وهم في بعض الانحاء المتاخمة للشام من جبال المكام يؤلفون اكثرية السكان . واذا كان بعض سكان البلاد الواقعة في الجهة الشمالية من الشام يغلب عليهم التكلم بلغات متعددة فان ذلك نتيجة طواري تاريخية ودولية بل نتيجة حكم الغالب على المغلوب وميل هذا الى التشبه بغالبه . ومن الثابت ان سكان الحدود آخذون انفسهم بحكم الضرورة بتعلم لغات السكان المجاورين يتمكنوا من الفاهم واياهم في المصالح المشتركة المتبادلة ولا سيما الاقتصادي منها كما هو المشاهد في كل مملكة من الممالك . وما التترك في انطاكية واسكندرونة الامهاجرون مثل مهاجرة السور بين في نيويورك وسان باولو ومن يحاول ان يلبس انطاكية والاسكندرونة ثوبا تركيا هو كالأوقف امام البدهاء والاولى ان ينظر اذ ذلك الى عرب مرسين وطرسوس و يردوهما الى الشام وماهما من حيث الجغرافية واللسان الاساهيتان .

وبعد فاذا اردنا ان نخصي المسكين فقط بغير اللغة العربية في الشام بمجوده الطبيعية لانهم يزيدون على ثلاثمائة الف من عناصر مختلفة وسط سكان يربي عددهم على ثلاثة ملايين ونصف . والعربية مع هذا تأخذهم فتعربهم ونحو نصفهم يهود وارمن وروم والباقيون مسلمون يرون في تعلم العربية فرض عين عليهم .

✽ ✽ ✽

رسوخ اللغة : / اذا عرفت هذا فقد ساء لك ان نقول ان اللغة العربية دخلت رسوخ اللغة : ا واسعة النطاق الى الشام من الجنوب منذ نحو خمسة وعشرين الى ثلاثين قرنا وازدادت بالاسلام رسوخا وانتشارا . ولم يمض القرن الاول حتى استعربت وامتزج العرب الفاتحون والمهاجرون باهل البلاد من السريان فاصحوا اكثرية مع الزمن وغلقت على الكافة الصبغة العربية غلبة الانكليزية على اهل كندا والولايات المتحدة الاميركية في القرون الاخيرة . وما اهل كند

واميركا الشمالية الا مهاجرة من انكلترا وفرنسا والمانيا واطاليا وهولاندة واسبانيا والمجر وروسيا وغيرهم من الامم غدوا اميركاناً بقوميتهم انكليزياً بلتتهم ومناحيهم . وليس في الارض فيما نعلم صقم تكون اهله من عنصر واحد وخلا من عناصر دخيلة امتزجت فيه ، بل ان الشعوب الكبرى في الغرب وهي خمس أم اوست مؤلفة من بضعة اجناس من الناس جمعتها لغة واحدة ، وليس عمر اقدم لسان من السنة العالم المتمدن اليوم اكثر من عشرة الى اثني عشر قرناً على حين ان عمر العربية في الشام اكثر من ذلك بضعفين على اقل تقدير . وكما دخل هذا الجسم جسم جديد نلقح به وأدغم في مجموعته فزاده قوة ومضاً .

رأبنا من مجموع ما تقدم ان اللغتين اليونانية واللاتينية لم ترسخا في هذه الديار رسوخ السريانية اولا والعربية ثانياً وذلك لان اليونان والرومان كانوا فيها مستعمرين ولم يكونوا من اهلها كما كان السريان فالعرب . ومن اجل هذا لم يؤثر حكم الروم والبرمان هنا على طول عهدهما في قلب لغة السكان بل تعلمها بعض افراد كما يتعلم بعضنا التركية والفرنسية والانكليزية وغيرها من اللغات التي حكم اهلها البلاد او كانت لنا باربابها علاقة تجارية او سياسية او علمية بل كما كان بعضهم يتعلم في القرن الماضي اللغة الطليانية لقلّة مدارسنا ومدارس الامم الاخرى اذ ذلك .

* * *

الشاميون أمة واحدة | قلنا من محاضرة في سكان الشام ولغاته : مها تيل في لسانهم العربية فقط (كثيرة عدد المتكلمين بالفرنسية في بيروت و بالعبرية في القدس وبالتركية في حاب ومها اختلفت درجة العواطف من حيث حب العربية فالبلاد عربية صرفة والسكان عرب مها ضعفوا وضعفت شخصياتهم . ولا ينسبون الى غير أمم ولا يدعون الا لأبائهم . يقولون ان من تعلم لغة قوم احبهم فما أحرى ان يحب المرء اولاً ارضاً ابنته ، واهلاً تجمعهم وايام جامعة الوطن والجنس واللسان . نحن في الشام أمة واحدة . مها حاول المحاولون ان يجعلوا بيننا فروقاً . والمذاهب ما كانت ولن تكون معياراً في هذا الباب . الماروني والكاثوليكي والارثوذكسي والانجيلي والعلوي والاسماعيلي والعبري وغيرهم تربطنا بهم رابطة اجمع من كل الروابط

وأعني بها رابطة المصلحة الواحدة والوطن المشترك ، وقرابة الجنس واداصر اللغة .
 ان كنت احب بيتي فما اولاني ان احب سكنه . ان كنت لا ارى عدتي في
 شدتي ، غير أمتي ، فما احراي ان ارعى ذمامها ، واحمي شخصاتها ، واول المشخصات
 في شعب لغته . ومعظم الامم الحديثة تكونت تحت رايها ، وسادت وشادت بتأثيرها .
 من اللغات يا قوم ما لا ينطق به اكثر من بضعة ملايين كالدانيمركية والسويدية
 والفنلاندية تجد بين ابنائها — من الصلات على اختلاف في المذهب — من اللغائيين
 قوميتهم ما لا يقل عن تفالي الانكليزي والالاني والزرناوي والطلباني والدلافي
 بحب لغته وقوميته وهو ابن أمة عظيمة .

ليست العربية من اللغات الميتة حتى يزهد بعض ابنائها فيها . بل هي لغة خمسة
 وستين مليوناً من البشر نازلين في اجمل اقطار الارض في افريقية وآسيا واسانف
 دني لتأثانة وخمسين مليوناً من المسلمين . ولسنا معانثر اهلها دون ارقى أم الحضارة
 الحديثة بمقولنا وذكنا فناربخنا موضع الدهشة على توالي الاحقاب ، وانا اذا عرانا
 بعض الضعف فذاخرنا في المجتمع ، وقصرنا عن اللحاق بالسابقين فيه ، لا نلبث
 بتماسكنا ونفاريننا بحب قوميتنا ولغتنا ان نساي غيرنا قرباً . وكم من أم عراها
 اكثر مما عرانا من ضعف المكات ، وضباع المقدسات والشخصات ، فنفضت عنها
 غبار الخمول يوم صححت ارادتها على ان لا تبوت بصنعها ، واتامت تجادل وشالدي
 معترك المدينة فانت بالمعجب المعجب .

نحن اهل الشام أمة واحدة ، ولا خير لابناء الوطن الواحد الا من انفسهم . فقد
 زح عنا منذ خمسين سنة الى اميركا وغيرها زها نصف مليون من ابنائنا وما زاننا
 معانثر السواد الاعظم هنا نهم لهم اكثر من اهتمامنا لامة لا تربطنا بها جامعة اللسان
 والجنس . وهم على شاكنا يهتمون ببلادهم ولقمتهم وما يقوتها . وما نانس لا نانس
 يوم كانت اللغة العربية يحفظ ترانها في الاعصر الاخيرة في بيع لبنان وادياره ، اكثر
 من حفظه في جوامع دمشق وحلب ومدارسها ، و يوم كان في اللبنايين الفيورون
 على مجددا العالمون بما يصلحها الساعون الى نشرها .

لا يفلح قوم لا يتضامنون ويتساندون . وكل شعب وضع قوميته في الذروة

العليا من الكرامة يوقّر و يبعّجّل . ومن لي يوم الكريمة غير حمي اخي وجاري الجأ
 اليه . المرء كثير بأخيه ، ولن تضام أمة عرفت نفسها . نحن عرب قبل ان نكون
 مسيحيين ومسلمين ، نحن شاميون قبل ان نكون أُمّو بين وعباسيين و سلجوقيين و عثمانيين .
 سعادتنا مناط الاحتفاظ باصولنا ، ولا تتم لنا الا قوميتنا ، واعظم قوة لها
 لغتنا ، والسلام .



تاريخ الشام

قبل الاسلام

- - - - -

اول شعب غزا الشام / ذكر اهل الاخبار والسير ان بلاد الشام كانت يوم
والحثيون والكنعانيون (عرف تاريخها معشاة بالاشجار ولا سيما في اللبنانيين
الغربي والشرقي فجاءها من بلاد اشور رعاة نزولوا القسم الشمالي منها وما زالوا ينقدمون
في فنوحهم حتى بلغوا معظم سواحل الشام واستولوا على عكا . وانقسم هؤلاء الرعاة
واسمهم عموي الشعب الى قسمين قسم اقام على تربية الماشية في السهول ، واحترف
القسم الاخر بالاحتطاب في الجبال ، او بالصيد على شواطئ البحر وضاف الانهار ، وقيل
ان ذلك كان في القرن السادس عشر قبل الميلاد ولعله يرد الى اكثر من خمسة
آلاف سنة ولم يعرف من كان سكان القطر يومئذ . والغالب ان من اقدم الشعوب
التي استولت على الشام الحثيون في الشمال والكنعانيون في الجنوب . والحثيون
لم يعرف عنهم الا انهم كانوا وراء جبال طوروس باديء بدء يسكنون الحوض الاعلى
من نهري الفرات وقزل ايرمق خضعوا اولاً للكلدانيين ثم توسعوا في ملكهم واستولوا
بقيادة ملكهم سابالولو على شمالي البلاد وامتدوا الى وادي العاصي فاستصفوه برمته
وبنوا مدناً مثل كركديش (جرابلس) على الفرات وقادس على العاصي وربما كانت
مدينة حلب ايضاً من بنائهم وفي رسائل تل المارنة التي وجدت في صعيد مصر اوائل
هذا القرن بيان واف في الجملة لحالة هذه الدولة الحثية التي حاربت فراعنة مصر اربع
عشرة سنة فلم يظفر بهم الفراعنة حتى جاء ستي الثاني فخار بهم وقهرهم .

وكان الكنعانيون ينزلون في جنوب الشام وفي وسطه . ونسبتهم لكنعان جد القبائل التي سكنت غربي الأردن ، قتل الاسرائيليون اكثرهم واستبعدوا اكثر من لم يقتل منهم . وكانت حدود ارض كنعان الاصلية من مدخل حماة شمالي لبنان الى البادية ولم تمتد الى ساحل البحر لان الفلسطينيين مازالوا الى ان انقرضوا يسكنون ذلك الساحل ، وقد سكن ارض كنعان عدة اسباط ورد ذكرهم في التوراة كالخثيين واليبوسيين والاموريين والجرجاشيين والحويين والنريزيين والعريقيين والسينييين والاراديين والصماريين والحماثيين وكان في ارض كنعان ١١٨ او ١١٩ مدينة ورد ذكرها في جدول عثر عليه في هيكل الكرنك من صعيد مصر يظن انها المدن التي افتتحها تحوتس الثالث من ملوك الفرعنة قبل ايام يشوع .

* * *

تعدد الحكام / وعلى كثرة عناية علماء النصرانية بتاريخ الارض المقدسة والحكومات | او فلسطين او ارض اسرائيل او ارض الموعد لم يبرح تاريخها غامضاً بعض الشيء لقلّة المصادر التي يركن اليها واكثرها اشبه بتقاليد منها بتاريخ . وهكذا يقال فيما عرف من تاريخ وسط هذا القطر وشماله في العهد القديم . وكان اكثر اماراته مستقلة متعادية شأن بلاد الجنوب منها . واذ لم تكن البلاد كما قال بوست تحت حكم القضاة والملوك حكومة واحدة كبرت فيها التغيرات وتعددت القضاة كشمشون وجدعون ويفتاح الى ان اجتمعت كلمة شعب اسرائيل على اقامة ملك ولما انقضى ملك سليمان وقام ابنه رجبام انقسمت المملكة الى مملكتين مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا وبعد ان نقلت الاحوال على هاتين المملكتين اخذتا بالانحطاط الى ان سبي الاشوريون الاسرائيليين والبابليين يهوذا . وجملة الزمن الذي مضى من ملك داود الى سبي بابل نحو خمسمائة سنة .

* * *

كانت الشام بين عاملين بل بين سلطانيين قوبين / الفرعنة والاشوريون | العامل الاول دولة الاشوريين والبابليين اذا قويت احدهما يمتد سلطانها على الشام او تكتفي من اهله بالجزية وتجنيد بعضهم . واذ

كانت القوة لفراعنة مصر حكموا الشام او اقتنعوا من سكانها بالجزية وبعض الجند وقد ظلت البلاد تابعة لمصر وحياناً كانت تبعيتها اسمية نحو اربعة قرون فقد فتحها تحوتمس الاول وتحوتمس الثالث وفي ايام تحوتمس الاول تجملت حدود الشام على الفرات وظل الشام في حكم الفراعنة الى عهد رعمسيس الخامس وما خلاص من مصر بين داهمه الاشوريون فاستولوا عليه واعترف الشام كله بسلطة اشور وتجت سلطة الشام على عهد نعت فلأزر وكان المصريون يمتلون بعض القلاع مثل غرة ومجدو (تل المتسل) في الداخل وجبيل وصيدا في الساحل على ما ثبت ذلك بالآثار .

وكان الفراعنة على الارجح يدايمون الشام من طريق صحراء التيه والجفار لقله سفنهم بسبب قلة الاشجار في بلادهم كما هي قليلة في وادي دجلة والفرات وربما كان وجود الاشجار في الشام من حجة الاسباب التي حملت اهل بابل واشور ومصر على مد سلطانهم على الشام قال احد الباحثين : كانت الشام في الالف الثالثة قبل المسيح يقطنها خليط من سكان ساميين وهم العموريون والحثيون وهم غير ساميين فهجموا على بابل . وفي اوائل الالف الثانية هجم الساميون من سكان الشام وربما كانت بايعاز الحثيين على مصر وحكوها وهذا العهد هو عهد الرعاة (الهيكسوس) . وما برح ملوك الاشور بين والكلدانين في القرون الاخيرة يحسنون صلاتهم مع الفراعنة و يرضون بسلطانهم الضئيل على الشام حتى تارت الفتن في مصر فاغنم لالة الشام من عمال الفراعنة هذه الفرصة وخرجوا عن الطاعة وجمع احد رؤساء الحثيين قبائل امته واسس دولة قوية الشكية وقاتل المصريون فلم يكتب لرعمسيس الاول وسبي الاول من الأسرة التاسعة عشرة نقويض دعائم تلك الدولة بل ان رعمسيس الثاني المعروف عند اليونان باسم سيزوستريس بعد حرب عشرين سنة اضطر الى الرضا بما وقع وعامل خساروا امير الحثيين معاملة الاكفاء والاقران . ومن ذلك الحين زال حكم مصر عن فينيقية والشام الجنوبي وقامت في الشمال دولة مستقلة فاصلة بين مصر واشور وكان ذلك في حدود سنة ١٣٥٠ ق م .

ضعفت دولة الحثيين وعادت اشور تقوى بملوكها على الاطراف امثال سالامنزار ونعت فلأزر وسنخاريب يغيرون على الشام فيلتي منهم المصائب كانوا يريدون اخضاعه

ليكون لهم مجازاً الى الاستيلاء على تجارة مصر والحبشة وليبيا (طرابلس وبرقة) والبحر الاحمر والابيض ولما سقطت نينوى سنة ٦٥٥ ق م باستيلاء ملوك المملكة الكنعانية الثانية خضع الشام زمناً قليلاً للفراعنة ثم عاد بعد انهزام نينوى وخلفائه الى سلطة ملوك بابل وكان العهد الكنعاني عهد الخراب والدمار لان بخت نصر ملك الكلدان فعل في بيت المقدس (٥٨٦ ق م) افعالاً مدهشة من العبثية وجلال الشعب الاسرائيلي الى بابل .

اليهود والكنعانيون) استولى الشعب الاسرائيلي على الكنعانيين وغيرهم لما وخراب بخت نصر) جاؤا بلادهم من وراء الفرات وكانوا ينقسمون الى اثني عشر سبطاً ظلوا منقسمين على انفسهم قروناً كثيرة وتعدد ملوكهم وكل منهم يحكم بهواه حتى خربت مملكتهم بايدي بخت نصر فكان تاريخهم مدة ٩٩٤ سنة عبارة عن مشاغبات وانقسامات في عهد الملوك والقضاة والكهنة .

الفينيقيون واستقلالهم) ولم تكن مملكة اسرائيل بعمرانها وقوتها مثل مملكة التجاري) فينيقية الصغيرة التي قامت في ارض الشام واشتهرت اكثر من غيرها من الدول الشامية لانها كانت دولة بحرية على جانب من الحضارة المقتبسة عن المصريين والاشوريين والبابليين ، ومعرفة زائدة بطرق البحار والتجارة في البلاد القاصية ، فكان الفينيقيون في عهد عظمتهم كالبنادقة في القرون الوسطى بحريتهم واتساع تجاريتهم او البريطانيين في القرنين الاخيرين باساطيلهم العظيمة وتجاريتهم الواسعة ، مع مراعاة النسبة بين البلاد والعصور .

والفينيقيون من القبائل السامية التي نزلت بلاد آرام اي الشام وبلادهم ضيقة النطاق طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية الى عشرة فراسخ بين بحر الشام واعلى سلسلة في جبل لبنان وتدخل فيها صور وصيدا وارواد وجبيل وبيروت ومنهم من ادخل فيها البترون وطرابلس ولم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل ناحية مدينة صغيرة تستقل بها ولها محالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بنوابها الى اعظم

مدينة فينيقية لنض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال النواب منذ القرن الثالث عشر ، ولما لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضعوا لسطوة الفاتحين من المصريين والاشوريين والبابليين والفرس وادوا اليهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

هذا رأي سنيوبوس وقال مسبيرو : ان تحوتمس الثالث تعب في اخضاع بعض الفينيقين وقد استكانت مدائن الوسط والجنوب وهي جبيل وبيروت وصيدون وصور من غير قتال ، واخص اهلها الطاعة لمواليهم الاجانب الى ما بعد رعمسيس الثاني وكان هذا الحق يقال عين الحكمة والصواب . فقد ترتب على رضاهم بالعبودية ان توصلوا الى احتكار جميع تجارة مصر مع أم آسيا والبحر الابيض ثم نالوا استقلالهم في اواسط القرن الثاني عشر قبل الميلاد لما كفت فراعنة مصر عنهم . ولكن حدث في حدود سنة ١٢١٠ ق م ان اقلع من عسقلان اسطول فلسطيني ولقي اسطول صيدا فدمره فانقلت العظمة الى صور ولما ملكها حيرام الاول (من سنة ٩٨٠ - ٩٤٦ ق م) عقد مع داود وسليمن علاقات عادت على بلاده بالثروة والرخاء .

قال : ثم ظنر الاشوريون على الفينيقين ورضيت صور بدفع الجزية لهم ثم قا ملكها ابولي (من سنة ٧٢٨ الى سنة ٦٩٢) فخارب شلناصر الثاني وسرجون وسنخاريب حروبا انتهت بهلاكه وانقراض دولته فاصبحت بلاد فينيقية تابعة للاشوريين ولما سقطت نينوى (٦٠٧) عاد اليها استقلالها ففازت من دفاع بخت نصر بمعاونة الفراعنة الصاو بين واحتمت الحصار ثلاث عشرة سنة وحدثت في فينيقية ثورات في اوقات مختلفة فقمعت وفي سنة ٥٥٧ أعيدت للكلدانيين واماخربت بابل سنة ٥٣٨ حصل لصور ما حصل لها فدخلت في قبضة الفرس من غير حرب ولاقتال . ومن اهم الاسباب التي حالت دون الفينيقين وتأسيس مملكة ضخمة مؤلفة اولاً من جميع اصقاع الشام ثم من الاقطار المجاورة صعوبة التوغل في داخلية البلاد الشامية لما فيها من العقاب والشباب وهم في قلة وغيرهم في كثرة فصرّفوا نظرهم الى البحار وكانوا اعظم تجار وسفّار .

* * *

تحلّصت الشام من عوامل كثيرة كانت تتنازعها ، منها ما هو حروب الفرس)
داخلي كالفتن الاهلية والحروب الداخلية . ومنها ما هو خارجي) والاسكندر !

كأن يحكمها المصريون نارة والاشوريون او البابليون أخرى ولما تراجعت هذه الامم قامت دولة الفرس فاستولت على الشام وكانت دمشق وحماة وارفاد ام مدنسا ولما فتحها تغلات فلازر سنة ٧٣٣ ق . م عاد الفرس فتحوها على عهد كسرى .

وعلى عهد دارا من ملوك الفرس جعلت صيدا عاصمة البلاد وما برحت في قبضة الفرس الى سنة ٣٣٣ وقد اجتازها الاسكندر المكدي في بعد ان قرض مملكة فارس ولباد بين الاسكندرونه وجبال اللكام (امانوس) جيش دارا ملك الفرس واخرى مدينة صور بعد ان حاصرها سبعة اشهر (٣٣٢) . وكان بجث نصر حاصرها ثلاث عشرة سنة (٥٨٦ — ٥٧٣) ولم يستطع فتحها . واستبسل الصيدياريون وعرضوا انفسهم للهلاك مرات في حصار الاسكندر لصور وعمل الاسكندر سداً لانه كان يتعذر بدونه الدنو من البلد لبعدها عن اليابسة وبعث السامريون ل . بن نية آلاف رجل نجدة وابى اليهود الخذوع له باديء بدء . وفي سنة ٣٥١ ق . م خربت صيدا عقيب انقاضها على ملك فارس وقتل وحرقت فيها اربعون الف نسمة .

قالوا : ان دارا لما انخذل في وقعة ايسوس على خليج الاسكندرونه الى الشمال منها ، وقع الرعب في قلوب الفينيقيين والسور بين فدان اكثرهم للاسكندر طائعين ، ولما وصل الى جبيل تلقاه اهله بالبشر والحفاوة . وكن الاسكندر قد ارسل برمنيون الى دمشق ليستحوذ على خزائن دارا التي ارسلها اليها لما سار الى قبايقية لحرب الاسكندر فاستولى عليها وكان فيها من الذهب والفضة والآنية والحلي والحلل الثمينة ما لا يعد ولا يوصف فضلاً عما كان لبعض اعيان الفرس في دمشق من المتاع والاموال . وخربت البلاد التي استولى عليها الاسكندر بايدي الفرس وكان من عادتهم ان يحرقوا المدن والقرى قبل ان تسقط في ايدي عدوهم .

دولة السلاسة) ولما هلك الاسكندر اقتسم المملكة قواده الاربعة المعروفون وملك الارمن) بالسلاسة فكانت الشام من حصة سلوقس . وكان من اشهر مدن مملكته انطاكية التي جعلها عاصمته وسلوقية (السويدية) وافامية (قلعة المضيق) واللاذقية . واستولى بطليموس والي مصر من دولة البطالسة على ارض اليهودية

وفينيقية وجزيرة قبرص والمدن الساحلية من الشام . وفتح انتيفونس من خلفاء الاسكندر صور وبافا وغزة ولم يفتح صور الا بعد حصارها خمسة عشر شهراً . تعاصت عليه مع انه لم يكن مضي على فتحها سوى تسع عشرة سنة فاعادها اهلها الى حصانتها الاولى وعادت قطب التجارة في الشرق والغرب . وجد بطليموس في اصطناع اسطول له في جبيل وطرابلس . وجرت وقعة مهمة بين بطليموس وسلوقس وبين ديمتريوس انجلت عن خمسة آلاف قبيل وثمانية آلاف اسير من جيش ديمتريوس ولما رأى بطليموس ان ليس في قدرته محاربة انتيفونس عاد الى مصر وهدم قلاع عكا وبافا والسامرة .

كانت الدولة السلوقية اليونانية دولة حرب ونزاع ، ففدت الشام في حالة بؤس ونحس ، رومية تطالبها بيسط ساطانها عليها ، ومصر تجار بها لتضمها اليها ، وادل فارس يجتاحونها ، حتى قررت لهم السيادة الاسمية عليها ، ففنت البلاد بضعف الحال وقلة الرجال ، فضاقت ذرع الشاميين بالحروب المتصلة بين ملوكهم من اليونان وعسهم واعنائتهم وانقساماتهم وقتلهم اولادهم وابناءهم واخوتهم فغزموا ان يخناروا ملكا عليهم من الاجانب فكتبوا الى نيران ملك ارمينية وارسلوا اليه وقدأ يفضون اليه بما غزموا عليه ويكاشفونه في قبولة . فاجابهم الى طلبتهم واتى الشام سنة ٨٣ ق . م ولبس تاج ملكها واستمر ملكه فيه ثمان عشرة سنة الى ان جاءها الرومان سنة ٦٥ ق . م واستخلصوا البلاد منه .

* * *

دولة الرومان / كان بومبيوس اول قائد روماني استولى على الشام وجعله ولاية رومانية وجعل انطاكية عاصمتها . قالوا : ان قرب الشام من البارثيين قد منعها من الاستمتاع من نعمة النجاح التي وصلت اليها سائر اقطار المملكة الرومانية ثم انفصلت مدة عن رومية اعطاها انطونيوس الى احد اولاد الملكة كلوبطرا وعادت فضمت الى مملكة الرومان على عهد الامبراطور اغسطس وُنقلت بها الاحوال الادارية على عهد الامبراطورين فيسباسين وادريانوس ولم تكد تطعن من ناحية البارثيين بفضل الوقائع التي كتب فيها النصر للقائدين تراجان وسبتيم

سيفير وانظمت حالما وانبسط ظل عمرانها وقام منها امبراطرة شاهيون قبضوا على قياد المملكة الرومانية من عهد الامبراطور سبتيم سيفير الى اسكندر سيفير حتى كان من عهد تأسيس مملكة الفرس الثانية على انقاض مملكة البارثيين ماجاب المصائب والنواب على البلاد لو لم يقم امثال القواد ادريانوس وديوكلسيانوس ويوستنيانوس ويردوا تلك الغارات .

قال مومسن : ان البدو واليهود والنبطيين كانوا على عهد بومبيوس الروماني اصحاب السلطان في الشام ، فان الصحاري الرملية الجافة التي لا تسكن من حدود شبه جزيرة العرب آخذة في الغرب الى جبال الشام والشواطئ الواقعة من الجهة الشرقية الى البادية من الفرات الاسفل الخصبية . هذه الصحراء لم ترح موطن ابناء اسماعيل العرب . ومنذ عرف اول تقليد لم نبرح نشاهد ابناء البادية ينصبون خيامهم ويرعون انعامهم يطاردون على خيولهم المطهمة القبائل المعادية لهم او يفزون التار الآتين مع القوافل . ولما كان الملك تيغران قد اخذ بأيدي ابناء البادية لحاجته اليهم في التجارة اهتبلوا الغرة في هذا الاضطراب الذي جعل امور الشام فوضى ليتوسعوا في شمالي البلاد وكان للقبائل القريبة من بلاد الشام من هم على شيء من الحضارة القدح المعلى في هذا الشأن .

قال : وكان زعماء قبائل البادية اتبه بعضايات منفردة يساوون ابناء البادية ويفوقونهم في قطع الطرق والاضرار بالسابلة . وهكذا شأن بطليموس بن مينوس وربما كان اقوى هؤلاء اللصوص واغنى اهل عصره . وكان يحكم بلاد الايطور بين اي الجبلين وهي بلاد الدروز اليوم في اودية جبل لبنان وحكمه نافذ من الشطوط الى بعلبك وهكذا حال ديونيزوس وكنيراس صاحبي مدينتي طرابلس وجبل . ومثل ذلك كان شأن اليهودي سيلاس في قلعتة على مقربة من افامية على العاصي .

* * *

مملكة يهودا / قال : وكان اليهود في جنوبي الشام يحاولون توطيد وانقراض اليهود) سلطنتهم السياسي فانشأ المكابيون يهتمون عبادة اليهود ويطرسونها حتى توصلوا بذلك الى انشاء مملكة وراثية جمعت الى الرئاسة الدينية

الرياسة الدنيوية ثم فتحوا بلاداً في الشمال والشرق والجنوب ولما مات الشجاع جاني
الـكـسـنـدر سنة ٦٢٥ كانت مملكة يهودا ممتدة نحو الجنوب الى جميع بلاد الفلسطينيين
الى النجوم المصرية ونحو الجنوب الشرقي الى مملكة النبطيين في البتراء والى الجنوب
الى ماوراء بلاد السامرة والمدن العشر الى بحيرة طبرية فكانت التواطىء بايدي
اليهود من جبل الكرمل الى العريش وفي جملتها مملكة غزة وكانت عسقلان مدينة
حرة واصبحت مملكة اليهود مرافقاً حرة للصوص البحار بعد ان كانت مفصولة عنها
فيما غير من الايام .

ولذلك اضطهد الرومان اليهود كثيراً فنالهم في ايام هيرودمس من الاضطهاد
واهراق الدماء ما نالهم وفي ايام فلورس الوالي الروماني لحقهم في كثير من مدن فلسطين
ضروب الاذى والقتل . وتكفل السور يون باليهود عملاً بأشارة الوالي الروماني . واحرق
الرومان أورشليم ودمروا المدن وسبوا اليهود وثار هؤلاء على الرومان سنة ١٣٢ فقتل
هؤلاء منهم ٥٨٠ ألفاً واحرقوا ودمروا تسعمائة قرية عدا الحصون واسروا كثيراً منهم
بعثوا بهم الى رومية حتى انقطع شأفتهم من فلسطين مدة خمسة عشر قرناً .

قال كلرمون كانوا : لما دخل المسلمون ارض اليهودية لم يجدوا يهوداً لان حروب
فسباسين وطيطوس وتراجان وادريانوس واضطهادات ملوك النصرانية لم تترك حجراً
على حجر من اليهودية السياسية والوطنية بل امعنوا في القضاء عليها وذروا رمادها في
الرياح الاربعة فقدت في فلسطين جميع التقاليد اليهودية وجميع اليهود الذين تراءم
بلا استثناء . هم من الطراء على فلسطين . وخرأ نزلوها بعد ان بادوا منها مدة
خمس عشرة قرناً .

* * *

الايطوريون (وذكر مومسن : في كلامه على الاضطرابات والمنافسات بين
والنبطيون) الرؤساء في الشام ان المدن الكبرى مثل انطاكية والسويدية
ودمشق هي التي كان ينالها الاذى من جراء ذلك فيصاب زراع البلاد بزراعتهم
وتجارهم البرية والبحرية . ولا يستطيع سكان جبيل وبيروت حماية حقولهم وسفنتهم
من هجمات الايطورين — الذين استولوا على اللبنانيين الشرقي والغربي ونزلوا فينيقية

وجعلوا عين جبر (عجبر) عاصمتهم الاولى ثم اتخذوا طرابلس عاصمتهم الأخرى — الذين كانوا يطيلون ايدي التعدي على البر والبحر من حصونهم العالية . ويحاول سكان دمشق ان يدفعوا عن انفسهم عادة الايطر بين والبطالسة وذلك بخضوعهم للملك البيهدين عنهم مثل النبطيين واليهود وتداخل سامسيكراموس وازيوس في انطاكية في الخلافات المدنية بين الوطنيين فاصبحت هذه المدينة اليونانية عاصمة امير عربي .

خضع سكان دمشق للنبطيين اصحاب البتراء لانهم اصبحوا اصحاب الحول والطول في الشام ومصر لما دب فيها من الضعف نحو سنة ١١٠ الى ١٢٠ ق م بالحروب المتأصلة وقد كان النبط يغفرون على ارض مصر والشام بعصاياتهم فخاربا الادوميين واسسوا ملكاً بالبتراء . قال مومسن : ان دمشق لم تبرح ملكاً للنبطيين والاولى ان يقال ان هذه المدينة اعطاها كاليولا الروماني الى الحرث صاحب البتراء . وانخط النبطيون بسرعة على عهد مالتوس الثاني نحو سنة ٤٨ الى ٧٠ ب م فاضاعوا دمشق . ثم فقد النبطيون استقلالهم في سنة ١٠٥ م عقيب حملة كرنيلوس بالملك حاكم الشام الذي استولى على البتراء واصبحت جرش الى سنة ١٦٢ خاضعة لولاية الشام ثم البتراء ثم ضمت فينيقية الى الشام وكانت لمملكة النبط القديمة بلدتان مهمتان بصرى والبتراء .

وروى بعضهم : ان بومبيوس لما فتح الشام واستولى على دمشق وما جاورها ابقى لدمشق بعض استقلالها وكذلك لبصرى وجرش وعمّان وبعد فتح البتراء وجعلها ولاية رومانية جعلت بصرى عاصمة حوران مقر الفيلق من الجبود فعمرت البلاد وكانت ميدان السلب والنهب من قبل وازدانت المدن بأثار تدهش خرائبها واطلالها . وغزا انطوخيووس النبطيين سنة ١٣٢ ق م فلم ينل منهم ثم حاصرهم ديمتريوس .

كانت مملكة النبط على عهد المكابيين ممتدة بين فلسطين وخليج العقبة ووادي العجبر والبحر الرومي وهي عبارة عن مملكة ادوم قديماً ويسمى اليونان بلاد العرب الحجرية وعاصمتها مدينة سلع او البتراء في وادي موسى سماها بعضهم مدينة

الرقيم ظناً منه بانها مدينة اصحاب الكهف واسم البتراء اقرب الى الاسم الذي عرفها به اليونان وان كانت البتراء على ما ورد من وصفها في كتب العرب هي في ارض الحجاز . قامت هذه الدولة العربية على حين غفلة من دولة البطالسة والسلاسة في مصر والشام وقوي سلطانها في القرن الثاني قبل الميلاد . ولقب الحرث الثالث نحو سنة ٨٥ بحب اليونان وهو الذي فتح البقاع سنة ٨٥ واستولى الحرث الرابع على دمشق وفي ايامه حدث المصاف الاول بينه وبين الرومان فاضطر الحرث ان يؤدي اليهم الجزية . واضطر النبطيون على عهد الامبراطور بومبيوس واخلافه ان يقدموا جنداً من ابنائهم الحين بعد الآخر لمعاونة الرومان ولكن ظلت مملكتهم حرة قوية . واصبحت مملكة النبط ولاية مستقلة برأسها نحو سنة ٣٥٨ تحت اسم مملكة فلسطين او فلسطين المسالمة . وحمل الامبراطور تراجان على النبطيين فبدد شملهم وقضى على مدينتهم سنة ١٠٦ م فاندجوا في غيرهم وعدد ملوكهم اربعة عشر ملكاً منهم من اسمه الحرث ومنهم عبادة ومنهم مالك و بينهم بعض الملكات من النساء .

* * *

دولة تدمر / ولما تراجع امر مملكة النبط في نحو منتصف القرن الثالث للمسيح لارتقاء مملكة تدمر ومملكة فارس اللتين نازعتاها التجارة اخذت تدمر ترتقي بتجارها واصبحت زمناً هي ومملكة النبط مركزا للتجارة في الشام ونقطة اتصال الشرق بالغرب . وانضمت مملكة تدمر الى ممالك الرومان نحو السنة السادسة والثلاثين قبل الميلاد . وكان القائد مرقس انطونيوس عائداً من حرب الملوك الارشكبيين فحاول الاستيلاء على تدمر فقاومه اهلها على الفرات فتغلبوا عليه . وبعد ذلك توطلت العلاقات الحسنة بين تدمر ومملكة الرومان ونالت حقوق مستعمرة رومانية بفضل بعض امبراطرة الرومان .

قال رنزال : واذا اعتبرت ان العهد الذي فيه ارتقت حاضرة زينب اي تدمر الى اوج التمدن هو نفس الزمن الذي به نواتر على عرش رومية بعض الملوك الشرقيين كسبتيميوس ساويرس واسكندر ساويرس وفيلبوس العربي ، فلا تعجب من كون اذينة الاول قد تجاسر على خلع السلطة الرومانية واقامة دولة مستقلة تحتوي على

انحاء البراري وبلاد العرب الشمالية . وكان هذا الرجل ابن خيران بن وهبلات بن تصور من بني السميدع انتهم الفرصة وادعى الملك سنة ٢٥٠ م فقتله القيصر الروماني وحارب أذينة واخلافه الفرس غير مرة كانوا فيها يستظهرون عليهم ويجرزون رضا الامبراطورية الرومانية .

ولقد خرج على أذينة قائد روماني اسمه كياتوس فحاصره أذينة في حمص ، فلما ضاقت به الحال خانه قائده كاليستوس وقتله فتفتحت ابواب حمص ثم قتل كاليستوس فاقر امبراطور انرومان لأذينة بحق الرئاسة ودعا امبراطوراً على جميع انحاء المشرق اي على الشام والجزيرة وآسيا الصغرى خلا بعض نواح في الشام ، ودعي ملك الملوك واول ما سعى له القضاء على الاضطهاد الذي أصاب النصارى في بعض مدن الشام كأنطاكية وحمص ودمشق وقيسارية فاطلق الحرية الدينية لكل الطوائف ، واوزع الى الوثنيين ان لا يتعرضوا للمسيحيين في قضاء فروض عبادتهم ، ورخص لهم في إقامة البيع والكنائس ، وادب العصاة من تقايا جيوش كاليستوس ممن كانوا انتشروا في البلاد وعكروا صفوها باعتداءاتهم على الناس . وقاتل ملك النرس مرة ثالثة وظفر به ثم قتل بهد ابن اخيه معتنى مع ابنه هيروديس وبوبوع لمعنى . الا ان اهالي حمص ثاروا به بعد ايام وقتلوه .

زينب اوزنوبيا | وكانت زينب او الزباء او زنوبيا زوجة أذينة الثاني
او الزباء | فولدت له ثلاثة اولاد اكبرهم وهبلات ثم خيران ثم تيم الله
فلما قتل أذينة اخذت زوجته بأزمة الملك بالنبابة عن وهبلات بكرها وكان لها مجلس
شيوخ ترجع الى رأيه ولها من الحلم وحسن الادارة والسياسة والكرم ما عدت به من
اعظم الملوك والملكات . وكانت نفسها تحدثها على ما يقام بالاستيلاء على المملكة
الرومانية . وعقدت مع سابور ملك الفرس معاهدة وكان يجتشي بأسها . وغصت عاصمتها
باجناس الشعوب والعناصر واكثر يترهم من العرب والنبط .

وكان بنو السميدع يسكنون بادية الشام في ارائل النصرانية فظفر بنو غسان
بعد خراب سد مأرب وسيل العرم واستولوا على جهات فلسطين ودمشق وكانت

سقتهم قبيلة بني سليج من قضاة وسكنت البلقاء فانتشروا في البلاد او اخر القرن الثاني للمسيح وفي خلال تلك المدة قدمت فرقة من بني لخم الى جنوبي فلسطين وامتدوا في شرقي بحيرة لوط وبرز قوم من مضر يعرفون ببني كعب امتدوا من انحاء الحجاز الى جنوبي الشام ونزلوا في جوار دومة الجندل (الجوف) فاذنعت بقايا هذه القبائل لزيب فاستأجرتهم وادخلتهم في جملة جيشها . وخف سنانيس قيصر عادية زيب وقد اصبحت محبوبة من الامم فوجه جيشا اقتالها فغلبته جيوشها وانهزم فلجيش الروماني . ثم حدثتها نفسها ان تستولي على بلاد يثيانية فقهرتها وبلغت خلقيدونه فدعا سكانها القيصر اوريليانس الى نصرتهم فنجأ التدمريين في يثيانية نحو ٢٧١ .

٢٧٢ فطردهم عنها ثم واصل فتوحاته فتغلب على غلاطية وقبادوقية حتى بلغ مدينة انقره ففتحت له ابوابها .

وكانت زيب في سنة ٢٧١ امتدت ساملها فيروس على مصر بالقائذزدا لصد هجمات الرومان الذين قدموا مصر بقيادة بروبس ، فقتل بين القر يقين قتال انهزم فيه التدمريون تاركين مصر اى الابد ، واد زبدا مع بقايا عسكره . وكانت زيب اعدت جيوشها لمقاتلة الرومان وقسمتها لثلاثة اقسام وجعلتها تحت امر زبدا وزباي . وجهت القسم الاول الى طريق حلب والثاني الى طريق حمص والثالث الى القر يتين وهي نقدهم بنفسها . وجاءها جيش الرومان من الشمال ففتحوا مدينة طيانه ومدان جبال طوروس حتى قروا من انطاكية فأمرت زيب قوادها ان يناوشوا الرومان القتال فشتت عساكرها عسكر الرومان لاول الواقعة ثم عاد عسكر الرومان على التدمريين فكسروهم فلماك اوريليانوس انطاكية وذهبت زيب الى حمص فتأثرها الجيش الروماني ففتح سيفه طريقه عدة مدن على ضفة العاصي مثل افاميا وشيزر (لاريسا) والرستن وبلغ جوار حمص .

استعدت زيب لقتال القائد الروماني في سبعين الفا وكان عدد جيشه اقل من جيشها الا انه اكثر مرانا على الحرب واسرع في الكر والفر . فانكسر جيش زيب كسرة عظيمة واستولى على حمص . فإ يسع زيب الا ان تسرع الى تدمر للدفاع عنها وخف اوريليانس الى حصار تدمر وتخلى عن نصرتها ، فهاؤها من الفرس والارمن

والعرب ثم وقعت زينب في قبضة القيصر الروماني وفتح التدمريون ابواب مدينتهم للرومان في اول سنة ٢٧٣ ثم وضع اوريليانس حامية قليلة واخذ معه زينب واسرى التدمريين الى آسيا الصغرى فبلغه في طريقه الى رومية ان التدمريين ثاروا بالهامة التي وضعها عندهم فكروا راجعاً عليهم وأعمل السيف فيهم اياماً وقوض الابنية والهياكل ودك الاسوار والقلاع فخربت تدمر خراباً لم نلتفت منه .

* * *

آخر عهد الرومانين) كثرت الفتن على عهد دولة السلافة خلفاء الاسكندر وسياستهم) واستقلت فلسطين في عهد المكابيين (١٤٣ ق م) لاشتغال السلافة بحروبهم . وامتد سلطان استقلالها من البحر المتوسط الى الفرات . واحتفظت بحريتها حتى تدخل بالامر القائد بومبيوس الروماني وبسط سلطان دولته على البلاد سنة ٦٣ ق م . ولما اراد الرومان اضافة فلسطين الى ولاية الشام الرومانية ثار اليهود فكانت نتيجة ذلك حصار بيت المقدس وخراب معبد سليمان على يد تيتوس سنة ٦٦ ب م . وثار اليهود في فلسطين بقيادة بار كوخبا (١٣٢-١٣٥ م) فخار بهم ادر يانوس الروماني واخضعهم بعد حرب هائلة قتل فيها قائدهم .

قال بعض المؤرخين : لما وقعت الفتن بين اليهود والرومانين في فلسطين سنة ٦٦ لم يبق من مملكة اغريبا وهي الجولان احد من اهلها . لان اغريبا مضى لزيارة غلوس والي سورية في قيسارية وانا ب عنه رجلاً اسمه فاروس فاتي اليه وجاء بعض المدن من اليهود يسألونه ان يرسل اليهم جنوداً للمحافظة على راحتهم فبدلاً من ان يحسن ملتقاهم بعث قوماً قتلهم ليلاً عن آخرهم . ثم لم يدع جوراً ولا اعتسافاً الا واقدم عليه . ولما بلغت اغريبا اخبار ظلمه عزله ولم يقتله لاتصال نسبه باحد ملوك العرب .

وزحف غلوس الي زابلون ففر اهلها الى الجبال فاتتهبها واحرق بيوتها التي لم تكن ابنية صور وصيدا وبيروت احسن منها ونهب واحرق القرى المجاورة لها وعاد الى عكا فنشط اليهود الى عودته وطاردوا السوربين فقتلوا منهم النبي رجل اكثرهم من بيروت ثم سار غلوس الى قيسارية وارسل كتائب من جيشه الى يافا فباغتوا اهلها وقتلهم عن آخرهم ونهبوا المدينة واحرقوها وكان عدد القتلى ثمانية آلاف واربعمائة .

وارسل غلوس ايضاً حملة الى السامرة قتلت كثيرين من اهلها ثم ارسل فريقاً آخر الى الجليل ففتحت مدينة صفورية (صافوريس) ابوابها لجنود الرومانين واقتدى بها غيرها من المدن . على ان المشاغبين اعتزلوا في جبل عرقون المقابل لصفورية فسار اليهم الجند فظيروا عليهم وقتلوا منهم اكثر من مائتي رجل واحدقوا بالجليل من كل جهة فقتلوا منهم نحو الف رجل ثم احرق افيق (فقوعة) والفولة والقرى المجاورة لها . وتسلسلت هذه الوقائع الرومانية في هذا القطر فسار فسبسيان الروماني الى الكرك (تاريخا) فقتل كثيرين وانبزم كثيرون في سفنهم وابتعدوا في البحيرة بحيرة لوط فكان عدد القتلى من اليهود في البحر والمدينة ستة آلاف وخمسمائة رجل . وبعد ان قهر الرومانيون كرك وجفت -- وجفت غربي قانا الجليل على مقربة من جبل كوكب كاران -- استسلمت اليهم باقي المدف وهلك من اهل كامالا شرقي البحيرة خمسة آلاف ثم خضعت بعض مدن فلسطين وقتل في القدس ثمانية آلاف وخمسمائة سنة ٦٨ وجعلت القدس مستعمرة رومانية (١٣٦) باسم ايليا كايبتولوزا ثم انقضت قرون في سلام على الجملة ولم يدخل الشام في حرب خارجية .

كانت معاملة الرومان للشاميين باديء بدء عادلة حسنة مع ما كانت عليه مملكتهم في داخليتها من المشاغب والتماعب . ولما شاخت دولتهم انقلبت الى اتمس مما كانت عليه من الرق والعبودية . ولم تُخف رومية بلاد الشام مباشرة ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولا ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء ورعايا وكثيراً ما كانوا يبيعون ابناءهم ليوفوا ما عليهم من الاموال وقد كثرت المظالم والسخرات والرقيق وبهذه الايدي عمر الرومان ما عمروا من المعاهد والمصانع في الشام .

وفي سنة ٥٤٠ جاء ملك الفرس خسرو الاول واسمه عند العرب انوشروان في جيوشه الضخمة ودخل الشام وظل فيه ثلاث سنين ثم اخرج الفرس منه بلبزير الروماني سنة ٥٤٢ وعادوا اليها بعد وفاة يوستينيانوس بزعامه خسرو الثاني والتحق القتال مع ملوك الساسانيين وطردهم الى ما وراء عبر الفرات الامبراطور هرقل وفي هذه الحقبة خربت انطاكية بفتح الفرس لها وقتلهم اهلها . وكانت مدة ثمانية قرون من قبل مهد المدينة الشرقية .

حكم الرومان الشام سبعائة سنة بدأ معهم في البلاد النزاع والشقاق والاستبداد والانانية وقتل الاقدس . وحكم اليونان الشام ٢٦٩ سنة سادت في عهدهم الحروب الطاحنة والمظالم وظبرت المطاعم اليونانية باعظم مظاهرها وكنت حكيم من اشد الولايات واشأم النكبات على الامة الشامية . جاء في التاريخ العام : نرى التأثيرات الرومانية والبيزنطية قد اثرت في عرب الشام اخلاف العاقبة القدماء الذين كانوا ينقون كل مدة بين يهاجر اليهم من ايمن والحباز فكانت المملكة الرومانية محتاجة لمعاونتهم سواء كان ذلك لحرب الطلائع ضد ابناء جنسهم النازلي على ضفاف الفرات او لاملأ فراغ الشام وكان يمهدهه البارتيون ثم الفرس . وماوم كيف تآومت ارملة أذينة واسمها زينب او زنوبيا القوي الرومانية في الشرق . ولما انحلت مملكة تدمر عهدت الامبراطورية الرومانية الى امر أخرى باخكم في تلك الارحاء وتبتت الامارة في الفساسنة ودامت فيه ثلاثة قرون ودان رؤساء الفسانين بالنصرانية فاشتركوا في حرب فارس من القرن الرابع الى القرن السادس وكان احدهم الحرث الخامس من قوام مقام القائد بلزيزير في حملة آسيا .

✦ ✦

بنو غسان والعرب / اخذت روايات مؤرخي العرب في بني غسان وكانوا في الشام اقيالا بل عمالا لملوك البيزنطيين في هذه الديار .
 • قد عهد اليهم الدفاع عن تخوم الشام من اعتداء الفرس ورد غارات الخمين اصحاب الحيرة وكانت سلطة الفسانين كما قال تلصير نناول الولاية العربية او بلاد حوران والبقاء الاقايلا (وينيقيية ولبنان وفلسطين . وقال حمزة الاصفهاني . ابوالندا : ان عدد ملوك الفسانين في الشام احد وثلاثون ملكا على حين لم يبلغ عن ابن قتيبة والمسعودي عددهم الى اكثر من عشرة . ويقول الاصفهاني ان الحرث بن جبلة هو من اشهر ملوكهم لم يطل حكمه اكثر من عشر سنين . ومؤرخو الروم يقولون انه حكم نحو اربعين سنة وهو المحدث . وكان للفسانين تمدن فاقوا به الخمين لاختلاطهم بالروم البيزنطيين . ولم تكن لهم حاصمة معينة بل كانوا ينزلون الجولان والسويداء والجابية وجلق . وكان الفسانيون يؤدون الجزية عند ما هاجروا من ايمن الى الشام الى رؤساء الاسباط

من الرومان ثم امنعوا من اداها عندما نالوا من الضجاع واستولوا على الامر دونهم فاضطر
الروم ان يقرروا الغنائم على ذلك لحاجتهم اليهم في رد عادية للتحسين سكان الحيرة .
وربما كان ذلك في اواخر القرن الخامس للميلاد .

وفي سنة ٥٢٩ عهد الامبراطور يوستينانوس الى الحرث بن جبلة -- وكان
الحرث يدين بالنصرانية على مذهب القائلين بطبيعة واحدة في المسيح ومن المتحمسين
لهذا المعتقد الحاميين لـ -- بزمامة جميع القبائل العربية في الشام ونال لقب رئيس
الاسباط وطريق . وكان هذا اللقب في مملكة البيزنطيين اذ ذاك ارقى لقب بعد
الامبراطور . وفي تلك السنة اشترك مع البيزنطيين في قمع ثورة السامريين وانقضى معظم
عهده في حروب المنذر الثالث ملك الحيرة . وفي سنة ٥٢٨ تغلب على المنذر وبعد
نحو عشر سنين اصبحت المنافسة بينه وبين المناذرة على اتمها بسبب اراضي التجوم الواقعة
بين دمشق وتدمر الى الزصافة وكان كل واحد منهما يدعيها . قال هوار: ان الحرث
الغساني كسر المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ وانه لما كان والي فلسطين اشترك في اعادة
السامريين الى الطاعة فوهبه يوستينانوس لقب الملك ليقتضي على العرب الذين كانوا
اقطاعا للملوك الساسانيين من الفرس وكان كثيراً ما يجناز دجلة ويحرب البلاد ويحمي
قبائل العرب النازلة في بركة تدمر من اعتداء المناذرة الذين كان يحاول هؤلاء ان
ياخذوا منهم الجزية وحاربهم على الطريق الحربي (La Srata) الذي كان
بين دمشق وتدمر .

وحارب الحرث مع الرومان في العراق ثم حارب المنذر الحرث وأسر ابنه وقدمه
للعزى ضحية . وفي سنة ٥٥٤ ظفر الحرث بالمنذر في جهات قنسرين فهلك المنذر
في المعركة . وخلف الحرث ابنه المنذر وتغلب على العرب الفرس الذين هاجموا بلاد
الغسانيين وظفر بملكهم قابوس في عين اباغ على الاعراب . وحاول ملك الروم قتل
المنذر فرفع لواء العصيان ثلاث سنين ولما عصى العرب والفرس على المملكة البيزنطية
اضطرت هذه ان تقدم مع المنذر الصلح ثم حمل المنذر الى القسطنطينية اسيراً وانقطعت
الاموال التي كانت تعطيا له مملكة الروم فثار اولاده الاربعة بقيادة النعمان بكر
اولاد الحرث وهاجموا اراضي الروم وخربوا فيها فاخذ النعمان اسيراً ايضاً . ولكن

الفوضى انتشرت في بادية الشام واخذت كل قبيلة تختار لها زعيماً خاصاً وانشأوا يميلون الى الفرس ولما سقطت دوشق والقدس في يد ملك الفرس كسرى ابرويز (٦١٣-٦١٤) انهارت مملكة الفسانيين . وقيل ان جبلة بن الايهم كان آخر ملوكهم . هذا ما يعرف عن الفسانيين في الجملة نقلاً عن حقيق امرهم من مؤلفي الغرب .

* * *

اليك نبذة في تاريخ الشام القديم لمؤرخين منورين من المحدثين لقفتها على ضوء ولتها وكنت احب التوسع اكثر من ذلك في سرد وقائع تلك الايام لولا الخوف من الوقوع في نقل ما لم ينفق الباحثون عليه . والتعرض للمجهولات يؤدي الى سقوط في غلطات او خيالات او حكايات منافضات . ولعلّ عناية علماء العاديات في عصرنا توصلهم الى اكتشاف ما كان مجهولاً من تاريخ هذه الديار كما اوغلوا في حفر ياتهم في هذه التربة التي طالما غذيت بدماء الغالبيين والمغلوبين وسارت على اديمها دول كبيرة كان الناس في ظلها ظالمين ومظلومين وقتل اهلها في سبيل شهوات الفاتحين بالالوف والمئين .



تاريخ الشام في الاسلام

« من سنة ٥ الى سنة ١٨ للهجرة »

— ٦٠٠ —

حالة الشام (دنا الداعي الى الاسلام في جزيرة العرب وكثير من دانوا به قبيل الفتح) فكان الشام من اول البلاد المجاورة للحجاز التي فكر الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) في فتحها لنشر كلمة التوحيد وكانت هذه الديار تحت حكم الرومان منذ سبعة قرون وملكها صاحب مملكة بيزنطية او مملكة الروم الشرقية ويعرف عند العرب باسم « هرقل — Héraclius » وسكان هذه البلاد من سريان وعرب وروم وفرس اصحاب علاقات مع الحجاز بالتجارة كما كانت علائق عرب الحجاز في الجاهلية كثيرة جداً باهل هذا القطر . واهم ما كان يرجى منه تيسير النتح ان قبائل عربية كثيرة كانت تنزل الشام بل تشارك دولة الروم في الاحكام واشبهها غسان في الجنوب وثنوخ في الشمال وتغلب في الشرق . وكانت هذه القبائل العربية دانت بالنصرانية وتركت عبادة الاصنام والاثوان . فقويت الروابط بينها وبين البيزنطيين فكانوا يؤدون لزمائمهم الرواتب ليقفوا في وجه البادية في الجنوب حتى لا يهاجموا الشام وفي وجه الفرس في الشرق حتى لا يهددوا آسيا الصغرى .

وكان الفرس قبل الهجرة النبوية بثمان سنين فتحوا الشام (سنة ٦١٣ — ٦١٤ م) فدافع هرقل عنها سنة ٦٢٦ وانصر على كسرى ولكنه فقد بانونيا ودلماسيا . اجزاء مملكته وسقطتا في ايدي الخرواثيين والصربيين وخوى نجم المملكة وساء

طلعتها وظهرت اعراض الانحطاط في اعصابها فارتأى هرقل ان يلقى بقياده الى
البحر يرك سرجيوس القائل بطبيعة واحدة ومشيتة واحدة في المسيح (عليه الصلاة
والسلام) . وكانت النصرانية تشعبت الى مذاهب مختلفة كختملة النساطرة واليعاقبة
وجميع ارباب هذه المذاهب تكره حكومة الروم التي كانت تظهدهم باهم المذهب
الارثوذكسي وكانت عداوتهم تزيد على الايام تأصلاً .

ولقد كانت مصر والشام من جملة الافطار التي تحاول الانتصالي عن المملكة
البيزنطية وقد شغل الامبراطور وشعبه بالمسائل الدينية والخلافات المذهبية فاخذ ينظر
الى غارات العرب نظر العاجز الضعيف وزاده ضعفاً شيخوخته واستسلامه لرجال الدين
مع انه كان على ضعف ارادته شجاعاً عاملاً بعيد النظر . وما حال ملك يخر جسمه
سوس الفساد في الداخل وهل ابن ضعف جسمه واختلت قواه ان يرسل نظره الى
القاصية فينقيها وهو عن انقاء ما لديه من المنهكات اعجز . فلا عجب ان اصحبت احوال
الشام من اشد ما يكون ، لاثمة لفتوح العرب في تلك الحقبة من الزمن واسباب الظفر
موفورة لم من كل وجه .

هذا وخزائن هرقل فارغة ومرتبات الامير الفسافي التي كانت الدولة تجر بها
عاليه منقطعة . والنفوس في الشام مستاءة من المظالم والمغارم ، سئمت الحروب والغارات
وهي عرضة لمطامع الفرس اوسوء ادارة الروم والناس يتحدثون بقرب انفراج الازمة
على ايدي الفاتحين من العرب وكان يبلغهم من اخبار عدلم ما تثلج له الصدور وتود
لو ترى قبل ساعة طلعة الدولة الجديدة التي اتت من الاعمال ما صعب على الفاتحين
ان يأتوا مثله في باب العدل والرحمة والتسامح .

* * *

صلح دومة الجندل وغزوة ذات السلاسل) لما انتشر الاسلام في جزيرة العرب
ومؤتة والحرباء واذرح ومقنا وجيش أسامة) حجازها وبينها ونجدها اخذ الرسول
(ص) يغزو الروم في الشام غزوات قليلة ويرسل سرايا ضئيلة تزيد بحسب الحاجة
حتى يتعرف المسلمون طرق الشام وامصاره ويسبروا غور الروم واستعدادهم . وكان
بعض العرب في الجاهلية رحلوا الى الشام مرات لغرض التجارة او غيرها من الاغراض

التي نشأ بين اهل قطر بن مجاورين . وكان عليه الصلاة والسلام ممن رحل الى الشام في التجارة قبل النبوة فبلغ حوران وعاد منها الى الحجاز عرف شيئاً من حالها وقوة الروم ولكن ذلك لم يكن من عزمه الشريف في سبيل غرضه النافع . وكانت اول غزواته الشام على رأس تسعة واربعين شهراً من مهاجره بلغه ان بدومة الجندل جميعاً كثيراً وانهم يظلمون من مرّ بهم من الضافطة ^(١) وانهم يريدون ان يدنوا من المدينة وهي طرف من افواه الشام بينها وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين المدينة خمس عشرة او ست عشرة ليلة فندب رسول الله الناس واستخلف على المدينة وخرج في الف من المسلمين فكان يسير الليل ويكون النهار ومعه دليل له من بني عذرة فأخذ نعمهم وشاءهم ورجع لم يلق كيداً .

وفي سنة ست ندب الرسول عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل وقال له ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فدعاهم الى الاسلام فاسلم الاصبغ بن عمرو الكلي وكان نصرانياً وكان رأسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه واقام من اقام على اعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن بتماضر بنت الاصبغ . وكان صاحب دومة أكيدر بن عبد الملك في طاعة هرقل ملك الروم يعترض سفر المدينة وتجارهم فصالحه الرسول على الجزية على كل حال في ارضه ديناراً وكتب له ولاهل دومة كتاباً وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم » : من محمد رسول الله لأكيدر دومة حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكد انها ان لنا الضاحية ^(٢) من الضحل والبوز والمعامي واغفال الارض والحلقة

(١) الضافطة الذين يجلبون الميرة والطعام (٢) الضاحي البارز . والضحل الماء القليل . والبوز الارض التي لم تستخرج . والمعامي الارض المجهولة . والاغفال التي لا آثار فيها . والحلقة الدروع . والحافر الخيل والبراذين والبغال والحمر . والحصن دومة الجندل . والضامنة النخل الذي معهم في الحصن . والمعين الماء الدائم . وقوله لا نهدل سارحتكم اي لا يصدقها المصدق (اي الذي يعدها) يأخذ صدقتها والمصدق عامل الزكاة الذي يستوفيها من اربابها صدقتهم يصدقهم فهو مصدق (الا في مراعيها ومواضعها ولا يحشرها . وقوله لا تمتد فاردتكم اي لا تضم الفاردة الي غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة .

والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من الممور ، لا تُعدل سارحتكم ، ولا تُهدءُ فاردتكم ، ولا يحظر النبات ، نقيمون الصلاة لوقتئها ، وتؤتون الزكاة لحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم به الصدق والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

وارسل الرسول كتباً الى هرقل والحارث بن ابي شمر يدعوها الى الاسلام وكان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً لقيصر على عثمان من ارض البلقاء قد اسلم وارسل الى رسول الله رسولا يقال له مسعود بن سعد من قومه واهدى الرسول بغلة يقال لها فضة وحمارة يعفور وفرساً يقال له الطرب واثواباً من كنان وقباء من سندس مخزصاً^(١) بالذهب فقبل رسول الله كتابه وهديته وكتب اليه جواب كتابه وأجاز رسوله مسعوداً باثنتي عشرة اوقية ونش وبلغ قيصر اسلام فردة بن عمرو فحبسه حتى مات فلما مات صلبوه — تأله ابن سعد .

وفي السنة الثامنة للهجرة بعث الرسول سرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاق من ناحية الشام وهي وراء وادي القرى بين تبوك وأذرعات وكان ينزلها قوم من قضاة ورأسهم رجل يقال له سدوس فخرج في خمسة عشر رجلاً فوجد جمعاً كثيراً فدعاهم الى الاسلام فأبوا ان يجيبوا وقتلوا اصحاب كعب جميعاً وتحامل رجل منهم حتى بلغ المدينة . وفي هذه السنة استنفر الرسول الناس الى الشام فكانت غزوة ذات السلاسل ، والسلاسل مائة بارض جذام — فوجه عمرو بن العاص في ثلثمائة مقاتل ثم استمده فأمده بأبي عبدة بن الجراح على المهاجرين والانصار فيهم ابو بكر وعمر في مائتين فكان جميعهم خمسمائة والغالب انهم رجعوا من هذه الغزاة على غير جدوى .

ومن سرايا التي أرسلت الى الشام سرية زيد بن حارثة الى جذام بمسمى وراء وادي القرى بمابلي بلاد فلسطين من ارض الشام وسببها ان دحية بن خليفة الكلبي كان اقبل من عند قيصر وقد اجاره وكساه فسلبه اهل حسمى فغزاهم زيد بن حارثة ثم رد الرسول عليهم اسلامهم . وفي تلك السنة بعث الرسول جيشاً مؤلفاً من ثلاثة

(١) الخرص بالضم وبكسر حلقة الذهب والفضة .

آلاف مقاتل بلغوا تحوم البلقاء فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم ومعهم العرب المنتصرة بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف فاتحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤنة والنقى الناس عندها فلقيتهم الروم في جمع عظيم فقتل من الامراء زيد بن حارثة ثم جعفر ابن ابي طالب ثم عبد الله بن رواحة فلما فجع المسلمون بثلاثة قواد عظام منهم وكان خالد بن الوليد من القواد في ذاك الجيش رأى المصلحة ان يعود الى المدينة بمن معه . وكان سبب هذه الغزوة ان النبي بعث الحرث بن عمير رسولاً الى ملك بصرى عاصمة حوران بكتاب كما بعث الى سائر الملوك فلما نزل بمؤنة عرض له عمرو بن شرحبيل الفسافي فقتله ولم يقتل لرسول الله رسول غيره . وكانت الروم يوم مؤنة في نحو مائة الف على ما قيل . وقيل ان هرقل نزل مآب من ارض البلقاء في مائة الف من الروم وانضمت اليه المستعربة من ظم وجذام وبلقين وبهراء وبلي في مائة الف منهم .

كانت اخبار الشام عند اهل المدينة كل يوم لكثرة من يرد عليهم من الانباط^(١) فقدمت عليهم قادمة فذكروا ان الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام وان هرقل صاحب الروم قد رزق اصحابه لسنة واستنفر العرب المنتصرة فأجلبت معه ظم وجذام وغسان وعاملة وبهراء وكلب وسليج وثنوخ من عرب الشام وزحفوا وقدموا مقدماتهم الى البلقاء وعسكروا بها وتخلف هرقل بمحص وضرب الروم على العرب الضاحية البعوث . فرأى الرسول ان لم يبدأ الروم القتال بدأوه به فاعلم في سنة تسع بالتجهيز لغزو الروم والطلب بدم جعفر بن ابي طالب الذي استشهد في مؤنة في السنة الفائزة . وكان الرسول اذا أراد غزوة ورآى بغيرها الا في هذه لقوة العدو وبعد الطريق والجذب والحر والناس في عسرة . وكان معه ثلاثون ألفاً والغيل عشرة آلاف والجمال اثنا عشر ألفاً ولقي الجيش حرّاً وعطشاً . وقد انفق ابو بكر الصديق في تجهيز هذا الجيش جميع ماله ، وانفق عثمان بن عفان نفقة عظيمة وكان من اغنيائهم .

قالوا : خرج المسلمون في غزوة تبوك الرجلان والثلاثة على بعير وخرجوا في حر

(١) كان الانباط يقدمون كثيراً الى المدينة في الجاهلية والاسلام يحملون

الزيت والدّرْمَك . والدّرْمَك دقيق الحواري .

شديد فاصابهم يوماً عطش شديد حتى جعلوا يخروا ابلهم فيعصرون اكراشها ويشربون ماءها فكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظير وعسرة من النفقة ولذلك سمي جيش العسرة .

وبلغ الجيش الحجر ارض ثمود فنهاهم الرسول عن مائه ووصلوا تبوك فاقام بها عشرين ليلة وسميت هذه الغزوة غزوة تبوك ولم يلق المسلمون في هذه المعركة كيداً .
وابى يحنه بن رؤبة أسقف أيلة على البحر الاحمر فصالحه الرسول على الجزية . وكتب ليحنه بن رؤبة :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا أمنة من الله ومحمد النبي ليحنه بن رؤبة وأهل أيلة اساقفهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فن احدث منهم حدثاً فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يجل ان يمنعوا ما يريدونه ولا طريفاً يريدونه من براو بحر . هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة » .

وصالح الرسول اهل جرباء وأذرح من بلاد الشراة وصالح اهل أذرح على مائة دينار وصالح اهل مة بنا على مقربة من أيلة على ثلاثمائة دينار على ربيع عمرو كههم^(١) وغزولهم وربع كراهم وحلقتهم وعلى ربيع ثارهم وكانوا يهوداً وكتب اليهم هذا الكتاب : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى بني حبيبة واهل مقنا سلم انتم فانه انزل علي انكم راجعون الى قريبتكم فاذا جاءكم كتابي هذا فانكم آمنون ولكم ذمة الله وذمة رسوله وان رسول الله قد غفر لكم ذنوبكم وكل دم اتبعتم به لاشريك لكم في قريبتكم الا رسول الله ؛ رسول رسول الله وانه لا ظلم عليكم ولا عدوان وان رسول الله ييجيركم مما ييجير منه نفسه فان لرسول الله بزنكم ورفيقكم والكراع والحلقة الا ما عفا عنه رسول الله او رسول رسول الله وان عليكم بعد ذلك ربيع ما اخرجت نخيلكم وربع ما صادت عمرو ككم وربع ما اغترلت نساؤكم وانكم قد ثريتم بعد ذلك ورفعكم رسول الله عن كل جزية وسخرة فان سمعتم واطعتم فعلى رسول الله ان

بكرتم كركيمكم ويعفو عن مسيئكم ومن ائتمر في بني حبيبة واهل مقنا من المسلمين خيراً فهو خير له ومن اطعمهم بشر فهو شر له وليس عليكم امير الا من اتفكم او من اهل بيت رسول الله وكتب علي بن ابي طالب في سنة ٩

وفي السنة الحادية عشرة ضرب الرسول على الناس بعمال الشام ايضاً وأمر عليه أسامة ابن زيد ندبه الى بلاد البلقاء وأذرعته ومؤنة ثائراً بابيه ولا سامة يومئذ ثمان عشرة سنة . وفي رواية ان الرسول امره ان يوطي الخليل تخوم البلقاء والمداروم وان يبلغ ببنى وأزدود من ارض فلسطين وقيل امر ان يوطي من آبل الزيت بالأردن من مشارف الشام ودعا الرسول عليه السلام أسامة بن زيد فقال : « سر الى موضع مقتل ابيك فاطنهم الخليل فقد وليت هذا الجيش فأغر صباحاً على اهل أبنى وحرقت عليهم واسرع السير تسبق الاخبار فان ظفرك الله فاقفل اللبث فيهم وخذمك الادلاء وقدم العيون والطلائع امامك » . وبينما الناس يتأهبون للغزاة ابتداء الرسول شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها . وكان يقول في علته : جهزوا جيش أسامة . ثم سار أسامة الى أبنى فشن عايبها الغارة وقتل قاتل ابيه ولم يصب احد من المسلمين . وبلغ هرقل وهو بمحصر ما صنع أسامة فبعث رابطة يكونون باللقاء فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث الى الشام في خلافة ابي بكر وعمر .

فاول غزوات الشام دومة الجندل والثانية مؤنة والثالثة ذات السلاسل والرابعة تبوك والخامسة آبل الزيت . وكلها مقدمات لفتح هذا القطر وامر قطعي من صاحب الرسالة الى اصحابه بان يكملوا العمل الذي وضع اساسه بنفسه الشريفة .

* * *

جيوش العرب و جيوش الروم } توفي الرسول عليه السلام فارتدت بعض نصيحة ابي بكر الصديق لقواده | قبائل العرب فقالتهم ابو بكر الصديق حتى جمع شملهم بالاسلام فلما امن من ناحيتهم كتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بخجد والحجاز يستنفرهم للجهاد في الشام ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس اليه بين محن وبطامع فعدد ثلاثة الوية لثلاثة رجال وهم يزيد بن ابي سفيان وشرحبيل ابن حسنة وعمرو بن العاص . وكان ابو بكر امر عمرو بن العاص ان يسلك طريق

أيلة عامداً لفلسطين . وامن يزيد وشرحيل ان يسلكا طريق تبوك فقصدا للجيش فلسطين في الجنوب وقدم منه قلب الشام .

وكان القعد لكل امير في بدء الامر على ثلاثة آلاف رجل فلم يزل ابو بكر يتبعهم بالامداد حتى صار مع كل امير سبعة آلاف وخمسمائة ثم ننام جمعهم بعد ذلك اربعة وعشرين الفا وكان جيش الروم اربعين ومائتي الف منهم المسلسل للموت والمربوط بالعمائم والفرسان والرجالة جمعهم هرقل من اهل الشام والجزيرة وارمينية وولى عليهم رجلاً من خاصته وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الفسافي في مستعربة الشام وانجد ابو بكر جيوش الشام بمخالد بن الوليد من العراق في تسعة وقيل في عشرة آلاف فصار المسلمون ستة وثلاثين الفا وفي رواية ستة واربعين الفا . . . ويقول سيدليو ان جيش العرب كان على اكثر تعديل مؤلفاً من عشرين الفا وجيش الروم ستين الفا . قال سعيد بن عبد العزيز : ان المسلمين يوم اليرموك كانوا اربعة وعشرين الفا والروم عشرين الفا ومائتي الف عليهم ماهان وصقلان (سقلار) .

ومها كان من تقدير الجيشين فالعرب كانوا اقل من الروم وتقدير مؤرخي العرب للجيش الاسلامي بستة وثلاثين الفا وجيش الروم بزهاء مائتي الف اقرب الي الصحة وهو تقدير معقول لاسيما اذا عرف انه كان سكان الشام اذ ذاك نحو سبعة ملايين وان العرب على بعد الحجاز عن الشام لا يستطيعون ان يجوزوا اكثر من ذلك لانهم كانوا يحاربون في جهات أخرى .

ولما انفد ابو بكر الامراء الى الشام كان فيما اوصى به يزيد بن ابي سفيان وهو مشيع له : اذا قدمت على اهل عملك فقدم الخير وما بعده ، واذا وعدت فانجز ، ولا تكثر عليهم الكلام ، فان بعضه ينسي بعضاً ، واصلح نفسك يصلح الناس لك ، واذا قدم عليك رسل عدوك ، فاكرم مثوهم ، فانه اول خيرك اليهم ، واقلل حبسهم حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن انت الذي نلي كلامهم ، ولا تجعل سرّك مع علانيتك فيخرج امرك ، واذا استشرت فاصدق الخبر تصدق لك المشورة ، ولا تكتم المستشار فتؤتى من قبلك نفسك ، واذا بلغتك عين العدو عورة فابكتمها حتى توافيها ، واستر في عسكريك الاخبار ، واذك حراسك ،

واكثر مفاجأتهم في ليلك ونهارك ، واصدق اللقاء اذا لقيت ، ولا تجبن
فجبن من سواك .

وقد شيع ابو بكر يزيد بن ابي سفيان راجلاً الى ما بعد ربض المدينة فقال له
يزيد : اما ان تركب واما ان انزل . فقال : ما انت بنازل وما انا براكب . اني احتسب
خطاي هذه في سبيل الله ثم قال : انك ستجد قوماً حبسوا انفسهم لله فذرهم وما حبسوا
انفسهم له يعني الرهبان . وستجد قوماً فخصوا (حلقوا وسطها) عن اوساط رؤوسهم
فاضرب ما فخصوا عنه بالسيف . ثم قال اني موصيك بعشر : لا تغدر ، ولا تمثل ، ولا تغفل
هرماً ولا امرأة ولا وليداً ، ولا تعقرن شاة ، ولا بعيراً الا ما اكتم ، ولا تحرقن
نخلآ ، ولا تحرقن عامراً ، ولا تغفل ولا تجبن ، والغلول الخيانة في المعجم .

وصل الجيش العربي الى مشارف الشام فنزل في آبل وزيزاء والقسطل وكان
جيش الروم من دون زيزاء بثلاث . وطلع ماهان قائد الروم وقدم قدماه الشامسة والرهبان
والقسيسين يحضون جيش الروم على القتال . وكان هرقل وهو من عظام القواد ادرك
الخطر ورأى لما اتاه الخبر بقرب جيش العرب ان لا يقاتلهم وان يصالحهم . وقال لقومه :
فوالله لان تعطوهم نصف ما اخرجت الشام وتأخذوا نصفاً وتقربكم جبال الروم خير
لكم من ان يغلبوكم على الشام و يشاركوكم في جبال الروم فلما راهم بعصونه و يردون
عليه بعث اخاه تيودورا و امر الامراء .

* * *

مبدأ الحرب بين / واول وقعة كانت بين العرب والروم بقرية من قرى غزوة
العرب والروم (يقال لها داثن (٥١٢) كانت بينهم وبين بطريق غزوة
فاقتلوا فيها قتالاً شديداً فبزم الروم وتوجه يزيد بن ابي سفيان في طلب ذلك البطريق
فبلغه ان بالعربة من ارض فلسطين جمعاً للروم فاقوع بهم وقتل عظيمهم وانهم اليه ان
سته من قواد الروم نزلوا العربية في ثلاثة آلاف فسار اليهم المسلمون في كثف منهم
فبزمهم وقتل احد القواد فصار الروم الى الدبة فبزمهم المسلمون وغنموا غنائماً حسناً . واول
صلح كان بالشام صلح مآب . مر ابو عبيدة بهم في طريقه فقاتلوه ثم سألوه الصلح فصالحهم
وقالوا ان اول حرب كانت بالشام بعد سرية أسامة بالعربة ثم اتوا الداثن ثم كانت

مرج الصُّفَرِ واول مدينة فُتحت بصرى عاصمة حوران .

لما سار خالد بن الوليد من العراق مدداً للمسلمين في الشام وقد ضاق المسلمون فيه
أكثره جيوش الروم فتح في طريقه ما اجتاز به من شرق الشام مثل أرك ودومة
الجنديل وقصم وتدمر والقريتين وحوران من جبل سنير ومرج راهط شرقي غوطة
دمشق ووجه احد رجاله الى غوطة دمشق فاغار على قرى من قراها وصار خالد الى
الثنية التي تعرف بثنية العقاب المشرفة على غوطة دمشق فوقف عليها ساعة ناشرأ رايته
وهي راية كانت لرسول الله تسمى العقاب علأها . والعرب تسمى الراية عقاباً . وانار
على بني غسان في يوم فصحم .

ثم سار خالد حتى انتهى الى المسلمين بقناة بصرى ويقال انه اتى الجابية من حوران
وبها ابو عبيدة في جماعة من المسلمين فاللقيا ومضيا جميعاً الى بصرى . ولما فُتحت بصرى توجه
ابو عبيدة بن الجراح في جماعة كذيفة فاتي مآب من ارض البلقاء وبها جمع العدو فافتتحها
صلحاً على مثل صلح بصرى ثم كانت وقعة اجنادين قرب القدس شهدها من الروم زهاء مئة
الف سرب هرقل اكثرهم وتجمع باقوهم من النواحي فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة .
وقالوا : ان خالد بن الوليد لما جاء بصرى والمسلمون نزول عليها ضايق اهلها حتى
صالحهم على ان يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة . وافتتح المسلمون جميع ارض
حوران وغلبوا عليها وقتلوا ذلك في سنة ١٣ .

* * *

اهم الوقائع وقعة / واهم وقائع العرب في الشام التي انهزم فيها الروم شر هزيمة
اليرموك () ولحق فأهزم بالشمال وقعة اليرموك -- واليرموك نهر -- فهي
لوقعة الفاصلة التي هان بها الاستيلاء بعد ذلك على القدس ودمشق وما اليها ثم على
حمص وحماة وحلب وما في اكنافها من البلدان وظهر فيها النبوغ العربي في الحرب
باجلى مظاهره . وتبين ان تلك الأمة النقيرة بما لها ، ليست فقيرة بعقل رجالها . وقرأ العرب
على الروم يومئذ درساً من مضائهم وحسن بلائهم ، واروهم راموزاً من تضامنهم
واستانتهم ، واتوهم بمثال من طيب اخلاقهم وجودة فطرم ، خلافاً لما كان عليه اعداؤهم من
الانقسام وتشتت الاهواء والخصام .

« لما قدم خالد بن الوليد مدداً للمسلمين في اليرموك وجد العرب يقاتلون الروم متساندين كل امير على جيش : ابو عبيدة على جيش و يزيد بن ابي سفيان على جيش وشرحبيل بن حسنة على جيش وعمرو بن العاص على جيش . فقال خالد : ان هذا اليوم من ايام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فاخلصوا لله جهادكم وتوجهوا الى الله بعمائمكم . فان هذا يوم له ما بعده فلا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبته وانتم على تساند وانتشار ، فان ذلك لا يحل ولا ينبغي ، وان اكثر وراءكم لو يعلم عمائمكم حال بينكم وبين هذا . فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه هو الرأي من واليكم . قالوا فما الرأي قال : ان الذي انتم عليه اشد على المسلمين مما غشيتهم وانفع للمشركين من امدادهم . ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم والله ، فعملوا فلننعوا والامارة فليكن علينا بعضنا اليوم وبعضنا غداً والآخر بعد غد حتى يتأسر كلكم ودعوني اليوم عليكم . قالوا : نعم . فأمره وهم يرون انها كرجاتهم فكان التبحر على يد خالد . وجاءه البريد يومئذ بموت ابي بكر وخلافة عمر وتأمر ابي عبيدة على الشام كله وعزل خالد فأخذ الكتاب منه وتركه في كنيسته ووكل به من يمه ان يخبر الناس من الامر لثلاثا يضعفوا . وهزم الروم وقتل منهم على الواقعة ما يزيد على مئة الف ثم دخل على ابي عبيدة وسلم عليه بالامارة وكانت من اعظم فتوح المسلمين وباب ما جاءها من الفتح لان الروم كانوا قد بلغوا في الاحتشاد فلما كسروا ضعفوا ودخلتهم هبة » .

وفي كتاب ابي حذيفة ان المسلمين اوقعوا بالروم يوماً باليرموك فشد خالد في سرعان الناس (اولاهم) وتد المسلمون معه يقتلون كل قنلة فركب بعضهم بعضاً حتى انتهوا الى اعلى مكان مشرف على اهوية فاخذوا يتساقطون فيها وهم لا يبصرون . وهو يوم ذو ضباب — وفي رواية ثارت فيه الرياح الهوج — وقيل كان ذلك بالليل وكان آخره لا يعلم بما صار اليه الذي قبله حتى سقط فيها ثمانون الفا فما احصوا الا بالفضيب وسميت هذه الاهوية بالواقصة . من يومئذ لانهم واقصوا فيها اي اقتربوا فلما اصبح المسلمون ولم يروا اعداءهم ظنوا انهم قد كمنوا لهم حتى اخبروا بأمرهم .

وقال سعيد بن بطريق : بلغ ماهان قائد الروم ان العرب قد خرجوا من طبرية يريدون دمشق فجمع عسكره وخرج من دمشق وسار يومين حتى نزل على واد كبير يقال له

وادي الرمد ويقال للموضع الجولان ويعرف بالياقوصة وصير الوادي بينه وبين العرب شبيه الخندق واقاموا اياماً والعرب بمخزائهم . وبعد ايام خرج منصور العامل من دمشق يريد عسكر ماهان ومعه مال قدجياه من دمشق بالمشاعل ، فلما قربوا من العسكر ضربوا الطبول وبتقوا وصاحوا ، وكان ذلك من منصور مكيدة فلما نظر الروم الى المشاعل خلفهم وسمعوا صوت الطبول والبوقات ، توهموا ان العرب قد جاؤهم من خلفهم وكبسوهم ، ف وقعت فيهم الهزيمة فسقطوا كلهم في ذلك الوادي اعني وادي الرمد وهو وادي عظيم كبير فماتوا ولم يتخلص منهم الا نفر قليل ومنهم من هرب الى مواضع شتى ومنهم من تراجع الى دمشق ومنهم من هرب الى بيت المقدس ومنهم من هرب الى قيسارية وفلسطين اه .

وشهد اليرموك الف صحابي منهم نحو من مائة من اهل بدر وتهاقت في الواقوصة من الروم عشرون ومائة الف ، ثمانون الف مقرن واربعون الف مطلق سوى من قتل في المعركة من الخيل والرجل . ويقول الطبري : ان قتلى اليرموك من الروم سبعون الفاً وزعم بعض المؤرخين : ان جيش الروم تكامل يوم اليرموك اربعمائة الف .

* * *

الفتح في خلافة عمر بن الخطاب | ذكروا ان اول كتاب كتبه عمر حين ولي
فحل واجنادين ويأسان | ابا عبيدة الشام : اوصيك بنقوى الله الذي
يبقى ويفنى ما سواه ، الذي هدانا من الضلالة ، واخرجنا من الظلمات الى النور ، وقد
استماتك على جند خالد بن الوليد ، فقم بامرهم الذي يحق عليك . لا تقدم المسلمين
الى هلكة ، رجاء غنيمة ، ولا نزلهم منزلاً قبل ان تستريده لهم وتعلم كيف ماتاه ،
ولا تبعث سرية الا في كثف من الناس ، واياك والقاء المسلمين في الهلكة ، وقد
ابتلاك الله بي وابلا في بك ، فغمض بصرك عن الدنيا ، وآله قلبك عنها ، اياك ان
تهلكك كما اهلكك من كان قلبك ، فقد رأيت مصارعهم اه .

توفي ابو بكر الصديق قبل فتح اليرموك بعشر ليالٍ و بعد ان أصيبت الروم
بالمزيمة القاطعة على اليرموك كانت وقعة فخل من الأردن بعد خلافة عمر بن الخطاب
بخمسة اشهر . وذلك ان هرقل لما سمع بانتصارات العرب المسلمين صار الى انطاكية

واستنفر الروم واهل الجزيرة وبعث عليهم رجالاً من خاصته وثقاته فلقوا المسلمين بفعل فقاتلوه اشد قتال وابرحه حتى ظهروا عليهم وقُتل بطريقهم وزهاء عشرة آلاف معه ونفرق الباقيون في مدن الشام ولحق بعضهم بهرقل .

ولما سار المسلمون بعد ان فرغوا من اجنادين الى غل من ارض الأردن نزلت الروم يديسان فبشقوا انهارها وهي ارض سبجة (ارض ذات نز وملح) فكانت وحلاً ونزلوا فحل ويديسان بين فلسطين و بين الاردن ، فلما غشيها المسلمون ولم يعلموا بما صنعت الروم وحلت خيولهم ، ولقوا فيها عتاء ثم سلموا . وسميت ييسان ذات الردغة لما لقي المسلمون فيها -- والردغة الوحل -- ثم نهضوا الى الروم وهم بفعل فاقنلوا فبرزت الروم ودخل المسلمون غل ولحقت رافضة الروم بدمشق فكانت غل في ذي العقدة سنة ١٣ على ستة اشهر من خلافة عمر . قال الطبري : « كان الروم في غل بعد ان رحلت حيارى لا يعرفون مأخذهم فاستلمهم هزيمتهم وصيرتهم الى الوحل فركبوه ولحقوا اوائل المسلمين بهم وقد حلوا فركبوه وما ينعون يد لاس فوخزوم بالرمح فكانت الهزيمة في غل وكان مقتلهم في الرداغ فأصيب الثانون النأ لم يفلت منهم الا الشريد . وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون : كرهوا البشوق فكانت عوناً لهم على عدوهم وأناة من الله ليزدادوا بصيرة وهدى » .

* * *

الأردن وفلسطين } افتتح زمرحبيب بن حسنة الأردن عنوة ما خلا طبرية
وجبل الأشكام } فان اهلها صالحوه على انصاف منازلهم وكنائسهم وفتحت
جميع مدن الأردن وحصونها على مثل صلح طبرية فتحاً يسيراً بغير قتال ففتح ييسان
وسوسية وأفيق وجرش وبيت رأس وقدس والجولان وغلب على سواد الأردن
وجميع ارضها وعلى صفورية وعكا وصور وفتح هذين الثغرين من الساحل اقطع
ما بين الروم في ايلياء وبين خط رجعتهم من البر مع انطاكية وما وراءها من الدروب .
وصالح ابو عبيدة السامرة بالأردن وكانوا عيوناً وادلاء للمسلمين كما صالح الجراجمة
في جبل الأشكام بين يباس وبقوا على ان يكونوا اعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالخ في
جبل الأشكام -- والمسالخ جمع مسلحة وهي الحامية المسلحة -- وفتح عمرو بن العاص

غزة ثم سبسطية ونابلس ولدت ويؤبني وعمواس وبيت جبرين ويافا ورفح وظلت القدس وقيسارية محاصرتين ولم تفتح القدس الا سنة خمس عشرة ابي بعد فتح دمشق بسنة ونيف وطلب اهله من ابي عبيدة ان يصالحهم على صلح اهل مدن الشام وان يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب فكتب اليه بذلك فدار عن المدينة وخرج صفرونيوس بطريق بيت المقدس الى عمر بن الخطاب فاعطاه عمر اماناً وكتب لكل كورة كتاباً واحداً ما خلا اهل ايلياء . وهذا نص عهد اهل ايلياء :

« بسم الله الرحمن الرحيم » : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وستيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقض منها ولا من حيزها ولا من صلبيه ولا من شيء من اموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود . وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطي اهل المدائن واليهيم ان يخرجوا منها الروم واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا . منهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعوية بن ابي سفيان وكتب وحضر سنة ١٥ .

وكتب عمر الى اهل لدة ومن دخل معهم من اهل فلسطين اجمعين مثل شروط اهل ايلياء . واختلف القوم في صلح بيت المقدس فقالوا صالح اليهود وقالوا النصراني والجمع عليه انه صالح النصراني . وفي كتاب عمر صراحة في ذلك . واشترط فيه اخراج الروم ابي الذين ليسوا من ابناء البلاد الاصلين . واتاه جبلة بن الايهم رأس بني غسان وكان هذا أسلم ثم ارتد وقاتل المسلمين مع الروم فقال له : تأخذ مني الصدقة كما تصنع العرب قال : بل الجزية والا فالحق بن هو على دينك . فخرج في ثلاثين الفاً من قومه حتى لحق بارض الروم وندم عمر على ما كان منه في امره .

فتح دمشق / بعد ان تم للمسلمين ما ارادوا من هزيمة الروم على اليرموك
والاحكام العسكرية / اجتمعت الروم جمعاً عظيماً وأمدهم هرقل بمدد فلقبهم المسلمون
بمجر الصُّعُر بين دمشق والجزولان وهم متوجهون الى دمشق وذلك لهلال المحرم
سنة ١٤ فاقننلوا قتالاً شديداً وجرح من المسلمين زهاء اربعة آلاف وولى الروم
مفلولين لا يلوون على شيء حتى أتوا دمشق وبيت المقدس . ولما فرغ المسلمون من قتال
من اجتمع لهم بالمرج رجعو الى مدينة دمشق فأخذوا الغوطة وكنائسها عنوةً ونازلوا دمشق
وحاصروها من الباب الشرقي وباب توما وباب الفراديس وباب الجابية والباب الصغير
وفتح نصفها عنوةً والنصف الآخر صلحاً فاجراها عمر كلها صلحاً . وكتب اهل
دمشق كتاباً لابي عبيدة هو هذا :

« بسم الله الرحمن الرحيم » : هذا كتاب لابي عبيدة بن الجراح ممن اقام
بدمشق واراضها واراض الشام من الاعاجم، انك حين قدمت بلادنا سألناك الامان على
انفسنا واهل ملتنا، وانا اشترطنا لك ان لا نحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة
ولا ديراً ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا نجد ما خرب من كنائسنا ولا شيئاً منها
مما كان في خطط المسلمين، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين ان يزلوها في الليل والنهار،
وان نوسع ابوابها للارة وابتاء السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم
على من غش المسلمين، وعلى ان لا تضرب بنا قبسنا الا ضرباً خفيفاً في جوف كنائسنا،
ولا نظهر الصليب عليها، ولا نرفع اصواننا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا، ولا نخرج
صليبنا ولا كتابنا ولا نخرج باعوثنا ولا شعانين، ولا نرفع اصواننا بموتانا، ولا نظهر
النيران . . . هم في اسواق المسلمين، ولا نجاورهم بالخنازير ولا نبيع الخمر، ولا نظهر شركاً
في نادي المسلمين، ولا نرغب مسلماً في ديننا، ولا ندعو اليه احداً وعلى ان لا نتخذ شيئاً
من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين، ولا نمنع احداً من قرابتنا ان ارادوا الدخول
في الاسلام، وان نلزم ديننا حيثما كنا، ولا نتشبه بالمسلمين في لبس قانسوة ولا عمامة ولا نظلين
ولا فرق شعر ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم ولا نسمي باسمائهم وان نجزم مقدم رؤوسنا
ونفرق نواصينا ونشد الزناير على اوساطنا وان لا نقش في حواطينا بالعربة ولا نركب
السروج، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نجعله في بيوتنا ولا نقتل السيوف، وان نوفر

المسلمين في مجالسهم وترشدهم الطريق، وتقوم لهم من المجالس اذا ارادوها، ولانطلع عليهم في منازلهم، ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نشارك احداً من المسلمين الا ان يكون للمسلم امر التجارة، وان نضيف كل مسلم عابرسبيل من اوسط مانجد، ونطمعه فيها ثلاثة ايام، وعلينا ان لانتم مسلماً، ومن ضرب مسلماً فقد خلع عهده. ضمنا ذلك على انفسنا وذرار بنا وارواحنا ومساكنتنا وان نحن غيرنا او خالفنا عما اشترطنا لك وقبلنا الايمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حل لك منا ما حل من اهل المعاندة والشقاق. على ذلك اعطينا الايمان لانفسنا واهل ملتنا فاقرونا في بلادكم التي ورثكم الله اباها. شهد الله على ماشرطنا لكم على انفسنا وكفى به شهيداً.

وكتب عمر بن الخطاب على النصارى كتاباً في هذا المعنى ايضاً وهذان الكتابان هما من قبل ما يقرره الفاتحون من الاحكام العسكرية و الادارية العرفية كما يسمونها اليوم وهي لا يخفى تختلف باختلاف الامم والحالات وليست اصلاً من اصول الدين لا يجوز تبديله.

وهذا نص العهد الذي اعطاه خالد بن الوليد قبل ان يعلم بما صار اليه حال المسلمين في الشق الآخر من المدينة مدينة دمشق:

« بسم الله الرحمن الرحيم » : هذا ما اعطى خالد بن الوليد اهل دمشق اذ دخلها، اعطاهم اماناً على انفسهم واموالهم وكنائسهم وسور مدينتهم لا يهدم ولا يسكن شيء من دورهم، لم بذلك عهد الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم والخلفاء والمؤمنين لا يفرض لهم الا بخير اذا اعطوا الجزية.

وذكر الطبري: في حوادث سنة ١٤ ان ابا عبيدة بن الجراح دخل دمشق تلك السنة فشتى بها فلما ضاقت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل انطاكية ومعه من المستعربة نلم وجذام و بقة بن و بلي وعاملة ومن تلك القبائل من قضاة وغسان بشر كثير ومعه من اهل ارمينية مثل ذلك وبعث الصقلار خصياله فصار بمائة الف مقاتل معه من اهل ارمينية اثنا عشر الفا ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاة اثنا عشر الفا عليهم جبلة بن الايهم الغساني وسائرهم من الروم. وسار اليهم المسلمون وهم اربعة وعشرون الفا عليهم ابو عبيدة بن الجراح فالتقوا باليرموك في رجب سنة ١٥ فاقنتل الناس

قتالاً شديداً . وعبارة الطبري نداء على ان فتح دمشق كان قبل فتح اليرموك والمعقول المعول عليه ان فتح اليرموك كان قبل فتح دمشق .

* * *

فتح حمص وشيزر والمرة وبعلبك (وبيننا المسلمون على حصار دمشق وقد وصيدا وبيروت وجبيل وعرقه) حوصرت ستة اشهر اقبلت خيل من عقبة السليمة مخمرة بالحرير فثار اليهم المسلمون فالتقوا فيما بين بيت لها قرب دومة والعقبة التي اقبلوا منها فهزموهم وطردوهم الى ابواب حمص فلما رأى اهل حمص ذلك ظنوا انهم فتحوا دمشق فقال لهم اهل حمص : انا نصلحكم على ما صلحتم عليه اهل دمشق ففعلوا ، ولما فرغ ابو عبيدة من دمشق سار الى حمص فاستقرأها واجرى صلحها على مثل صلح بعلبك ثم مضى نحو حماة فتلقاه اهلها مدعين فضى نحو شيزر وبلغت خيله الزراعة والقسطل .

ومر ابو عبيدة بعرة النعمان فخرج اهلها يقلسون (يلعبون) بين يديه ثم اتى فامية (قلعة المضيق) ففعل اهلها مثل ذلك وبعث خالد بن الوليد الى البقاع ففتحهم بالسيف وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون وعلى الروم رجل يقال له سنان تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل منهم يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا يسمون عين ميسنون عين الشهداء . واستخلف ابو عبيدة على دمشق يزيد بن ابي سفيان شقيق معاوية كما وعده بها الصديق فسار يزيد الى صيدا وبيروت وجبيل وعرقه ففتحها فتحاً يسيراً وبعث يزيد دحية بن خليفة الى تدمر في سرية ليهدوا امرها وبعث ابا الزهر القشيري الى البثنية وحواران فصالح اهلها .

* * *

قنسرين وحلب وانطاكية (وسار ابو عبيدة الى قنسرين فصالحه اهلها وجميع بلاد الشمال) على مثل صلح حمص وغلب المسلمون على ارضها وقرائها ثم سار الى حلب وحاصرها ففتحها وبعث ابو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد الى قنسرين فلما نزل بالحاضر زحف اليهم الروم وعليهم ميناس وهو رأس الروم واعظمهم فمهم بعد هزقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومعه عقلة عظيمة لم يقتلوا مثلها . فاما

الروم فقاتوا على دمه حتى لم يبق منهم احد واما اهل الحاضر فارسلوا الى خالد انهم عرب وانهم انما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه فقبل منهم وتركهم .
وسار ابو عبيدة الى انطاكية وقد لحق بها خلق من اهل جند قنسرين فلما صار بمهروبة قريب فرسخين من مدينة انطاكية لقيه جمع للعدو ففرضهم والجأهم الى المدينة فحاصرها ثم صالحه اهلها على الجزية والجللاء فجلا بعضهم واقام بعضهم . ووجه ابو عبيدة ميسرة بن مسروق العبسي الى درب بفراس (بيلان) فلقي جمعا للروم ومعهم مستعربة من غسان وننوخ ير يدون اللحاق بهرقل فوقع بهم وقتل منهم مقنلة عظيمة . وبلغ ابا عبيدة ان جمعا للروم بين معرة مصرين وحلب فلقبهم وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش ، وفتح معرة مصرين على مثل صلح حلب ، وجالت خيوله فبلغت بوقا وفتحت قرى الجمومة وسمرين ومرتحوان وتيزين وعزاز وصالحوا اهل دير طبايا ودير الفسيلة (؟) على ان يضيفوا من مرتبهم من المسلمين . وانه نصارى خناصرة في سيف البادية فصالحهم وفتح ابو عبيدة جميع ارض قنسرين وانطاكية واللاذقية . وورد عبادة بن الصامت السواحل ففتح مدينة تعرف ببلدة على فرسخين من جبلة وانظرطوس ومرقبة وبنياس ثم صالح ابو عبيدة اهل قورس وبت خيله فغلب على جميع ارض قورس الى آخر حدنقابس وفتح منبج وود لوك وورعبان وعراجين وبالس وقاصرين وبلغ ابو عبيدة الفرات واشترط على اهل رعبان ودلوك ان يبحثوا عن اخبار الروم ويكتبوا بها المسلمين .

* * *

وقعة مرج الروم } وفي سنة خمس عشرة كانت الوقعة بمرج الروم وكان من
وقيسارية } ذلك ان ابا عبيدة خرج بجالد بن الوليد من فحل الى
حمص ، وانصرف بن أضيف اليهم من اليرموك فنزلوا جميعا على ذي الكلاع وقد بلغ
الخبير هرقل فبعث تيودرا البطريق حتى نزل بمرج دمشق وغيرها فنزل ابو عبيدة بمرج
الروم فنزله يوم نزل عليه شنس الرومي في مثل خيل تيودرا امداداً لتيودرا وردة لاهل
حمص فنزل في عسكر على حدة فلما كان من الليل اصحبت الارض من تيودرا بلاقم
وكان خالد بازائه وابو عبيدة بازاء شنس واتى خالد الخبير ان تيودرا قدر حل الى
دمشق فاجمع رأيه ورأي ابي عبيدة ان يتبعه خالد وهم يقتلون فاخذهم من خلفهم

فقتلوا من بين ايديهم ومن خلفهم ، فاناموم ولم يفلت منهم الا الشريد فاصاب المسلمون
ماشاؤوا من ظهر واداة وثياب . وناهد ابو عبيدة بعد خروج خالد في اثر تيودرا وشنس
وامتلاء المرج من قتلاهم فاننت منهم الارض وهرب من هرب منهم فلم يفلتهم وركب
اكساءهم (اقيتهم) الى حمص .

وهكذا تم فتح الشام على هذا الوجه المحكم في ثلاث سنين ولم تعص الا قيسارية
في فلسطين فان معاوية فتحها سنة ١٩ بعد ان حوصرت نحو سبع سنين ، وكان اهلها
يزاحفون معاوية وجعلوا لا يزاحفونه مرة الا هزمهم ورددهم الى حصنهم ، ثم زاحفوه
آخر ذلك وخرجوا من صياصيم فاقتلوا في حفيظة واستاتة فبلت قتلاهم في المعركة
ثمانين الفا وكلها في هزيمتهم مائة الف (الطبري) . وكانت قيسارية من اعيان امهات
المدن قيل كان مقاتلة الروم الذين يرزقون فيها مائة الف وسامرتها ثمانون الفا
ويهودها مائة الف (ياقوت) . وكان كتاب عمر الى معاوية : اما بعد فاني قد وليتك
قيسارية فسر اليها واستنصر الله عليهم واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ،
الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير .

سرنجاح المسلمين وقتال / بمثل تلك الجيوش القليلة التي ظهرت على جيوش
نسائهم يوم اليرموك ا الروم ومن والاهم فتح العرب هذا القطر العزيز
وكانت قوتهم في معظم الوقائع على نسبة واحد الى ثلاثة او اربعة من قوة اعدائهم
بعد ان قطعوا بوادي الحجاز والعراق والشام على جمالم وخبولم ، قليل عتادهم ،
جليل جهادهم . وساروا في فلات لا ماء فيها يستقون منه ، ولا مراعي يرعون فيها
انعامهم ، ولا ميرة يمتارونها ، وكل المديهم من الماديات قليل ضئيل ، ولكن معنوياتهم
كانت فوق معنويات من جاؤهم من سكان البلاد ، فكان كل فرد من افراد جيوشهم يمتقد
بانه ان مات مات شهيداً ، وان عاش عاش سعيداً .

اما الروم فكانوا على كثرة جيوشهم ووفرة سبابهم من المؤن والدخائر في ارض
عارة هي وما وراءها الى ارض الروم ، والنجيدات تأتيهم ارسالاً على ايسر سبيل ، ومع
هذا فقد كثرت هزائمهم وعد قتلاهم بالالوف وقتلى العرب بالئات ، وتركوا بلاداً

عرفوا معالمها ومجاهلها فلم نغن عنهم كثرتهم ولا وفرة اسبابهم فقُذروا وغلبوا على امرهم وهاموا في البلاد على رؤوسهم لا يلبو بهم شيء وذلك لانهم كانوا منسحقين شنة اهاؤهم، والناس هنا قد يشوا من عدل الرومان في اواخر ايامهم حتى انهم لما طلبوا مالا من منصور عامل هرقل بدمشق لاستئجار رجال يحاربون المسلمين نادى بان ليس لديه مال ، لسمع الناس وبأسوا وافتتح السبيل للمسلمين . وكان هرقل كتب الى منصور هذا يسك عليه الرجال بالمال فابى منصور وقال : ان المملك غير محتاج الى هذا العسكر العظيم وان العرب قوم غزاة . ولو كان يخرج اليهم رجال ليقصدهم الحرب لقتلوا عساكرهم وهذا العسكر يحتاج الى مال كثير وليس بدمشق مال عظيم . قال ابن بطريق : اراد بذلك ان يسمع الرجال ان ليس بدمشق مال يعطيهم فينشقون ويذهبوا الى دمشق الى المسلمين . ولعل لتأليف جيش الروم وكان مؤلفاً من اجناس واخلاق دخلاً في المزية ، وربما كان رجال الدين من الروم في دمشق يوم الفتح العربي مستائين من القواعد التي سنها هرقل لوضع حداً للنازعات الدينية ، ولعلم علونوا على تسليم دمشق للعرب او تركوا المسائل تجري في اعنتها . ولكن من المحقق ان العرب المنصرة في الشام عادوا بعد ان صاروا مع الروم فانضموا الى العرب المسلمين واخذتهم النعرة الجنسية فغلبوها على النعرة الدينية واصبحوا المسلمين عيوناً على الروم وان اليهود والسامرة كانوا مع المسلمين الفاتحين . قال هوار : ومع هذا توصل الامبراطور ان يجمع في حصن ثمانين الف مقاتل نصفهم من جنده والنصف الآخر من معاونين ارمن وكانت النجيدات تؤول الى عليه الا ان الشقائي الداخلي كان يمزق احشاء الجيش الروماني وقد سَغَب الجنود من الارمن وطلبوا ان يكون ما هان امبراطوراً قبيل وقعة اليرموك .

لاجرم ان سلاح الروم كان امضى من سلاح العرب ، ونظامهم الظاهري كان اجلى . قال سيدبليو : كان جيش الروم يفوق جيش العرب بلباسه ، وخبرة ضباطه ، ونوع سلاحه ، وغنى دور صناعاته ومناعة حصونه ، وسهولة المواصلات والتموين عليه . والروم يعرفون البلاد ويسكنون البحر ولم يورثهم ولايات مأهولة مخصصة . اما العرب فكانوا جاهلين معدمين ليس لهم شيء من الاسباب المادية ولا يحسنون من ضروب الحرب غير حروب العصابات على اصول البادية وقد بعمدون الى الفرار احياناً ويرى

جيشهم لاول وهلة كأنه عصابات مجموعة كئيفها انفق : الفرسان وسط المشاة ، ومن الجنود من يسترون بعض اجسامهم ومنهم العراة . وسلاح كل واحد كما يجب من قوس الى حربة او دبوس وسيف ورمح . قال : ووجه الغرابة ان يضيف العرب الى المفاداة احترام النظام بضاف اليها عظمة العواطف وهم طالما وصموا بانهم متوحشون ظلماً وتمعتاً .

قلنا : وهكذا كان شأن العرب في سائر فتوحاتهم في آسيا وافريقية واوربا فكانت معنوياتهم في كل مكان ارقى من معنويات من غلبوهم على امرهم ، ودون ماديات أمم كانت راسخة القدم في ارضها ، عزيزة السلطان في ربوعها ، وحاجياتها منها على طرف النمام تأتيها بدون تعمل كثير . ولكن كان العرب اعتادوا النقشف والشطف في الحياة يتبلغونهم ودوابهم بميسور العيش . حتى ان خالد بن الوليد لما سار في جيشه من العراق الى الشام من طريق البرية ليخرج من وراء جموع الروم لانه كان يرى انه اذا استقبلها حبسته عن غياث المسلمين ، سقى الجمال مرتين لقلعة الماء في الطريق ، فكلما نزل منزلاً نجر وجعل اكراشها على النار وشرب القوم .

ومن أعظم العوامل في غلبة المسلمين خوف الهزيمة من الزحف وكانت الهزيمة او التخلف عن الجهاد من اعظم العار ، بل من الكبائر التي لا يرحم فاعلها . فقد ذكروا ان فل جيش مؤتة لما رجع الى المدينة جعل الناس يَحْتُون عليهم التراب و يقولون يا فرار فررت في سبيل الله . فقال النبي (عليه الصلاة والسلام) : ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار ان شاء الله . هذا وكان في جملة اولئك الفرار خالد بن الوليد سيف الله وعن رأيه رجع الجيش .

وكان للنساء يد طول ، في نصرة العرب ، فقد تطوع ابو سفيان بن حرب في حرب الشام وكانت له فيه تجارات واملاك في الجاهلية وله قرية في البلقاء اسمها نَقْدَس . وكان شيخ مكة بل شيخ تجار قریش ورئيسهم ومن اعظم اهل الرأي والمكنة فيهم وهو كاتبة معاوية من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامها ، وقد حارب الرسول كثيراً وقال له الرسول يوم أسلم في فتح مكة سنة ثمان للهجرة : « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن » . وجاء الشام في الاسلام

في مشيخة من قریش يحارب تحت راية ابنه يزيد وكان له ولابنيه يزيد ومعاوية بل
ولجماعة من أسرته بل للنساء منهن اليد الطولى والكمب المعلى في فتح الشام .
وما قاله ابو سفيان للنساء اللاتي مع المسلمين ، وكان كثير من المهاجرات
حضرن يومئذ مع ازواجهن وبنائهن ، وقد اجلسهن خلف صفوف المسلمين فأمر
بالحجارة فألقيت بين أيديهن : لا يرجع اليكن احد من المسلمين الا رميموه بهذه
الحجارة وقتلن له من يرجوكم بعد الفرار عن الاسلام واهله وعن النساء وهم أمام
العدو . ولما حمى الوطيس واستقبل النساء سرعان من انهزم من المسلمين معهن بمعد
البيوت او عمد الفساطيط واخذن يضربن وجوههم ويرمين بالحجارة ويقان : اين اين
عن الاسلام والامهات والازواج . وبعض النساء قاتلن بالفعل يوم اليرموك مثل
جويرية ابنة ابي سفيان وكانت مع زوجها . قال البلاذري : وقاتل يوم اليرموك
نساء المسلمين قتلاً شديداً وفيهن هند بنت عتبة أم معاوية بن ابي سفيان . وقال
الطبري : وقاتل نساء من نساء قریش يوم اليرموك بالسيوف حتى سابقن الرجال
منهن ام حكيم بنت الحرث بن هشام .

وصف رومي العرب وكان أسيراً في أيديهم فأقلت وسأله هرقل عنهم فقال :
اخبرني عن هؤلاء القوم فقال : احدثك كأنك لنظر اليهم « فرسان بالنهار ، رهبان
بالليل ، ما يأكلون في ذمتهم الا بئس ، ولا يدخلون الا بسلام ، يقفون على من
حاربهم حتى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقني ليرثن ما تحت قدمي هاتين .

ولما انتصر المسلمون بفحل وقدم المنهزمون من الروم على هرقل بانطاكية دعا
رجالاً منهم فأدخلهم عليه فقال : حدثوني ويحك عن هؤلاء القوم الذين يقااتلونكم
أليسوا بشراً مثلكم . قالوا : بلى . قال : فأنتم أكثر اومهم . قالوا : بل نحن . قال :
فما بالكم . فسكتوا ، فقام شيخ منهم وقال : ألا أخبرك انهم اذا حملوا صبروا ولم يكذبوا ،
واذا حملنا لم نصبر ونكذب ، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويرون ان
قتلهم في الجنة واحياءهم فائزون بالغبية والاجر . فقال : يا شيخ لقد صدقني
ولاخرجن من هذه القرية ومالي في صحبتكم من حاجة ، ولا في قتال القوم من ارب .
فقال ذلك الشيخ : انشدهك الله ان تدع سورية جنة الدنيا للعرب وتخرج منها ولم

تعذر . وما زال به حتى ثناه الى المقام وارسل الى رومية وقسطنطينية وارمينية وجمع الجيوش وقاتل العرب .

وبعث أخو ملك الروم لما تراءى العسكريان في اليرموك رجلاً عربياً من قضاة وقال له : أدخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ثم ائتني بخبرهم فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر فأقام فيهم ثم اتاه فقال : ما وراءك قال : هم رهبان بالليل فرسان بالنهار لوسرق ابن ملكهم قطعوا يده ولوزني رجوه إقامة للحد . فقال صاحب جيش الروم . لئن كنت صادقاً لبطن الارض خير من لقاء هؤلاء على ظهورها .

ومما أعانهم على تأييد سلطانهم في البلاد تسامحهم مع اهل الذمة وحمائيتهم لهم ، فكانوا كأنهم بين اهلهم وعشيرتهم لا يرهبون من وراءهم كما انهم لم يرهبوا من أمامهم . روى البلاذري : ان هرقل لما جمع للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم لوقعة اليرموك ردوا على اهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم . فقال اهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشيم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان تغلب ونجهد .

قال غستاف لوبون : لما دخلت العرب الشام كانت رومانية منذ نحو سبعمائة سنة ، فابانوا عن تسامح مع كل مدن الشام ولذلك رضي السكان بسلطتهم مختارين ، وانتهت بهم الحال ان اطرحوا النصرانية وقبلوا دين الناطحين وتعلموا السانم . وقال دي توري : ان الخطر الذي اندفع عن الشام من جهة الفرس على يد الامبراطور هرقل عاد فداهما من جهة جزيرة العرب ، ولكنه خطر كانت فيه سلامتها من الانحلال والاضمحلال . وذلك ان العرب هاجمتها وقد اصبح العرب أمة بروسولم فزعزعوا اركان المملكة الرومانية وفي سنة ٦٣٦ فتحت دمشق و بعد سنين فتحت القدس ولم تدخل سنة ٦٣٩ حتى فتح الشام كله ، وساد فيه السلام بدل الخصاص ، فمن آمن عصم دمه وماله ، ومن لم يؤمن دفع الجزية واعتصم في الجبال فتركة الفاتحون وشأنه اه .

وداع صاحب الروم وآخر } لما دخل اليأس على هرقل من الشام سار عنه الى
 سهر في كنانتهم } القسطنطينية من الرها في الجزيرة فالنت الى
 الشام عند مسيره وهو على نَشْر وقال : « السلام عليك يا سورية سلام لا اجماع
 بعده ولا يعود اليك رومي بعدها الا خائفاً حتى يولد الولد المشؤم وليته لم يولد فما
 اجل نفعه وامراً فننه الروم » . ولم يفسر المؤرخون الذين نقلوا عبارة هرقل هذه معنى
 « الولد المشؤوم » وقيل انه قال باليونانية « سوزه سورية » اي كوني بسلام . وقد
 اخذ هرقل اهل الحصون التي بين الاسكندرونة وطرسوس معه لثلاثين يسير المسلمون في
 عمارة ما بين انطاكية وبلاد الروم وشعث الحصون فكان المسلمون لا يجدون
 بها احداً .

وفي سنة ١٧ قصدت الروم ابا عبيدة بجمص فضم ابو عبيدة اليه ساحله وعسكروا
 بفناء مدينة حمص واقبل خالد من قنسرين حتى انضم اليهم فبين انضم من امراء المسالح
 وكتب ابو عبيدة الى عمر بن جروج الروم عليه وشغلهم اجناد الشام عنه ، وقد كان عمر اتخذ
 في كل مصر على قدره خيولاً من فضول اموال المسلمين عدة لكون ان كان . فكان
 بالكوفة اربعة آلاف فرس فلما وقع الخبر لعمر كتب بان يسرح الجند منها الى الشام
 مدداً لابي عبيدة . ولما أحيط بالمسلمين جمع ابو عبيدة الناس فحمد الله واثنى عليه
 وقال : ايها الناس ان هذا يوم له ما بعده اما من حيي منكم فانه يصفو له ملكه وقراره
 واما من مات منكم فانها الشهادة . فاحسنوا بالله الظن ولا يكرهن اليكم الموت امر
 اقترفه احدكم دون الشرك ، توبوا الى الله وتعرضوا للشهادة فاني اشهد ، وليس اوان
 الكذب ، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات لا يشرك بالله
 شيئاً دخل الجنة .

وكانما كان في الناس عَقْلٌ نَشَطت ، فخرج بهم وخالد على اليمينه وعباس
 على اليسرة وابو عبيدة في القلب وعلى باب المدينة مُعَاذ بن جبل فاجتلدوا بها ، فانهم
 كذلك اذ قدم القعقاع متجلاً في مائة وانهزم اهل قنسرين بالروم ، فاجتمع القلب
 واليمينه على قلبهم ، وقد انكسر احد جناحيه واوعبوا المدد ، فما اقلت منهم مخبر ،
 وذهبت اليسرة على وجهها ، وكان آخر من أصيب منهم بمرج الدباج انتهوا اليه

فكسروا سلاحهم والقوا بلامقهم (قفاطينهم) تخفيفاً فأصيبوا وثةً نحووا . ولما ظفر المسلمون جمعهم ابو عبيدة فخطبهم وقال : لا تلتكوا ولا تزهّدوا في الدرجات فلو علمت انه يبقئ منا احد لم أحدثكم بهذا الحديث . وتوفي ابو عبيدة في طاعون عمّ واسب سنة ١٨ وهو الطاعون الذي مات فيه خمسة وعشرون الفاً وطمع العدو في الشام بسببه .

وقد كان من اعمال ابي عبيدة في الشام وعدله ما حبيه الى منزلة ابي عبيدة } الروم حتى انهم لما فتحوا له باب الجابية بدمشق سنة اربع عشرة للهجرة ودخل خالد بن الوليد من الباب الشرقي عنوة . قال خالد لابني عبيدة : اسمهم فاني دخلت وشرحبيل بن حسنة عنوة . فابى ابو عبيدة . ولذلك كان الروم يميلون الى ابي عبيدة دون خالد بن الوليد . ولما طعن ابو عبيدة بالأردن دعا من حضره من المسلمين فقال : اني موصيكم بوصية ان قبلتموها لن تزالوا بخير : اقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا شهر رمضان ، وتصدقوا وجموا واعتمروا ، وتواصوا ، وانصحو لاسرائئكم ، ولا نغشوم ، ولا تلهمكم الدنيا ، فان اسراً لو عمر الفحول ما كان له بد ان من يصير الى مصرعي هذا الذي ترون ، ان الله تعالى كتب الموت على بني آدم فهم ميتون ، واكيسهم اطوعهم لربه ، واعلمهم ليوم معاده والسلام عليكم ورحمة الله . ياماذا بن جبل صلّ بالناس ومات رضي الله عنه . وكان عهد بولاية دمشق لسعيد العدوي وسويد الفهري وكلهم من الصحابة الكرام .

ولما ولي ابو عبيدة معاذاً قام في الناس فقال : ايها الناس توبوا الى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فان عبداً لا ياتي الله تعالى تائباً من ذنبه الا كان حقاً على الله ان يفرّ له ، من كان عليه دين فليقضه ، فان العبد مرتين بدينه ، ومن اصبح منكم مهاجراً اخاه فليلقه فليصالحه ، ولا يبنغي لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث ، والخطب العظيم انكم ايها المسلمون قد لجمعتم برجل ما ازعم اني رأيت عبداً ابر صدرأ ، وابعد من العائلة ، ولا اشد حبا للعامة ، ولا انصح للعامة منه ، فترحموا عليه رحمه الله تعالى . واحضروا الصلاة عليه .

واقام معاذ رضي الله عنه على امرته ولم تطل مدته حتى مات رضي الله عنه في طاعون عمّ واس في هذه السنة واستخلف معاذ عمرو بن العاص احد الدهاة المقدمين في الرأي والسياسة . وكان عمر رضي الله عنه اذا استضعف رجلاً في رأيه قال : اشهد ان خالقك وخالق عمرو بن العاص واحد . يريد خالق الاضداد . ولما قدم عمر رضي الله عنه الى الشام بالجابية امر عمرو بن العاص بالمسير الى مصر وبقي الشام ليزيد بن ابي سفيان ولم يطل امد ولايته طويلاً حتى هلك في طاعون عمّ واس ايضاً . وعمّ واس من الرملة على اربعة اميال مما يلي بيت المقدس .

وابو عبيدة بن الجراح امين هذه الامة كان عظيماً باخلاصه للاسلام ، عظيماً بنفسه وعدله وشجاعته ، والشام مدين لفضله وبغته وتهيب اموره . ذكر اهل الاخبار عن عائشة انها قالت : سمعت ابا بكر يقول : لما كان يوم أحد ورُمي رسول الله في وجهه حتى دخلت في جنة يه حلقنان من المغفر فاقلت : اللبم اجمله طاعة حتى توافينا الى رسول الله من قبل المشرق يطير طيراناً فقلت : اللبم اجمله طاعة حتى توافينا الى رسول الله (ص) فاذا ابو عبيدة بن الجراح قد بدرني فقال : اسألك بالله يا ابا بكر الا تركني فازرعه من وجنة رسول الله قال ابو بكر فتركته : فاخذ ابو عبيده بثنيته احد حلقتي المغفر فزرعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية ابي عبيدة ثم اخذ الحلقة الاخرى بثنيته الاخرى فسقطت فكان ابو عبيدة في الناس اثرم .

هذا مثال من قوة نفس ابي عبيدة وحبه لرسوله . شهد ابو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بدرأً وأحدأً وثبت يوم أحد مع الرسول حين انهزم الناس وولوا ، وشهد الخندق والمشاق كلها مع رسول الله وكان من عليه اصحابه . وطلب اهل نجران من الرسول ان يبعث معهم رجلاً أميناً . قال : لا بعثن اليكم رجلاً أميناً حقاً امين حقاً امين حقاً امين قالها ثلاثاً : فبعث ابا عبيدة . قال ابو عبيدة وهو امير على الشام : يا ايها الناس اني امرؤ من قريش وما منكم من احد احمر ولا اسود يفضلني بنقوى الا وددت اني في سلاخه^(١) . قال عمر بن الخطاب جلسائه : تمنوا فتمنوا فقال عمر بن الخطاب : اكني اتمنى بيتاً ممتلئاً رجلاً مثل ابي عبيدة بن الجراح

(١) السلاخ الجلد ، ومن الجواز فلان حمار في سلاخ انسان .

قال سفيان فقال له رجل • وما ألوت الاسلام فقال ذاك الذي أردت • وقال عمر ابن الخطاب : لو أدركت ابا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت ، فان سئلت عنه قلت استخلفت امين الله وامين رسوله وفي رواية لو سألتني عنه ربي لقلت سمعت نبيك يقول : هو امين هذه الامة •

بمثل هؤلاء النوابغ المخلصين فتحت البلاد وتمهدت ، ودخل الناس في الاسلام افواجا • بمثل هذه الامانة والعدل والاحسان استمال العرب القلوب فاصبح اعداؤهم اولياءهم ، بعد ان شاهدوا عياناً ما انطوت عليه تلك النفوس الكبيرة • قالوا : ان البلاد الحارة ضئينة بالنوابغ العاملين فأ كذب العرب في هذا المثال من فتوحهم تلك النظرية بمن أخرجوا من رجالاتهم الذين أدهشوا على قلتهم وفقروهم العالم المعروف اذ ذاك بشياعتهم وصبرهم وقناعتهم واخلاصهم ، وتوجيه قوى الصغير والكبير منهم الى مقصد واحد ، اي انهم كانوا مؤخدين في عقائدهم ، مؤخدين في متاصدهم ، وهذا غريب من نصف أميين وايسوا بعد عريقين في المدينة •



الدولة الأموية

« من سنة ١٨ الى ١٣٢ »



إمارة معاوية بن
ابن سفيان وأعماله } لما هلك يزيد بن ابي سفيان والي دمشق سنة ١٨ ولى
عمر بن الخطاب اخاه معاوية بن ابي سفيان فلم يزل والياً لعمرو
حتى قُتل عمرو . ثم ولاء عثمان بن عفان ذلك العمل وكان عثمان أقرَّ عمال عمرو على الشام فلما
مات عبدالرحمن بن علقمة الكناني وكان على فلسطين ضم عمله الى معاوية . وكان عمير
ابن سعيد الانصاري في سنة ٢١ على دمشق والبثنية وحوارث وحمص وقنسرين
والجزيرة ، ومعاوية على البلقاء والأردن وفلسطين والسواحل وانطاكية ومعرفة مصر
وقليقية ، ثم جعل عمير في سنة ٢٣ على حمص ومعاوية على دمشق ، ثم تولى عمير بن
سعيد حمص وقنسرين ، وعلقمة بن مجزز فلسطين ، وعمير بن سعيد هو الذي كان
يقول على منبر حمص : الا انت الاسلام حائط منيع وباب وثيق ، فخائض الاسلام
العدل وبابه الحق ، فاذا نقض الحائط وحطم الباب استفتح الاسلام ، فلا يزال
الاسلام منيعاً ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ،
ولكن قضاءً بالحق وأخذاً بالعدل . لما تم هذا اجتمع الشام على معاوية لسنتين من اماره
عثمان اي في السنة الخامسة والعشرين للهجرة .

ومن الاحداث مع الروم غزوة معاوية بن ابي سفيان (سنة ٢١) وصالح ابي هاشم
ابن عتبة على قليقية وانطاكية ومعرفة مصر بن وجاشت الروم (٢٤) حتى استمد من
بالشام من جيوش المسلمين من عثمان مدداً فأمدهم بمائة آلاف رجل من اهل الكوفة

فدخلوا مع اهل الشام الى ارض الروم فشنوا الغارات فأصاب الناس ما شاؤا من سبي وملؤا أيديهم من المغنم وافتنحوا بها حصوناً كثيرة وغزا قبرص (٢٨) فصالحه اهلها على جزية سبعة آلاف دينسار كل سنة . وخرج اهل الشام (٣١) وعليهم معاوية وعلى البحر عبد الله بن سعيد وخرج عامئذ قسطنطين بن هرقل لما أصاب المسلمون منهم بافرريقية في جمع لم يجتمع للروم مثله قط مذ كان الاسلام فخرجوا في خمس مائة مركب فربط المسلمون سفنهم بعضها الى بعض حتى كان يضرب بعضهم بعضاً على سفن المسلمين وسفن الروم وقاتلهم أشد قتال ووثبت الرجال على الرجال يضطربون بالسيوف على السفن ويتواجهون بالخنجر حتى رجعت الدماء الى الساحل تضر بها الامواج وطرحت الامواج جثث الرجال ركاباً . ثم انتصر المسلمون وانزمت قسطنطين مديراً فما انكشف الا لما أصابه من القتل والجرح .

وافتنح معاوية جزيرة أرواد في السنة الثالثة لعثمان وهدم سورها وأحرقها وجلا اهلها الى الشام ووجه قسطوس ملك الروم الى معاوية يسأله الصلح فأجاب الى ذلك على ان يكون عنده عدة من اهل بيته رهائن . وفي السنة الثامنة لعثمان وجه معاوية بجيوش الى جزيرة رودس فأخذها وربتوا بها المسالح وجعلوها منظره للعرب . وفي السنة الثالثة لمعاوية كانت غزوة بشر بن اوطاة الروم دفعة ثانية وسبي بها وهزمت الروم حتى بلغت القسطنطينية وفي سنة ثلاث عشرة لمعاوية غزا بشر بن اوطاة الروم فقتل وأخرج معه سبياً كثيراً . وفي السنة الرابعة عشرة لمعاوية غزت العرب الروم في البحر وصاروا الى لوقية فخرج اليهم ثلاثة بطارقة فقتل الروم من العرب ثلاثين الفا ومن بقي منهم ركب البحر فلما توسطوه لحقهم بعض الروم في سفينة فالتقى النار في سفن فاحترقت كلها وفازت الروم وهم اول من اخرج النار وصارت لهم عادة . وفي السنة السابعة عشرة ركب الروم السفن واقبلوا فيها في البحر حتى اتوا ساحل صور وصيدا ثم خرجوا من السفن واستولوا على جبل لبنان فأووا اليه وكان الناس يسمونهم الجراجمه فاستولوا على جبل لبنان وانتشروا من جبل الجليل الى الجبل الاسود وذلك ان قسطنطين دسهم ليشغلوا العرب عن الغزو .

ولم يكدم معاوية يتولى الامر بالشام حتى اخذها أوتيه من علم وحلم يضع اساس

الملك ويسير في رعيته سيرة حسنة حبيته اليهم وكان يتأني الامور ويداري الناس على منازلهم ويرفق بهم على طبقاتهم فوسع الناس من اخلاقه وافاض عليهم من برة وعطائه وشملهم من احسانه فاجتذب القلوب واستدعى النفوس حتى آثره على الاهل والقربات وعدت « مرابي دول وسائس أم وداعي ممالك » .

إقدام عمرو بن عبد الله في حمله حاتم في حلف احنف في ذكاء اياس
ولطالما افضل على اشرف قر يش مثل عبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير
وعبد الله بن جعفر الطيار وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر وابان بن عثمان
ابن عفان وناس من آل ابي طالب يقدون عليه بدمشق فيكرم مشوام ومنهم عقيل بن
ابي طالب شقيق علي بن ابي طالب قدم على معاوية بالشام فامر له معاوية بثلاثمائة الف
دينار وقال له : هذه مائة الف تقضي بها ديونك ومائة الف تصل بها رحمك ومائة
الف توسع بها على نفسك . وكان عقيل قدم من قبل على اخيه في الكوفة فشكاه
الضائقة فوعده بان يعطيه عطائه اذا خرج فقال عقيل : وانما شخوصي من الحجاز
اليك من اجل عطائك وما ذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي . وكان
معاوية مدة حكمه في الشام اميراً نحو عشرين سنة وخليفة مثلها بعمد الى المال فينفقه
اذا رأى هناك مصلحة وما ينخس بالمال وحسن التدبير لا يجمله باهراق الدماء الا بعد
الاضطرار الشديد .

مقتل عثمان بن عفان) وبينما كان معاوية في الشام مستقلاً بعيداً عن كل شغب
بهى لنفسه ولآله ملكاً اخذ الناس بنعمون في الحجاز
وغيره على عثمان است سنين من خلافته وتكلم فيه من تكلم . « فاجتمع ناس من اصحاب
النبي عليه الصلاة والسلام كتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان سنة رسول الله
وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افرقية لروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو
القربي واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها
بالمدينة داراً لثالثة وداراً لعائشة وغيرهما من اهله وبناته وبنيسان مروان القصور
بذي خشب وعمارة الاموال بها من الخمس الواجب لله ورسوله وما كان من افشائه

العمل والولايات في اهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغملة لاصحبة لم من الرسول ولا تجربة لم بالامور .

وما زال عثمان على شيخوخته مغلوباً لمروان وبني أمية وامم ما عدوا عليه توسيده الا اور لم حتى قتل في المدينة وتولى الخلافة علي بن ابي طالب . وكان معاوية على مثل اليقين من ان علياً لا يقره على الشام فكان كما ظن وهنا ظهر نبوغ معاوية السياسي حتى بلغ ما اراد وقسم الأمة شطرين له وعليه وكانت كفه الراجحة . واختلفت الآراء في تبعة معاوية من مقتل عثمان فقال فريق : ان عثمان كتب الى معاوية : « ان اهل المدينة قد كفروا وخلعوا الطاعة ونكثوا البيعة فابعث الي من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول » . فترى به معاوية وكره اظهار مخالفة اصحاب رسول الله وقد علم اجتماعهم فابطاً امره على عثمان حتى كان ما كان من مقتله .

آمال علي بن ابي طالب } ولم يتخلف معاوية عن مبايعة علي بن ابي طالب
في الخلافة . (كرم الله وجهه) فقط بل قام يطالب بدم عثمان
ويتهم علياً بقتله لان علياً كان يحتج على الصحابة منذ يوم البيعة لابي بكر ويقول : انا
اجدر بهذا الامر منكم لا ابايكم وانتم اولى بالبيعة لي حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح :
« يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم
بالامور ، ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك ، واشد احتمالاً واضطلاعاً
فسدتم لابي بكر ، فانك ان تش ويطل بك بقاء فانك لهذا الامر خليق وحقيق في
فضلك ودينك وملكك وفهمك وسابقتك ونسبك وصبرك » . وقد وقعت لعلّي تأوهات
في المطالبة بالخلافة وانه بغى عليه في ذلك وغمط جقه في عهد الثلاثة الخلفاء ، ولذلك
كان في تساهله بالدفاع عن عثمان وجه عند بعضهم على حين ثبت ان علياً قرع عثمان
على التفريط وانذرته بان عاقبته تكون القتل بقوله : اأحذرك ان تكون امام هذه الامة
الذي يقتل فيفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة .

وذكر ابن حزم في الملل والنحل في باب رأي كبار الأمة في حرب علي ومعاوية
ان امتناع معاوية من بيعة علي كامتناع علي من بيعة ابي بكر فما حارب ابو بكر

ولا اكرهه وابو بكر اقدر على علي من علي على معاوية ومعاوية في تأخره عن بيعة علي اعذر وافصح مغاراً من علي في تأخره عن بيعة ابي بكر لان علياً لم يمنع من بيعة ابي بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزيبر واما بيعة علي فان جمهور الصحابة تأخروا عنها إما عليه واما لاله ولا عليه واما تابعهم فيه الا الاقل سوى أزيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امنع من بيعته فهل معاوية الا كواحد من هؤلاء في ذلك ؟ الى ان قال بشأن البيعة : فصح ان علياً هو صاحب الحق الامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطي : مأجور مجتهد قال : ولم يقاتل علي معاوية لامتناعه من بيعته لانه كان يسهه في ذلك ماوسع ابن عمر وغيره ولكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره في جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلي المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه للخلافة لكن اجتهاده اداه الى رأي تقديم اخذ القود من قنلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه احق بطلب دم عثمان والكلام فيه عن ولد عثمان وولد الحكم بن ابي العاص لسنه ولقوته على الطلب بذلك .

* * *

اتفاق معاوية وعمرو بن العاص / اغنم معاوية هذه الفرصة السانحة في مقتل
على المطالبة بدم عثمان / عثمان ليعيد الامر الى بني أمية وبهجوا
امراء في الاسلام كما كانوا امراء في الجاهلية . وكان النعمان بن بشير اتاه الى دمشق من
المدينة بقميص عثمان الذي قتل فيه مخضباً بدمه وباصابع نائلة زوجته فوضع القميص على
منبر دمشق وكتب بالحر الى الاجناد وثاب اليه الناس و بكوا سنة وهو على المنبر
والاصابع معلقة في اردانه وتماهد الرجال من اهل الشام على قتل قنلة عثمان ومن عرض
دونهم بشيء او نفى ارواحهم وكان ستون الف شيخ يكون تحت قميص عثمان .
وكان عمرو بن العاص لما شب الناس في امر عثمان في ضيعته له بالسبع من حيز فلسطين
قد اعتزل الفتنة فاستدعاه معاوية يسترشد برأيه ووعدته بملك مصر ان هو ظفر
بعلي . فارتأى عمرو ان يجلب معاوية شرحبيل بن السمط الكندي رأس اهل
الشام فسار هذا يستقري مدنها مدينة مدينة يجرس الناس على الاخذ بدم عثمان

فاجابه الناس كلهم الا تقرأ من اهل حمص نساكاً فانهم قالو : نلزم بيوتنا ومساجدنا وانتم اعلم منا .

وذكر المؤرخون : ان معاوية قدم بيت المقدس وقدم عليه عمر بن العاص فبايعه على دم عثمان وكتبا كتاباً بينهما : « بسم الله الرحمن الرحيم » : هذا ماتعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص بيت المقدس بعد قتل عثمان وحمل كل واحد منها صاحبه الامانة ان بيننا عهد الله على الناصر والتخالص والناصح في امر الله والاسلام ولا يخذل احدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ولا يحول بيننا ولد ولا والد ابداً ما حيننا فيما استطعنا » .

وهكذا اخذ معاوية بحرك النفوس ويطالب بثار عثمان ومما كتب به الى علي : « ولكنك أغربت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الاقتالك حتى تدفع اليهم قنلة عثمان » . فاجابه علي : « زعمت انه انما افسد عليك بيعتي خطيئتي في عثمان واممري ما كنت الا رجلاً من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضر بهم بالعمى وما امرت فيلزمني خطيئة عثمان ولا قتلت فيلزمني قصاص القاتل واما قولك ندفع اليك قنلة عثمان فما انت وعثمان انما انت رجل من بني أمية وبنو عثمان اولى بعثمان منك » .

* * *

وما برحت الحزازات تشتد بين علي ومعاوية يريد حرب صفين وشؤمها }
 الاول ان يبايع له الثاني ويطالب الثاني بدم عثمان }
 وهو مستقل بالشام حتى النخيلة سنة ٣٧ في صفين من ارض الشام يجيشهما وكانت بينهما وقائع سالت فيها الدماء كالأشجار فقتل من أهل الشام جيش معاوية خمسة واربعون ألفاً ومن أهل العراق والحجاز جيش علي خمسة وعشرون ألفاً وكان معاوية في مائة وعشرين ألفاً وعلي في تسعين ألفاً وجسر علي الجنود « حتى قُتل من أبطال الاسلام في تلك المعارك الوف ولم يكثر بقتلهم » « وان علياً لينغمس في القوم فيضرب بسيفه حتى ينثني ثم يخرج مخضباً بالدم حتى يسوي له سيفه ثم يرجع فينغمس

فيهم» . روى ابن سعد قال : « اقتتل الناس بصفين قتالاً شديداً لم يكن في هذه الامة مثله قط حتى كره أهل الشام وأهل العراق القتال وملوه من طول تباذلم السيف . فقال عمرو بن العاص : وهو يومئذ على القتال لمعاوية انت مطيعي فتأمر رجلاً بنشر المصاحف ، ثم يقولون يا أهل العراق ندعوكم الى القرآن والى ما في فاتحته الى خاتمته فانك ان تفعل ذلك يختلف اهل العراق ولا يزيد ذلك امر أهل الشام الا استجباعاً ، فاطاعه معاوية ففعل ، وامر عمرو رجلاً من أهل الشام فقري المصحف ثم نادى يا أهل العراق ندعوكم الى القرآن ، فاختلف أهل العراق فقالت طائفة أولسنا على كتاب الله وبعثنا ، وقال آخرون كرهوا القتال : أجبنا الى كتاب الله ، فلما رأى علي عليه السلام وهنهم وكراحتهم للقتال قارب معاوية فيما يدعوه اليه واختلف بينهم الرسل فقال علي عليه السلام : قد قبلنا كتاب الله فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك ، قال : تأخذ رجلاً منا نختاره ونأخذ منكم رجلاً نختاره ، فاختار معاوية عمرو بن العاص ، واختار علي ابا موسى الأشعري » .

وجرت المهادنة بين علي ومعاوية على وضع الحرب بينهما ويكون لعلي العراق ولمعاوية الشام فلا يدخل احدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو فأقام معاوية بالشام يجيها وكان ذلك سنة ٤٠ .

وكانت حرب صفين من أشأم الحروب على الامة ، وهي في اول نشأتها وشبابها ، النقي فيها المسلب بالمسلب بالسلاح ، واقتتلا قتالاً شديداً ، وهلكت من الفريقين نفوس ذكية ، لو سلمت فتحت بها القاصية ، ولو لم يشغل بال معاوية بمقتل عثمان ثم بمداغمة علي لكان نمرغ لا محالة للقضاء على الدولة البيزنطية آخر الدهر . خصوصاً وقد كان من اكبر همهم ان يغادي الروم للقتال وبراءتهم منذ اسنقل بامارة الشام . وكان يغزوم براً وبحراً و يصيب منهم وقتلاً يصيبون منه وربما توفقت معاوية وآله لولا هذه الغائلة الالهية الى استصفاء معظم اقطار الارض .

صلح الحسن مع معاوية وبعض / ومن اهم الاحداث في زمن معاوية قيام
ما عزي الى هذا | الحسن بن علي في العراق عقيب مقتل ابيه

علي بن ابي طالب فسار معاوية الى الموصل والثقي المسكران فوجه معاوية الى قيس ابن سعد امير جيش الحسن ببذل له الف الف درهم على ان يصير معه او ينصرف فابى ويقال انه ارسل الى عبد الله بن عباس وبذل له مثل هذا المال فسار اليه في ثمانية آلاف من اصحابه وهم من شيعة الحسن واقام قيس على محاربه حتى اضطر الحسن الى صلح معاوية بعد ان رأى اصحابه نفرقوا عنه وصعد المنبر فحمد الله واثني عليه وقال : « ايها الناس ان الله هداناكم لهذاكم باولنا وحقق دماءكم باخرنا وقد سالمت معاوية وان ادري لعله فننة لكم ومتاع الى حين » .

ولما مات الحسن بعد شهرين وقيل اربعة اشهر من استيلائه على العراق صفا الجو لمعاوية وبايع له الناس فلك العراق والحجاز ومصر واجمت القلوب على مبايعته طوعاً او كرهاً . وكان ممن مالا معاوية على تحقيق رغائبه عمرو بن العاص قرينه وعامله على مصر، والمغيرة بن شعبة عامله على الكوفة، وهما الداهيتان اللذان يقول فيها الحسن البصري انها اسفدا امر هذه الأمة لاحتيال الاول برفع المصاحف يوم صفين وتقرير التحكيم ولان الثاني كان من الداعين لاخذ البيعة ليزيد . فاعزز معاوية سرّاً الى ولاية الامصار ان يوفدوا الوفود اليه يزينون له اعطاء العهد لابنه حتى استوثق له اكثر الناس وبايعوه والسيوف مسالوة فيما قيل على رقاب الصحابة في مسجد الرسول . وذكروا ان معاوية استعمل ابن اثال الطيب ليدس السم على بعض من كان يتخوف منهم التوثب على الخلافة مثل عبدالرحمن بن خالد امير حمص احد فرسان قريش وشجعانهم وكان له هدي حسن وفضل وكرم وكان قد عظم شأنه في الشام ومال اليه اهله حتى خشي معاوية على نفسه منه لميل الناس اليه ونسي له غناؤه في قتال الروم ومواقفه يوم صفين .

* * *

خلافة يزيد ورأي / اخرج معاوية الخلافة عن اصولها وكنت بالعهد لافضل ابن خلدون) الصحابة او بالشورى بينهم لمن يقع اختيارهم عليه وجعلها كملك يورثها الاب ابنه او من يراه اهلاً لها من خاصته او كسروية او قيصرية على سنة كسرى وقيصر كما قالوا . وبذلك تقم على معاوية بعض الصحابة والتابعين من الانصار والمهاجرين .

قال ابن خلدون : والذي دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس وانفاق اموالهم بانفاق اهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية اذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سوامهم وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل القلب منهم فأثره بذلك دون غيره مما يظن انه اولى بها وعدل عن الفاضل الى المفضول حرصاً على الانفاق واجتماع الاهواء الذي شأنه اهم عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبه مانعة من سوى ذلك وحضور الالكابر لذلك وسكوتهم عنه دليل على انفاء الريب فيه فليسوا بمن تأخذهم في الحق هواة وليس معاوية بمن تأخذ العزة في قبول الحق فانهم كلهم اجل من ذلك عدالتهم مانعة منه وفرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو محمول على تورعه من الدخول في شيء من الامور مباحاً كان او محظوراً كما هو معروف عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي انفق عليه الجمهور الا ابن الزبير . وندور الخالف معروف .

ثم قال : انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتخرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وامثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يهاب عليهم ايثارهم ابناءهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشانهم غير شأن أولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل احد وازع من نفسه فعهدوا الى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكوا كل من يسمو ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد اشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتجج الى الوازع السلطاني والعصباتي فلو عهد الى غير من يرتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانقض امره سريعاً وصارت الجماعة الى الفرقة والاختلاف .

ذكروا ان معاوية لما مرض مرضه التي هلك فيها دعا ابنه يزيد فقال : « يا بني اني قد كفيتك الرحلة والترحال ، ووطأت لك الاشياء ، وذلك لك الاعداء ، واخضعت لك اعناق العرب ، وجمعت لك من جمع واحد ، واني لا اتخوف ان يتنازعك هذا الامر الذي استتب لك الاربعة نفر من قريش ، الحسين بن علي ، وعبد الله بن

عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، فاما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذته العبادة واذا لم يبق احد غيره بايعك ، واما الحسين بن علي فان اهل العراق لن يدعوه حتى يخرجوه فان خرج عليك فظفرت به فاصمخ عنه فان له رحماً ماسة وحقاً عظيماً ، اما ابن ابي بكر فرجل ان رأى اصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله ليس له همة الا في النساء واللهو ، واما الذي يبيح لك جثوم الاسد ويراوغك مراوغة الثعالب فاذا امكنته فرصة وثب فذاك ابن الزبير ، فان هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إر با إر با . ومن جملة وصايا معاوية لابنه يزيد في اهل الشام وكان رباهم على الطاعة المطلقة : « انظر اهل الشام فليكونوا بطانتك ورعيتك فان رابك من عدوك شيء فانصر بهه فاذا اصبتهم فاردد اهل الشام الى بلادهم فانهم ان اقاموا بغير بلادهم تغيرت اخلاقهم . ولا قدم متبعة اهل الكوفة على معاوية كان فيما سألهم عنه رأيهم في اهل الاحداث من الامصار فقال احدهم : واما اهل الشام فاطوع الناس لمرشدتهم واعصام لغوهم . »

* * *

غزوات معاوية) وما يجب ان يذكر لمعاوية انه مع اشتغال ذهنه بالملك لم يغفل
 قطع عن انشاء اسطول عظيم غزاهه الروم وغزا القسطنطينية
 غير مرة واغزى الروم مراراً وكان يمزو الصوائف والشواتي اية غزوات الصيف
 والشتاء ، وخص قوماً من رجاله بتولي هذه الغزوات وبلغه ان ازوم سنة ٤١٤ قد زحفت
 في جموع كثيرة يخاف ان يتغلوه عما يحتاج الى تدبيره واحكامه خصوصاً بعد خروجه
 من وقعة صفين فوجه اليهم فصالحهم على مائة الف دينار . وكان معاوية اول من صالح
 الروم فلما استقام له الامر اغزى امراء الشام على الصوائف فسبوا في بلاد الروم سنة بعد
 سنة وطلب صاحب الروم الصلح على ان يضعف المال فلم يجبه ورضي مرة بصلح ملك
 الروم على ان يكون عنده من اهل بيت ملكهم رهائن وافتتح معاوية من الجزائر ارواد
 وقبرس ورووس وغيرها وبت فيها المسالخ وجعلها منظره للعرب .

وحدث مرة سنة ٣٤٤ ان معاوية كان يتعد لقصده القسطنطينية وبعد السفن
 الكثيرة بينة طرابلس ويحمل من السلاح امراً عظيماً ان اخوين لرجل يقال له بقنطر
 وكانا في خدمة العرب فلما نظرا ما اعدده معاوية اخذتهما الغيرة فاتيا السجن ففتحا

واخرجوا من فيه من الروم وقتلوا عامل البلد واحرقوا السفن والعدة وركبوا البحر . فلما بلغ معاوية ذلك جيز جيوشاً كثيرة الى الروم فافتتح بلاداً كثيرة . وسبى من اهلها مئة الف انسان وبعث اخاه على البحر فانهزم الروم بجزاً ايضاً ، ثم تعددت وقائمه مع الروم وكان في اكثرها ظافراً ، ومن وقائمه وقعة سنة ٣١٠ . ولولا النار التي اخترعها الروم لاحراق السفن وبها حرقت سفن كثيرة للعرب وهلك الوف من رجال بحريتهم لامتدت الفوحات ولسهل على معاوية فتح القسطنطينية كما سهل عليه غزو الروم لتحصينه سواحل الشام واقامته الصناعة في صور وعكا وغيرها من مدن الشام . ومن اهم ما حدث في اواخر ايام معاوية ان الروم ركبوا السفن للسنة السابعة عشرة من خلافته واتوا ساحل صور وصيدا فاستولوا على جبل لبنان وانتشروا من جبل الجليل الى الجبل الاسود وكان الناس يسمونهم الجراجمه وبعضهم يسميهم المردة دسهم قسطنطين ملك الروم ليشغلوا العرب عن الغزو وبقوا في البلاد حتى اخرجهم عبد الملك بن مروان .

وفي سنة ٤٨ سير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف الى القسطنطينية فاوغلوا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية وتوفي في مدة الحصار ابواب الانصاري ودفن بالقرب من سورها .

* * *

احداث معاوية (توفي معاوية سنة ٦٠ بعد ان وطأ أكناف الملك وابتكر ووصيته اهدى في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها ، منها انه اول من وضع الحشم للملوك ورفع الحراب بين ايديهم ، ووضع المتصورة التي يصلي الملك او الخليفة بها في الجامع منفرداً عن الناس ، وهو اول من وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة ، واخترع من امور الملك ديوان الخاتم واستخدم المسيحيين في مصالح الدولة فعهد بنظارة المالية الى منصور وسرجون من نصارى العرب السور بين . اوصى معاوية بني أمية فقال : انه لما قرب مني ما كان بعيداً ، وخفت ان يسبق الموت الي و يسبقكم بي سبقته اليكم بالموعظة لابلغ عذراً ، وان لم أرد قدرآ ، ان الذي أخلفه لكم من دنياي امر تشاركون فيه او تقبلون عليه ، وان الذي أخلف لكم من رأبي مقصور عليكم نفعه ان

فعلتموه ، مخوف عليكم ضرره ان ضيعتموه ، فاجعلوا مكافأتي ، قبول نصيحتي ، وان قریشاً شاركتكم في أنسابكم ، وتفردتم دونها بافعالكم ، فقدمكم ما تقدمتم فيه اذا أخرج غيركم ما تأخروا له ، ولقد جهرت لي فعلت ، وفهم لي ففهمت ، حتى كما في أنظر الى اولادكم بعدكم كمنظري الى آباءهم قبلهم ، ان دولتكم ستطول ، وكل ضويل مملول ، وكل مملول مخذول ، فاذا انقضت مدنتكم كان اول ذلك اختلافكم بينكم ، وانفاق المختلفين عليكم ، فيدير الامر بضد ما اقبل به ، فلست اذكر عظيمياً ينسال منكم ، ولا حرمة ننتهك لكم ، الا وما اكف عن ذكره اعظم منه ، فلا معول عليه عند ذلك أفضل من الصبر ، واحتساب الاجر ، فيا لها دولة أنست أهلها الدول في الدنيا والعقوبة في الآخرة فيجادكم القوم دولتكم تبادل اله نانيون في عنق الجواد ، فاذا بلغ الامر مداه ، وجاء الوقت الذي حده رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفت الحيلة ، وعزب الرأي ، وصارت الامور الى مصايرها ، فأوصيكم عندها بنقوى الله عز وجل الذي يجعل لكم العاقبة ان كنتم متقين اه .

* * *

خلافة يزيد ومقتل الحسين ووقعة الحرة () تولى يزيد بن معاوية الخلافة بعد ابيه ثلاث سنين جلدأ صبوراً ولم تمنعه فتى ابن الزبير وشيعة العراق عن قتالهم وأهم الاحداث في زمانه قتل الحسين بن علي (رضي الله عنهما) في كربلاء من العراق وحمل رأسه الشريف الى الشام وإهانة أسرته الطاهرة وقتل بعض رجالها . فارتكب ابن زياد عامل العراق ليزيد من ذلك امراً نكراً اكبره أهل الاسلام وزادت بذلك شيعة علي وآله حقناً وشدة . ولم يكن يزيد يريد قتل الحسين بعملاً بوصية والده له فان زحر بن قيس لما حمل من العراق الى الشام أهل بيت الحسين ودخل على يزيد وبشره بذلك دمعت عينه وقال : قد كنت ارضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سميّة (يعني ابن زياد) اما والله لو اني صاحبه لعفوت عنه فرم الله الحسين .

ومن الاحداث في ايامه سير يزيد بالجيش الى نواحي حماة وتصدى اهل لبنان له

وهزيمته وعزا الروم بالغزوة من قلقية في ولايته للعهد ثم غزاهم في خلافته وعد ذلك من مزاياه ومزايأ ابيه .

وافتح اهل المدينة سنة ٦٢ على خلع يزيد فجهز جيشاً مع مسلم بن عقبة وامره بقتال اهل المدينة فاذا ظفر بها اباحها للجند ثلاثة ايام ، يسفكون فيها الدماء و يأخذون الاموال وان يبأيهم على انهم خَوَل وعبيد ليزيد . فقاتل جند الشام اهل المدينة في الحرّة واستباح مسلم المدينة ، وكان قتل الحرّة سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والانصار وعشرة آلاف من وجوه الموالي ، ثم بايع من بقي من الناس وعاد الي الشام من كان بالمدينة من بني أمية .

حنقت نفوس الأمة من وقعة الحرّة لان فنتتها التهمت بضع مئات من عليّة قريش ، وكانت غلطة زياد في قتل الحسين وسبي آله الطاهرين ذريعة اكبر للنيل من يزيد وآل يزيد ، فنقولوا عليه وحطوا من كرامته ، مع انه سار بسيرة ابيه في الملك من التوسع في الفتح وقنسال اعداء المملكة من الروم . اما وقعة الحرّة فان اهل المدينة استطالوا على يزيد وحاسنهم فحاشنوه واحرجوه حتى اخرجوه .

توفي يزيد بن معاوية سنة ٦٤ وبويع ابنه معاوية بن يزيد ثالث خلفاء بني أمية ، ولما استخلف لبث شهرين وليالي محبوباً لا يُرى ، ثم خرج بعد ذلك لجمع الناس لحمد الله واثني عليه ثم قال : ايها الناس اني نظرت فيما صار اليّ من امركم ، وقلدته من امارتكم ، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير مني ، واحقهم بذلك واقوى على ما قلدته ، فاختاروا مني احدي خصلتين اما ان اخرج منها واستخلف عليكم من اراه لكم رضى ومقنعاً ، واكرم الله عليّ لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا ، واما ان تختاروا لانفسكم وتخرجوني منها ، فانف الناس من قوله ، وابوا من ذلك بنواً امية ان تزول الخلافة منهم وماج امرهم واختلفوا .

وقيل انه خطب الناس وقال : « ما كنت اتقلدكم حياً وميتاً فوالله لئن كانت الدنيا ممتناً فقد نلنا منها حظاً ، وان تكن شرّاً فحسب آل ابي سفيان ما اصابوا منها »

فقال له مروان بن الحكم : سئتها فينا سيرة عمرية قال : ما كنت أنقلدكم حياً وميتاً .
ولما حضرته الوفاة بعد خلافته اربعة اشهر وقيل اقل من ذلك ، وله عشرون سنة وقيل
احدى وعشرون سنة ، لم يرض ان يعهد بالامر من بعده . وقال : أنفوز بنو أمية بجلاوتها ،
وابوه بوزرها وامنعها اهلها ، كلا اني لبري منها . وقال المسعودي : اراد ان يجعلها
الى نفر من اهل الشوري ينصبون من يروونه اهلاً لما .

وقيل ان معاوية بن يزيد كان قدرباً لان عمر المقصوص كان عمله ذلك فدان
به وتحققه ، فلما بايمه الناس قال للمقصود : ماترى قال : اما ان تعتدل او تعتزل .
فغضب الناس يستعفي من بيعتهم ، فوثب بنو أمية على عمر المقصوص وقالوا : انت افسدته
وعلمته فطمروه ودفنوه حياً .

قال الطبري : وكان معاوية بن يزيد بن معاوية فيما بلغني أمر بعد ولايته
فنودي الصلاة جامعة فحمد الله واثى عليه ثم قال : اما بعد فاني قد نظرت في امركم
فضعفت عنه ، فابنيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب رحمة الله عليه حين فرغ اليه
ابو بكر فلم اجده ، فابنيت لكم ستة في الشوري مثل ستة عمر فلم اجدهما ، فانتم اولي
بامركم اختاروا له من احببتم . ثم دخل منزله ولم يخرج الى الناس ونغيب حتى مات .
فقال بعض الناس دُس اليه فسقي سماً وقال بعضهم طعن .

* * *

قيام ابن الزبير ومبايعة مروان بن الحكم بالخلافة ووقعة مرج راهط } وكان عبد الله بن الزبير قد تغلب على مكة وتسمى بامير المؤمنين ومال اليه اكثر النواحي . ابتدا امره في ايام يزيد بن معاوية فلما توفي يزيد مال الناس من البلدان جميعاً الى ابن الزبير . وكان بفلسطين نائل بن قيس الجذامي ، وبدمشق الضحاك بن قيس النهري ، ومجهم النعمان بن بشير الانصاري ، وبقنسرين والعوامم زفر بن الحارث الكلابي . وثب على سعيد بن جحدل الكلابي واخرجه منها ، ولم تبق ناحية الامالت الى ابن الزبير خلا الأردن ورئيسها يومئذ حسان بن جحدل الكلابي بمعنى ان الناس افرقوا « ثلاثاً : فرقة بجهدلية وهو اسم لبني حرب ، وفرقة زبيرية ، وفرقة لابيالون لمن كان الامر » .

وقدم مروان بن الحكم، وامر الشام مضطرب ومعظم اجنادها مبايعة لابن الزبير، فدنا مروان الي نفسه وهو من اعظم رجال أمية عقلاً ودهاء وسياسة وحكمة . واجتمع الناس بالجابية من ارض حوران فنناظروا في ابن الزبير وفيما تقدم من بني أمية عندهم ، ونناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية ، وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده ، فكان رَوْح بن زنباع الجذامي يميل مع مروان فقام خطيباً فقال : يا اهل الشام هذا مروان ابن الحكم شيخ قريش، والطالب بدم عثمان، والمقاتل لعلي بن ابي طالب يوم الجمل ويوم صفين، فبايعوا الكبير واستنابوا للصغير . فلما عقدوا البيعة جمعوا من كان في ناحيتهم ثم نناظروا في اي بلد يقصدون فقال : نقصد دمشق فانها دار الملك ومنزل الخلفاء ، وقد تغلب بها الضحاك بن قيس فلقوا الضحاك بـرج راهط ، وكان مع الضحاك من اهل دمشق وفتيتهم جماعة، وقدامه النعمان بن بشير عامل حمص بشرحبل بن ذي الكلاع في اهل حمص ، وامده زفر بن الحرث الكلابي بقيس بن طريف بجيش من شمالي الشام، فكان في ثلاثين الفاً، ومروان في ثلاثة عشر الفاً اكثرهم رجالاً، والنقوا بـرج راهط فاقتلوا قتالاً شديداً ودام القتال عشرين يوماً فقتل الضحاك بن قيس وخلق من اصحابه ، وهرب من بقي من جيشه . وبلغ الخبر النعمان بن بشير وهو بمحمص فخرج هارباً فقبه قوم من حمير واهله وقيل من اهل حمص فقتلوه في البرية، وكان من اخطب اهل الدنيا، وهرب زفر بن الحرث الكلابي والخليل لقبه حتى اتى قرقيسيا على الخابور .

وانام مروان بن الحكم بالشام في ايام ابن الزبير واجتمعت اليه بنو أمية بعد وقعة مرج راهط التي انقسمت بها الشام فرقتين قيسية ويمانية وغلب اليمانية وكان بنو أمية يخضون اليمانية . قال المسعودي : وكانت هذه الوقعة سبب رد ملك نه أمية وقد كان زال عنهم الى بني أسد بن عبد العزى ، ولذلك رأى قوم ان مروان اول من اخذ الخلافة بالسيف . وهذه الوقعة من الوقائع المشهورة والايام المذكورة . واليمانية لتفتخر بها على الزنارية، وقد اكثر شعاؤها الافتخار بذلك . ولما بوع لمروان بن الحكم اشترط حسان بن مالك، وكان رئيس قحطان وسيدفا بالشام، على مروان ما كان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد ، منها ان يفرض لهم لانبي رجل، الفين الفين، وان مات قام ابنه او ابن عمه مكانه، وعلى ان يكون ذم الامر والنهي وصدر

المجلس ، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي منهم ومشورة ، فرضي مروان بذلك واتقاد اليه . وكان هذا أول قانون عربي وضع للراسيم والتشريعات (برونوكول) وضع أساسه القحطانية ، وكانوا اصطلمحوا على ذلك منذ عهد معاوية ارضام بهذا التصدر فدخل مصطلحهم الآن في طور الدساتير المعمول بها .

• ولم يلبث مروان ان وجه جيشاً الى الحجاز لمحاربة ابن الزبير ثم خرج يريد مصر ، فلما سار الى فلسطين وجد نائل بن قيس متغلباً على البلد فخاربه ، وهرب ولحق بابن الزبير ، وسار مروان الى مصر فصالحه اهلها . وأرسل عبدالله بن زياد الى العراق لقتال الشيعة ، ولما صار مروان الى الصنبرة من ارض الأردن منصرفاً من مصر بلغه ان حسان بن محدل قد بايع عمرو بن سعيد بن العاص فاحضره فانكره وباع لعبد الملك ثم بعده لعبد العزيز ابن مروان ، وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وقيل ثمانية وقيل ستة . وباع أهل الشام بعده لابنه عبد الملك « وكان مروان اول من أخذ الخلافة بالسيف كرهاً على ما قيل بغير رضى من عصابة من الناس ، بل كل خوفه الا عدد يسير حملوه على وثوبه عليها ، وقد كان غيره ممن سلف أخذها بعدد وأعوان » . لا جرم ان مروان سيد بني عبد مناف في عصره كان من الرجال العظام وكان مواجاً بالشورى في امارته المدينة وكان يجمع في ولايته على المدينة اصحاب رسول الله يستشيرهم ويعمل بما يجمعون له عليه ، ومثل هذا الرجل بطول تجربته وحكمته وأخذه بالآراء السديدة ينجح ولا شك في عمله ، فهو من مفاخر الأمويين وبنو أمية مدينة بالخلافة له .

خلافة عبد الملك } وكان عبد الملك بن مروان بعد مهلك ابيه بعيداً عن دمشق
ابن مروان } فأقبل مسرعاً خوفاً من وثوب عمرو بن سعيد ، وكان عمرو بن سعيد من أحب الناس الى أهل الشام وكانوا يسمعون له ويطيعون . واجتمع الناس على عبد الملك فقال لهم : اني أخاف ان يكون في أنفسكم مني شيء فقام جماعة من شيعة مروان فقالوا : والله لنقومن الى المنبر او لنضربن عنقك ، فصعد المنبر وبايعوه .

ونفرغ عبد الملك لاستصفاء العراق من شيعة علي فاستخلصها منهم بعد ان قتل من الطرفين جمهور كبير وقتل أشرف أهل الشام وكان جيشهم ثلاثين الفا . وذكر

اليقوي وأكد روايته غير واحد من المؤرخين : ان عبد الملك منع أهل الشام من الحج وذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم اذا حجوا بالبيعة . ووجه وجوه الناس الى مسجد بيت المقدس فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الذهب وأقام لها سدة وأخذ الناس بالطواف حولها كما تطوف حول الكعبة . قلنا وكذلك فعل بنو أمية في الاندلس في الغرب، فانهم منعوا الناس عن الحج مدة ملكهم أوائل عهد بني العباس مخافة ان يأخذهم العباسيون بالبيعة لهم .

ومن الاحداث في أيام عبد الملك تجهيز يوحنا امير جبل لبنان اثني عشر الف فارس وذهابه الى البقاع ونزوله في قب الياس ، وغزوه الجبل الشرقي وشنه الغارات على الحجاج حتى ضاقت به الرعية وقطعت الطرق وخرت المسالك . وكان امير لبنان مرتبطاً مع صاحب الروم بهود فسار ناندجيوشهم لاون سنة ٦٥ وضم اليه عساكر الجبل ، وغزا بلاد العرب واسترد منهم ما كانوا أخذوه من بلادهم ، فاضطر عبد الملك بن مروان الى تجديد الهدنة مع ملك الروم على ان يدفع كل يوم للروم الف دينار وفرنساً وملوكاً ويقاسمه على خراج قبرص وارمينية على شرط ان يخرج اللبنايين من جبلهم ، فأجابه ملك الروم الى ذلك ولما قتل امير المردة أمروا عليهم سمعان . ولقب اللبنايون بالردة اي العصاة لكونهم عصوا امر يستينان ملك الروم في عدم التعرض للعرب والشخص الى بلاد المغرب .

* * *

الجراجمة والمردة) ويؤخذ مما قاله ابن عساكر : ان طاغية الروم لما رأى في جبل لبنان) ما صنع الله للمسلمين من منعه مدائن الساحل ، كاتب انباط جبل لبنان واللكام نخرج الجراجمة وعسكروا بالجبل ، ووجه ملك الروم قلفط البطريق في جماعة من الروم في البحر فسار بهم حتى أرسى بهم بوجه البحر^(١) وخرج بمن معه حتى علا بهم على جبل لبنان ، وبث قواده في أقصى الجبل حتى بلغ انطاكية وغيرها من الجبل الاسود ، فأعظم ذلك المسلمون بالساحل حتى لم يكن احد يخرج في ناحية من رجال ولا غيرها الا بالسلاحي ، فغلبت الجراجمة على الجبال كلها من لبنان وسنير

(١) قرية قرب حمامات فوق البترون .

وجبل الثلج وجبال الجولان ، فكانت بالسبل مسلحة لنا ، وفي الرقاد وعقربا الجولان مسلحة ، حتى جعلوا ينادون عبد الملك بن مروان من جبل دير مران من الليل ، حتى بعث اليهم عبد الملك بالاموال ليكفوا حتى يفرغ اليهم ، وكان مشغولاً بقتال أهل العراق ومصعب بن الزبير وغيره . قال : ثم كتب عبد الملك الى سحيم بن المهاجر في مدينة طرابلس وكان أميرها يتواعده ويأمره بالخروج اليهم فلم يزل سحيم ينظر الفرصة منهم ويسأل عن أخبارهم وأمورهم حتى بلغه ان قلعط في جماعة من أصحابه ، وتياً بهيئة الروم في لباسه وهيئته وشعره وسلاحه متشبهاً بطريق من بطارقة الروم قد بعثه ملك الروم الى جبل اللدكاه في جماعة من الروم فغلب على ما هنالك ، فلما دنا من القرية خآف أصحابه فقال انظروني الى مطلع كوكب الصبح فدخل على قلعط وأصحابه وهم في كنيسة يأكلون ويشربون ، فضى الى مقدم الكنيسة فصنع ما يصنعه النصارى من الصلاة والقول عند دخولهم كنائسها ، ثم جلس الى قلعط فقال له : من أنت فانتى الى الرجل الذي يشبه به فصدقه ، وقال له : انما جئتك لما بلغني عن جهاد سحيم وما اجتمع عنده من العساكر للخروج اليك ، فأثبت لأخبرك به واكفيك امره ، اياك ان تناول من طعامهم . ثم قال لقلقط واصحابه : انكم لم تأتوا هنا للطعام والشراب . ثم قال لقلقط : ابعث معي عشرة من هؤلاء من أهل النجدة والبأس حتى نخرسك الليلة ، فاني كئيب ان تأتيتك بلية ، فبعث معه عشرة وأمروهم بطاعته ، فخرج بهم الى اتهم القرية وقام بهم على الطريق الذي يتخوفون ان يدخل عليهم منه فاقام حارساً منهم وامر أصحابه فناموا ، فأمر الحارس اذا هو اراد النوم ان يوقظ حارساً منهم وينام هو ، فخرس الاول ثم أقام الثاني ثم قام سحيم ثم قال : انا أحرس فتم فلما ثقل نومهم قتلهم بذبابة سيفه رجلاً بعد رجل ، فاضطرب التاسع فأصاب العاشر برجله فوثب الى سحيم فأخذه وصرعه الرومي وجلس على صدره وأخرج سحيم سكيناً ومقلها في نحره فقتله ، ثم اتى الكنيسة فقتل قلعط واصحابه رجلاً بعد رجل ، ثم خرج الى اصحابه العشرين فجاء بهم وأراهم قتله وقتل الحرس وقلقط ومن في الكنيسة ووضعوا سيوفهم فبين بقي فندر بهم من بقي منهم ، وخرجوا هرباً حتى اتوا سفنهم بوجه الحجر فركبوا ، ولحقوا بارض الروم ورجع انباط جبل لبنان الى قرام .

وذكر بعض المؤرخين : ان عمرو بن سعيد امنع على الملك (٨٩) وخرج ايضا قائد من قواد الضواحي في جبل اللكام واتبعه خلق كثير من الجراجمة والانباط وأبقى عبيد المسلمين وغيرهم ثم سار الى لبنان ، فلما فرغ عبد الملك من عمرو أرسل الى هذا الخارج عليه فبذل له كل جمعة الف دينار فركن الى ذلك ولم يفسد في البلاد ، ثم قتل الخارج ومن أعانه من الروم وقتل نفر من الجراجمة والانباط ونادى المناادي بالامان فيمن بقي منهم ففارقوا في قراهم وسد الخلل . وقال ابن القلاعي : ان الموارنة في دخول المسلمين الى الشام كانوا يسكنون جبل لبنان ، ويتولون الجبال والسواحل التي تجاورهم ، وبلادهم من حدود الشوف الى بلاد الدريب ، واميرهم يسكن قرية بسكنتا نزل الى البقاع في رجاله ونهبها وقتل كثيرين ولبث اياما في قب الياس فلما انتهى خبره الى عبد الملك بن مروان ارسل اليه هدية ولم يزل يكثر به حتى قتله وقتل كثيرين من عسكره ، واحرق الترى وابعد الموارنة من البقاع ، ولم تزل الحروب منذ ذلك الحين نائرة بين المسلمين والموارنة الى نحو ثلاثين سنة ثم ابنتى الموارنة حصنا فوق نهر الكاب وجرت عنده موقعة هائلة .

فلما : ان اللبنايين لقبوا بالمردة اي العصاة لمصيانهم امر ملك الروم في عدم التعرض للعرب . والمردة هم المعروفون في كتب العرب بالجراجمة نسبة لمدينة جرجومة كانت على جبل اللكام بالثغر الشامي عند معدن الزاج فيما بين بيتاس وبوقه قرب انطاكية وقد صالح الجراجمة المسلمين على ان يكونوا اعوانا لهم وعيوناً ومسالح في جبل اللكام . ودخل معهم من كان معهم في مدينتهم من تاجر واجير وتابع من الانباط من اهل القرى ومن معهم في هذا الصلح فسموا الرواديف لانهم تلوم ولبسوا منهم ، وكانوا يستقيمون للولاية مرة ويعوجون اخرى ، فيكاتبون الروم يمالئونهم على المسلمين . وخرج قوم منهم في حرب مصعب بن الزبير الى الشام مع قائد الروم ففارقوا في نواحي الشام ولا سيما لبنان فاضطر عبد الملك الى ان صالحهم على الف دينار في كل جمعة .

وصالح الروم على مال يؤديه اليهم ، لشغله عن محاربتهم وتخوفه ان يخرجوا الى الشام فيغلبوا عليه ، واقنطدى في صلحه بعمارة حين شغل بحرب اهل العراق فانه صالحهم على ان يؤدي اليهم مالا وارثين منهم رهنا وضعهم ببعلبك وذلك في سنة ٧٠ وبمدان

قتل قائد الروم نادى عبد الملك في سائر من ضوى اليه بالامان ، ففرق الجراجمه بقري حمص ودمشق ورجع اكثرهم الى مدينتهم بالكمام ، واتي الانباط قراهم فرجع العبيد الى مواليتهم . ولما كانت سنة ٨٩ اجتمع الجراجمه الى مدينتهم واتاهم قوم من الروم من قبل الاسكندرونة ومرسين فوجه الوليد بن عبد الملك اليهم مسلمة بن عبد الملك فاناخ عليهم في خلق فافتحمها ، على ان ينزلوا بحيث احبوا من الشام ، ويجري على كل امري . منهم ثمانية دنانير وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت وهو مديان من قمح وقسطان من زيت ، وعلى ان لا يكرهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم على ترك النصرانية ، وعلى ان يلبسوا لباس المسلمين ولا يؤخذ منهم ولا من اولادهم ونسائهم جزية ، وعلى ان يغزوا مع المسلمين فينزلوا اسلاب من يقلوننه مبارزة ، وعلى ان يؤخذ من تجاراتهم واموال موسريهم ما يؤخذ من اموال المسلمين ، فاخرب مدينتهم وانزلم فاسكنهم جبل الحوار وسبخ اللولوت (؟) وعمق تيزين وصار بعضهم الى حمص ونزل بعضهم بطريق الجرجومة في جماعة معه من انطاكية ثم هرب الى بلاد الروم . قال ياقوت : واستعان المسلمون بالجراجمه في مواطن كثيرة في ايام بني أمية وبني العباس واجروا عليهم الجرايات وعرفوا منهم المناصحة .

وفي سنة ٧٣ قتل عبد الملك جيش ابن الزبير في مكة وقتل هذا بعد ان كانت خلافته تسع سنين والفننة بينه وبين عبد الملك سبع سنين ، فبويع لعبد الملك بالحجاز واليمن وصفا له ملك مصر والشام والحجاز والعراق واليمن وغيرها . وغزا عبد الملك الروم غير مرة برأ وبحراً وصالحهم مرة لاضطراب البلدان عليه وحمل اليهم اموالاً كثيرة حتى انصرفوا عن المصيصة على ان تكون الهدنة عشر سنين ويجزج الروم الذين كانوا في جبل لبنان من آخر ايام معاوية ويؤدي عبد الملك في كل يوم الف دينار وفرساً وغلاماً وتكون قبرص مشتركة بين الروم والعرب .

وفي سنة ٧٥ وصل موريق وموريقان الى بلاد الشام وحملوا بجيشها على دير القديس مارون في جهات حماة وقتلوا منه خمسمائة راهب وهدموا بيانه ، ثم تحولوا من هناك الى قنسرين والعواصم فقتلوا الاهلين ونهبوا وخربا المساكن ولم يعفيا عن احد من اتباع

بطريرك الموارنة ثم انتهى جيشها الى طرابلس فنخضع لم اهل انكورة، ثم قوي الجلبليون على عسكر الروم ثم قتلوا اكثرهم وانهزم الباقون .

* * *

وتوفي عبد الملك في سنة ٨٦ بعد ان ولي الخلافة منذ قتل ابن
 عهد الوليد }
 ائزبر ثلاث عشرة سنة واربعة اشهر ، وكان من الحزم وسنة
 الصدر وجمال العلم والادب على جانب عظيم جداً ، وكان يعد من فقهاء المدينة وهو اول من
 حولت الدواوين في ايامه الى العربية ، وفي عهده نقشت الدنانير والدرهم بالعربية (٧٦)
 وكان قبل ذلك نقش الدنانير بالرومية ونقش الدرهم بالفارسية ، وهو اول من نهى عن
 الكلام بمحضرة الخلفاء وكان الناس قبل ذلك يراجعون ويعترضون عليهم . وبويع
 للوليد بن عبد الملك ووقعت في ايامه فتوحات كثيرة وارتاح الناس . وكانت ايامه
 من ابرك ايام بني أمية عمر الجوامع العظام وكتب الى جميع البلاد بهدم المساجد
 وازيادة فيها ، وتسهيل الطرق ، وبث في الامة روح العمران فكان الناس اذا التقوا في
 زمانه يسأل بعضهم بعضاً عن الابنية والعمارات في كل مكان ، وكان اول من عمل
 اعمالاً جسيمة ابتدعها في الصدقات والقربات ، هذا مع ان الخراج انكسر في ايامه فلم
 يحمل كثير شيء ، من العراق وغيره فاضطر الى احصاء اهل الديوان والقي منهم بشراً
 كثيراً بلغت عدتهم عشرين الفا ، واجرى الوليد على زمني اهل الشام كالجذمين
 والعميان وكساهم وامر لكل انسان منهم بمخادم ، واخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة ،
 وزاد الناس جميعاً في العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد اهل الشام بعد زيادة العشرات
 عشرة عشرة لاهل الشام خاصة ، وزاد من وفد اليه من اهل بيته في جوائزهم الضعف ،
 وكان وهو ولي عهد يطعم من وفد اليه من اهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن
 الحج بمنزل زيزاء في البلقاء ثلاثة ايام ويعاف دوابهم ، ولم يقل في شيء يسأله : لا فقيل
 له : ان في قولك أنظر عدة ما يقيم عليها الطالب فقالت : لا اعود لساني شيئاً لم
 اعتده وقال :

ضمنت لكم ان لم تعقني عوائق بان سماء للضر عنكم سنقلع
 سيوشك الحاق معاً وزيادة واعطية .ني .عليكم تبرع

محرّمك ديوانك وعطاؤك به يكتب الكتاب شهراً وتطبع
وقد بلغ بنو أمية في عهد الوليد أقصى درجات عزمهم واعتز بحكمه الاسلام والمسلمون ،
ففتحت البلاد ونقلت جيوشه في بلاد الترك والروم والهند ، وفتحت الاندلس وجاء
فاتها موسى بن نصير الي دمشق يضع بين يدي الخليفة الاموال والجواهر ، ويعرض
ابناء ملوك البربر والجزائر والروم والاسبان والاfrican بلوسون تيجانهم ، ويقف ابناء
ملوك اوربا في باب الخليفة الاموي بحالة الأسر .

وبعث الوليد اخاه مسلمة لغزو الروم فقتل منهم اربعين الف رجل وغزا قلبية
وقم فيها حصوناً كثيرة بالامان . وحمل اهلها الى الشام وفتح امسية وحصوناً كثيرة .
وكان قدمهم بالاقامة في القدس .

سليمان بن عبد الملك } ونوفي الوليد سنة ٩٦ فبيع اخوه سليمان بن عبد الملك سابعهم
البلقاء فاتي القدس وانه الوفود بالبيعة ، فلم ير الناس وفادة احسن منها ، جلس في قبة
صحن المسجد وقد بسطت البسط لديه والنارق عليها والكراسي ، فيجلس ويأذن للناس
فيجلس الناس على الكراسي والوسائد ، والى جانبه الاموال والكساري وآنية الذهب
والفضة والعداوين ، فيدخل وفد الجند ويقدم صاحبهم فيتكلم عنهم وعمم قدموا من
عنده ويقول : ان من حال جبتنا كذا ومن حاجتهم كذا وكذا وما يصلحهم كذا فيأمر
سليمان بذلك كله ثم يقبل على حاجته فان سألته زيادة في عطائه وبلاغاً في شرفه ، امر
الكلب فلما يطلب احد شيئاً الا نؤله مراره (الصفيدي) .

رد المظالم وعزل عمال الحجاج واخرج من كان في سجن العراق ، واعتق سبعين
الف مملوك ومملوكة وكسام ، وكانت ايامه ذات فذوح متوالية ، جاء الخبر من الروم الى
سليمان بن عبد الملك ان الروم خرجت على ساحل حمص فسبت امرأة وجماعة فغضب
سليمان وقال : والله لا غزونيهم غزوة افتتحها القسطنطينية اواموت دون ذلك ، فاغزى
جماعة اهل السلم والجزيرة والموصل في البر في نحو مائة وعشرين الفاً ، واغزى اهل مصر
وأفريقية في البحر في الف مركب وعلى جماعة الناس مسلمة بن عبد الملك ، واغزى دارد

ابن سليمان في جماعة من أهل بيته وقدم سليمان من القدس الى دمشق ومضى حتى نزل مرج دابق فامضى البعث وأقام بالمرج . واتخذ ابن عمه عمر بن عبدالعزيز وزيراً وأوصى له سليمان بالخلافة فسمي سليمان مفتاح الخير لاستخلافه عمر بن عبد العزيز .

عهد عمر بن عبدالعزيز / لما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز اوائل سنة
وسيرته / تسع وتسعين أبطل سب علي رضي الله عنه على
المنابر ، وكان من العادة سبه عقيب كل خطبة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان الذي
قدم الخطبة على صلاة الجمعة لان الناس كانوا يكرهون سماع اللعن ، فكاتبوا اذا أدوا
الصلاة خرجوا من المسجد . أراد معاوية من ذلك كما قال ابن أبي الحديد :
« تشييد الملك وتأكيد ما فعله الاسلاف ، وان يقر في انفس الناس ان بني هاشم
لا حظ لهم في هذا الامر ، وان سيدهم الذي به يصلون ، ويفخره بفخرون ، وهذا حاله وهذا
مقداره فيكون من ينتمي اليه ويدلي به عن الامر أبعد ، وعن الوصول اليه
أشحط واتزح » . على ان الطالبين كانوا يقنون عقيب كل صلاة وبلصوت
ايضاً بني أمية .

وكتب ان عبدالعزيز الى نوابه بابطال السب وكانوا يقولون : لعن الله ابا تراب .
ولما خطب يوم الجمعة أبدل السب في الخطبة بقوله تعالى : « ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .
وقيل بل جعل مكان ذلك قوله تعالى : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء
ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » . فاستمر
الخطباء على قراءتها الى هذا اليوم وشكر سعيه كل عاقل . ورد عمر بن عبدالعزيز
المظالم وسار سيرة عمر بن الخطاب جده لأمه ، واستعمل اصالح من قدر عليه ، فسلكت
عماله طريقته ، واستدعى الجيش الاسلامي من حصار القسطنطينية ساعة ولي الخلافة
حقناً لدماء المسلمين ، وكان قد بلغ منهم الجهد ، ولم يغفل مع ذلك عن غزو الروم عند
الاقضاء الشديد . ولو طال أجله لاجل المسلمين عن الاندلس لانه رأى مقامهم فيها
غير طبيعي لاحاطة الاعداء بهم .

والفضل في العهد لعمر بن عبد العزيز يرجع الى سليمان بن عبد الملك الذي عرف بمحكته ان ابن عبد العزيز اعدل رجل واعقل رجل في بني أمية ، فعهد اليه بالخلافة فأحسن للامة واي احسان، وحنق عليه بعض المتلاعبين من اهل بيته فسقوه السم فيما قيل فهلك سنة ١٠١ وخلافته سننان وخمسة اشهر .

وكانت سيرة عمر بن عبد العزيز مضرب الامثال في القافية والدانية وقودة الساف للخاف في كل عصر ومصر . قال عمرو بن ميمون : كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة . بعث عمر بن عبد العزيز وفداً الى ملك الروم في امر من مصالح المسلمين وحق بدعوه اليه ، فلما دخلوا اذا ترجمان ينسر عليه ، وهو جالس على سرير ملكه والتاج على رأسه ، والبطارقة عن يمينه وشمانه ، والاس على مراتبهم بين يديه ، فأدى اليه ما قصدوا له فتلقاهم بجميل واجلبهم باحسن جواب وانصرفوا عنه في ذلك اليوم ، فلما كان في غداة غد اتاهم رسوله فدخلوا عليه فاذا هو قد نزل عن سريره ووضع التاج عن رأسه وقد تغيرت صناته التي شاهدهه عليها كأنه في مصيبة فقال : هل تدرون لماذا دعوتكم ؟ قالوا لا : قال ان صاحب مسلختي التي نلي العرب جاءني كتابه في هذا الوقت ان ملك العرب الرجل الصالح قد مات ، فما امكنوا انفسهم ان يكوا فقال : لا تبكوا له وابكوا لانفسكم ما بدا لكم . فانه قد خرج الى خير مما خاف . قد كان يحاف ان يدع طاعة لله فلم يكن الله ليجمع عليه مخافة الدنيا والآخرة . لقد بلغني من بره وفضله وصدقته ما لو كان احد بعدي عيسى يحيي الموتى انه يحيي الموتى ، ولقد كانت تأتيني اخباره باطناً وظاهراً فلا اجد امره مع ربه الا واحداً ، بل باطنه اشد حين خلوته بطاعة مولاه . ولم اعجب لهذا الراهب الذي قد ترك الدنيا وعبد ربه على رأس صومعة ، ولكنني عجبت لهذا الراهب الذي صارت الدنيا تحت قدمه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب : ان اهل الخير لا يقون مع اهل الشر الا قليلاً .

يزيد بن عبد الملك وهشام . / تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك تاسع الامويين ،
والوليد بن يزيد) وقد ألقب الوليد وسليمان ويزيد وهشام ابنا
عبد الملك بالاكبش الاربعة ، ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم اربعة اخوة

الاهولاء . فعزل يزيد عمال عمر بن عبدالعزيز جميعاً واعاد سب عليّ على المنابر، ودام ذلك الى انقضاء امر بني مروان ، يربو عليها الصغير ويهرم الكبير، ولم يكن يزيد بن الوليد بالخليفة الذي تحمده سيرته كتهماً، وتوفي بعد ان تولى الخلافة اربع سنين وشهراً وعهد بها الى اخيه هشام وهو عاشرهم، كان هشام يب جمع المال وعمارة الارض واصطناع الرجال وتقوية الثغور واقامة البرك والتفني في سربق مكة وغير ذلك . وكان لا يدخل بيت مائه مائل حتى يشهد اربعون قسامة لقد اخذ من حقه واعطى لكل ذي حق حقه . وظور في ايامه بخراسان ساجان بن كثير الخزاعي واصحابه يدعون الى بني هاشم سنة ١١١ فكثرت دعوتهم وكثر من يجيبهم وارادوا خلع بني أمية وبيعة بني دنانير ، فقاتلهم وقاتل الخوارج على ملكه في اقطار أخرى ، وكان قد بلغ ملك بني أمية بلاد فارس والسند وشمالي افريقية والاندلس . وكان هشام من احزم بني أمية غزاه الروم مرات واسر قسطنطين ملكهم وحارب الترك كما حاربهم من قبله من الملوك وتوفي سنة ١٢٥ فبويع بعده للوليد بن يزيد فاضطربت البلاد في عهده لانه كان مهملاً قليل العناية باطرافه وقيل انه كان صاحب ملام . « وضم ذلك الى ما ارتكبه من اغصاب اكابر اهله والاساءة اليهم ونفيرهم فاجتمعوا عليه مع اعيان رعيته وهجموا عليه وقتلوه » . فقتل بعد سنة وخمسة اشهر من ولايته سنة ١٢١ « وكانت نتاجته .ه . فعال انكرها الناس عليه فدب يزيد بن الوليد في الدعا الى خلعها فأجابته امين بأمرها وتاضده ووثبوا معه على عامل الوليد بمشقة فاجابوه وابعوا يزيد ثم ساروا الى الوليد فقتلوه » . وكان اجتمع من باقطار الشام من البانية فخرج اليهم الوليد بمضر وانزلوا ، وانخت البانية القتال في مضر فانهمزمت مضر واخذوا نحو دمشق ، ودخل الوليد نصره فتحصن فيه فابعوا يزيد بن الوليد وابعوه اشرف المضر بين طوعاً وكرهاً وخلعوا الوليد بن يزيد فلبث مخلوعاً اياماً كثيرة وهو خلع بني أمية ثم قتله .

وفي سنة ١٢٦ اضطرب امر بني أمية وهاجت الفتنه فكان من ذلك وثوب سليمان ابن هشام بن عبد الملك بعد نيل الوليد بعمان ، وكان قد حبسه الوليد بها ، فخرج من الحبس واخذ ما كان بها من الاموال واقبل الى دمشق . وفي هذه السنة اتمر الوليد ابن يزيد على جيوش البحر ، الاسود بن بلال المحاذي وسيره الى قبرص ليغير اهلها بين

المسير الى الشام او الى الروم، فاخترت طائفة جوار المسلمين فسيرهم الى الشام، واختر
آخرون الروم فسيرهم اليهم واسكنهم الماحور على ساحل البحر بين صور وصيدا .

يزيد بن الوليد) وكان من امر يزيد بن الوليد وهو ثاني عشر خلفائهم ان
نقص الناس من عطايتهم فسمي يزيد الناقص ، فاضطربت
عليه البلدان ورجما كان ذلك من العوامل الكبيرة في قتله ، ولما قتل الوليد خرج اهل
حمص واغلقوا ابواب المدينة واقاموا النوائح والبواكي عليه وطلبوا بدمه ، وقتلوا سره ان
ابن عبدالله بن عبد الملك وكان عامل الوليد على حمص وهو من سادة بني مروان نبلاً
وكرماً وعقلاً وجمالاً ، ولما جمع المحصيون على محاربة يزيد بدمشق جيز جيشاً فانهم قربوا
من ثنية العقاب فانهمز المحصيون واستولوا على المدينة واخذ البيعة عليهم . قال الديقوري
معللاً مرفقاً المحصين : ان المضرية تلاومت فيما كن من غلبة اليمانية عليها ، وقتلهم اثني
الوليد بن يزيد فذب بعضهم الى بعض ، واجتمعوا من اقطار الارض ، وساروا حتى
واقوا مدينة حمص وبها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وكان يومئذ شيخ بني أمية
وكبيرهم وكان ذا ادب كامل ، ورأي فاضل ، فاستخرجوه من داره وابعوه وقالوا
له : انت شيخ قومك وسيدهم فاطلب بثأر ابن عمك الوليد بن يزيد فاستعد مروان
بجنوده في تميم وقيس وكنانة وسائر قبائل مضر وسار نحو مدينة دمشق .

ولما بويع يزيد بن الوليد خطب وذكر الوليد بن يزيد فقال على رواية ابن الطقطقي
ان سيرته كانت خبيثة وكان منتهكاً لحرمة الله فقتلته ثم قال : ايها الناس انكم
علي ان لا اضع حجراً فوق حجر ، ولا لبنه (على لبنه) ، ولا اكري نهراً ، ولا اكز
مالاً ، ولا انتقل مالاً من بلد الى بلد حتى اسد ثغره ، وخصاصة اهله بما يغنيهم ، فافضل
منه ننتله الى البلد الآخر الذي يليه ، ولا اغلق بابي دونكم ، ولكم اعطياتكم في
كل سنة ، وارزاقكم كل شير ، حتى يكون اقصاكم كادناكم ، فان وفيت انكم ما قلت
فعليكم بالسمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وان لم اف فلن ان تخلموني ، الا ان اتوب ،
وان كنتم تعلمون ان احداً ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه ما قد بذلت انكم ،
واردتم ان تبايعوه ، فانا اول من يبايعه معكم ، انه لا طاعة لمخلوق ، في معصية الخالق .

وخرج على يزيد بن الوليد بشر بن الوليد بقدرسين وعمر بن الوليد بالأردن ويزيد بن سليمان بفلسطين، ووجه الى الأردن اخاه ابراهيم ولي عهده وقد امروا عليهم محمد بن عبد الملك فاستال النائر بن بالمال فنفرقوا، وكانت ولايته خمسة اشهر والفننة في جميع المملكة عامة، وقتل اهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي وكانوا انقبوه واليا على جندهم، ولما توفي يزيد ابن الوليد ملك ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك فامتنع اهل حمص من البيعة فجاءهم الجند من دمشق وحاصروهم .

* * *

وقدم مروان بن محمد بن مروان من ارمينية خالماً ليزيد مروان بن محمد) ابن الوليد فلما صار بجحراف دعا الى نفسه فبايع له اهل الجزيرة سرّاً واقبل في جموع من اهل الجزيرة، فلقني بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك معسكرين يجلب فهزم عسكر بهما واسرهما، ثم مضى حتى اتى حمص وبلغ ابراهيم الخبر فوجه اليه سليمان بن هشام، وكان سليمان في مائة وعشرين الفاً، فلقني مروان وكان في ثمانين الفاً ومن معه من اهل الجزيرة وفسرين وحمص فالتقوا بعين الجر من عمل دمشق فتناوشوا القتال (١٢٧) وانصرف بعضهم عن بعض فلما كان من الغد انهزم سليمان بن هشام واصحابه فلحقوا بابراهيم واقبل مروان حتى نزل في دير العالية فبايع له اهل دمشق ودخلها فخلع ابراهيم نفسه وابع لروان . وقد قتل في وقائع عين جرد وما تقدمها وتأخر عنها ثمانية عشر الف مقاتل . وروى الطبري انه لما قيل قد دخلت خيل مروان دمشق هرب ابراهيم بن الوليد وتغيب، فانهب سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجند، وخرج من المدينة، وثار من فيها من موالي الوليد بن يزيد الى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية، ودخل مروان دمشق فنزل عالية .

ولما ملك مروان بن محمد كتب الى عمال البلدان فأنه كتبهم بالسمع والطاعة، ولم يلبث الا ثلاثة اشهر حتى اتاه الخبر ان اهل حمص مقيمون على المعصية، فسار اليهم فحاصروهم حتى فتح المدينة وقاتل النائر بن وقتل خمسمائة او ستمائة فصلبوا حول مدينة حمص، وهدم من حائطها نحواً من غلوة . وثار اهل القوطة الى دمشق فحاصروا اميرها

زامل بن عمرو فقاتلهم جيش مروان وخرج ثابت بن نعيم الجذامي بناحية الأردن فوجه اليه جيشاً . وكان مروان عند دخوله دمشق ترك لاهل كل جنود من أجناس الشام ان يبخاروا عمالم فوق اختيارهم على هؤلاء العمال الذين ناروا بهم بعد على مروان ، ومن نار سليمان بن هشام في اهل حمص وفسرين وقصد حمص فحضرها فبايعه اصحابه بالخلافة وخرجوا فاصدين مروان وكنوا له في طريقه في قرية تعرف بتل مير من عمل معرة النعمان فالنتى العسكران وقتل منها خلق كثير فانزى سليمان الى حمص ، فجاء مروان اليها وحاصرها ثمانية عشرة اشهر ثم صالحها وتسلمها ، وكان سليمان ابن هشام في سبعين الفاً وقتل زهاء ثلاثين الفاً .

* * *

ادبار الأمويين } وما زالت الحال على ذلك حتى استقامت لمروان التام كلها
 ثم قوي امر ابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية
 بخراسان واذهر الدعوة علناً لابي هاشم وقتل ابو مسلم عسكراً موبي ، ولما بايعوا بالخلافة
 في الكوفة لابي العباس سرأ وجه عمه عبدالله بن علي لقتال مروان ، وكان مع مروان
 مئة الف مقاتل ولا يكون مع عبدالله بن علي الا الاقل من ذلك ، فلقبه بالزاب من
 قرب الموصل فخار به عبدالله بن علي فبزمه ثم لم يزل في اثره وهو منهزم لا يلوي على
 شيء حتى اخرجته الى الجزيرة ثم اخرجته من الجزيرة الى الشام ، فجعل مروان لا يمر بجنود من
 اجناد الشام الا انتهبوه ، فلما اجتاز بفسرين والحاضر حاضر حلب اوقعت نونخ القاطنة
 بفسرين بساقته ووثب اهل حمص وقالوا : مرعوب منهزم فاتبعوه بعدما رحل عنهم
 فلحقوه على اميال فنادى فابوا الا مكاثرتهم وقتلوه ، فنشب القتال واثار كينين من
 خلفهم وكان قد نصبها فبزمهم وقتلهم خيله .

وسار مروان الى دمشق فوثب به الحرث بن عبدالرحمن الحرثي ، ثم اتى الأردن
 فوثب به هاشم بن عمر العنسي والتمد مجيمون اي اليمانيون جميعاً ، ثم مر بفلسطين فوثب
 به الحكم بن ضبعان بن روح بن زبعا لما رأوا من ادبار الامر عنه . قال الدينوري :
 جعل مروان يستقري مدن الشام فيستنهم فيروغون عنه ويهابون الحرب فلم يسرمعه
 منهم الا قليل . قالوا : ولما صار مروان الى دمشق وهو مضمر ان يتحصن بها لولا ما

انتبه اهله ووثب عليه من بها من قيس فدخلها عبدالله بن علي العباسي عنوة ، ومضى مروان الى فلسطين هارباً حتى جاء مصر فقاتل مروان في قرية بوضير في الصعيد حتى قتل وذلك في ذي الحجة ١٣٢ ، وبموته انقرض ملك بني أمية في المشرق وهو الرابع عشر من خلفائهم . وكان من رأيه ان يقطع الدرب و ينزل بعض حصون الروم ويكتب ملكها ويجمع عليه رجاله وشيعته من البلاد الى ان يرثي في امره ، ولكن حُمَّ القضاء ولا راداً لحكمه .

* * *

دولة بني مروان () انقضت دولة بني مروان وكانت دولة عربية صرفة سارت وحسناتها () مع المدينة اشواطاً مع اشتغالها بالفتح وقيام الخارجين عليها ولم يبتلوا في كل دور غزوا الروم في بلادهم ، وكانوا على الاكثر يسبون ويقتلون ويغتمون ويخربون حصونها ، وكان الروم بغزون الشام وآسيا الصغرى وقد يصلون الى انطاكية ودلوك (مرعش) . وكان اكثر ملوك الامو بين من الحزم والعلم وحسن السياسة والادارة على جانب عظيم ، والسواس منهم معاوية وعبد الملك وحشام ، وايس كلوليد في باب الاضطلاع بما يعمر البلاد ، ولا مثل عمر بن عبدالعزيز في تطهير المملكة من المظالم واحياء سنن العدل والمراحم ، ولا كسليمان بعد النظر ، وما منهم الا العالم والشاعر والخطيب والسياسي ، وقد فتحت عليهم الاقطار ففتشوا فيها اللغة والدين على ايسر سبيل ، وهذا مما يوفق الي مثله غيرهم ووضعوا اسس النظام في الممالك التي دوخوها وعرفوا ما يصلحها ، وكانت ادارتهم اشبه باللامركزية في عهدنا يعيشون بالعامل فيحل المسائل باجتهاده على رأي اهل الشرف والكنانة في القطر الذي يتولاه ، ولا يفاوض مقر الخلافة الا في عويص الامور ، وقد نصب علم الامو بين الابيض في المشارق والمغرب ، نصب في بكين عاصمة الصين كما نصب في بواتيه من جنوبي فرنسا ، هذا وقد كثرت المخلصون لدولتهم الى اواخر ايامهم وقل المنقضون عليهم المتوثبون على خلافتهم .

للدول كما للافراد اعمار طيمنية . وملك بني أمية لم يطل اكثر من الف شهر كاملة لانهم ملكوا تسعين سنة واحد عشر شهراً وثلاثة عشر يوماً يوضع من

ذلك ايام الحسن بن علي وهي خمسة اشهر وعشرة ايام ، و ايام عبد الله الزبير الى الوقت الذي قتل فيه وهي سبع سنين وعشرة اشهر وثلاثة ايام فيصير الباقي بعد ذلك ثلاثاً وثمانين سنة واربعة اشهر .

ذهب بنو أمية بالفضل في جمع الشمل ، ولولا قيامهم هذا القيام المحمود الممزوج بالانتباه لكل ما يعلي شأن دولتهم ، لانتثر هذا العقد اكثر مما انتثر ، ولما ثبتت الدولة الاسلامية هذا الثبات الذي استغرب منه الخببر والخبير . قال المقرئزي : اظهر الرسول بني أمية لجميع الناس بتوليتم اعماله مما فتح الله عليه من البلاد ، فقوي ظنهم وانبسط رجأؤهم وامتد في الولاية املهم ، وضعف امل بني هاشم وانقبض رجأؤهم وقصر املهم . قال : وقد ظهر لي ان ولاية رسول الله بني أمية الاعمال كانت اشارة منه الى ان الامر سيصير اليهم .

وطد مؤسس ملك الأمو وبين السلطان بالشام وبيجد من اهله قاتل هو واخلافه ، وقد اشتهر جند الشام بالطاعة حتى ان علي بن ابي طالب تمنى لو بقايض على عشرة من جنده بواحد من جند معاوية ، فقال في احدى خطبه : « لوددت والله ان معاوية صار في بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلاً منهم » . فتحت هذه الفتوح بنفس قوية وعقول راجحة وسياسة حازمة وقاتل ، زعمأؤهم وابتأؤهم بل بناتهم و نساؤهم حتى فتحوا الشام . وكان من جملة توفيق معاوية انه عرف طبائع هذا القطر وخصائصه من ابيه وآله وكانت لم به علائق كثيرة في الجاهلية ، ثم درس احواله بنفسه فكان يعرف قوته معرفة حقيقية ، ولذلك لم ينبل منه علي بن ابي طالب منلاً لأنه كان اخذ لهذا الامر عدته وتدبيره وديره . اخذ بأراء اشراف القوم والنزول على حكم وفود البلاد وكانت وفودهم يشبه ما يسميه الافرنج بمجالس الولايات (Les états-Généraux) ، وكان لمعاوية وآل بيته مجالس يعقدونها في المسجد الجامع تدور حول سياسة الامة في الاكثر ، وخطاب الخليفة يوم الجمعة بمثابة ما نسميه في عرف سياسة اليوم خطاب العرش ، ومجالسهم اشبه بمجالس النواب والشيوخ والولايات ، فلم يكونوا الى الاستبداد بالرأي في معظم حالاتهم . وفي الحق ان معاوية بن ابي سفيان اورث الاسلام مجدداً ، واولى العرب عزرة

ومنعة ، وكان العربي حيث نزل من الارض محترماً ، مرعي الجانب آمناً على نفسه وحقه ، ولم يوفق الى ذلك الا بحسن السياسة وصائب التدبير . ذكر المسعودي ، وهو من المخرفين عن بني أمية ، ان المسلمين غزوا في أيام معاوية فأمر جماعة منهم ، فأوقفوا بين يدي الملك فتكلم بعض أسارى المسلمين ، فدنا منه بعض البطارقة ممن كان واقفاً بين يدي الملك فلطم حرّاً وجهه فألمه ، وكان رجلاً من قریش فصاح : وإسلاماه ، اين انت عنا يا معاوية اذ أهممتنا ، وضيمت ثغورنا ، وحكمت العدو في ديارنا ودمائنا واعراضنا . ففني الخبر الى معاوية وغضب وأقام الفداء بين المسلمين والروم وفادى بذلك الرجل ، فلما صار الى دار الاسلام دعاه فبرّه واحسن اليه . وبعث الى رجل من ساحل دمشق من مدينة صور وكان به عارفاً كثير الغزوات ، في البحر ، صمّل^١ من الرجال مرطان بالرومية ، واعطاه كل ما طلب ، وهياله مركباً واغزاه اليه ان يتظاير بانه يتاجر مع روم القسطنطينية وما زال على ذلك سنين حتى أسر الصوري البطريق الرومي الذي كان لطم القرشي واتي به الى معاوية في قصة طويلة . فقال معاوية : علي بالرجل القرشي فأتي به وقد حضر خواص المسلمين وقال له : قد وانص من هذا البطريق الذي لطم وجهك على بساط معظم الروم فانالم نضيمك ولا ابجنا دمك وعرضك ، فقام القرشي ودنا من البطريق فقال له معاوية : انظر لا نعد ما جرى عليك منه . واتقلب القرشي على يدي معاوية وأطرافه يقبلها وقال : ما أضاعك من سودك ، ولا خاب فيك امل من أمّلك ، انت ملك لا تستضام ، تمنع حماك ، وتصون رعيتك . واحسن معاوية الى البطريق وحمل معه هدايا الى الملك وقال له : ارجع الى مالك وقل له : تركت ملك العرب يقيم الحدود على بساطك ، ويقتصر لرعيته في دار مملكتك وسلطانك ، فقال ملك الروم : هذا مكر الملوک وادعي العرب . ولهذا قدمته العرب عليها فساس امورها والله لو هم باخذي اتمت له الحيلة علي .

* * *

(١) الصمّل - كهُتُل - الرجل الشديد الخلق العظيم . والرطانة (بالفتح ويكسر) الكلام بالمعجمة ورطن له رطانة ورطنه كله بها وتراطنوا تكلموا بها والمرطان الذي يتكلم بالمعجمة .

قواد الأمويين } نشأ للأموهين رجال عظام في الحرب والسياسة والحكم ،
 مثل موسى بن نصير وطارق بن زياد وقتيبة بن مسلم
 وعقبة بن نافع الفهري وُسَير بن ابرطاة وشريحيل بن السمط وحبيب بن مسلمة
 ومسلمة بن عبد الملك واسد بن عبد الله وعبد الرحمن بن ام الحكم الثقفي ومروان بن
 محمد ومالك بن عبد الله الذي كان اميراً على الجيوش في غزوة الروم اربعين سنة ايام
 معاوية وقبلها وايام يزيد وايام عبد الملك بن مروان ولما مات كسر على قبره اربعون
 لواء لكل سنة غزاها لواء . وروح بن زنباع الذي قال فيه عبد الملك انه جمع طاعة
 اهل الشام ودهاء اهل العراق وفقه اهل الحجاز ، منهم زفر بن الحرث الكلابي
 والجراح بن عبد الله الحكمي وحُبَيْش بن دلجة القيني وحسان بن مالك بن بحدل
 الكلبي وميمون بن ميران وخالد بن عبد الله بن خالد بن اسيد وعمر بن عبيد الله بن
 معمر وخالد بن عبد الله القسري وعثمان بن الوليد ويزيد بن المهلب والمهلب بن ابي
 صفرة وعمرو بن هبيرة الفزاري وعبد الله بن ابي بكره والقاسم بن محمد الثقفي والعباس
 ابن الوليد ومروان بن الوليد وخالد بن كيسان وعبد الله بن عقبة بن نافع ومعاوية بن
 هشام وعبد الرحمن بن معاوية بن حديج واسحق بن مسلم العَقَلِي ونصر بن سيار
 وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ومعاوية بن حديج واسحق بن مسلم العقيلي ونصر بن
 سيار وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ومعاوية بن حديج وعبد الرحمن بن حبيب وزهير
 ابن قيس البهلولي وحسان بن النعمان وميسرة بن مسروق العبسي وعبد الله بن قيس
 ومالك بن هبيرة السكوني وفضالة بن عبيد الانصاري وسفيان بن عوف وعبد الله
 ابن مسعدة الفزاري وجنادة بن أمية الازدي ومحمد بن مالك وعمرو بن مرة
 الجهني وعقمة بن يزيد الانصاري والضحاك بن قيس ويزيد بن شجرة
 وعياض بن الحرث والحارث بن الحرث الزُبَيْدي وزمل بن عمر العذري
 وابوالاعور السلي عمرو بن سفيان وسبيع بن يزيد الانصاري وعتبة بن ابي سفيان ويزيد
 ابن الحر العبسي وعاقمة بن حكيم الكنتاني ويوسف بن عمر ومحمد بن القاسم الثقفي
 ومالك بن عبد الله الخثعمي وحمزة بن مالك الهمداني وغيرهم .

. دوّخ هؤلاء القواد العظام البلاد بجيوش قليلة على بعد المواصلات مع مركز
 الخلافة وفهموا الامصار والاقطار بهمة لم تعرف الملل ، وادخلوا فيها نظامهم وعاداتهم

ونقايلدهم، وأداروها ادارة حسنة في الجملة، فامتد ملك الأمويين كما قال لحد كتاب الافرنج من افاصي جبال حملايا في الشرق الى اداني جبال الالب في الغرب، ثم انحلت هذه المملكة المساءية تقريباً لمملكة قياصرة رومية على وجه غريب من السرعة . وكان مروان بن محمد الجعدي الذي لقب بالمار لصره على الحرب من امثل خلفائهم وكان « سيد الرأي ميمون النقية حازماً فليأظهرت السوادة ولقيهم كان ما يدبر امراً الاكاث فيه خلل » . فما السر يا ترى في انحلال هذا الملك الضخم والقوة تدعمه، وفيه افراد افذاذ مثلوا النبوغ العربي اجمل تمثيل لا تستطيع دولة من دول الحضارة الحديثة ان تقوم باحسن منه مع اعتبار الفرق بين عصر الدولة الاموية وهذا العصر ؟ . ونظن ان السر في ذلك ان بني العباس كانوا قد اجمعوا امرهم وهياؤوا اسباب قيام دولتهم على صورة متينة جداً، وكان منشأوها من خراسان والعراق وهما القطران اللذان فحش القتل فيها الحجاج بن يوسف الثقفي حتى قتل من اهل العراق مئة وعشرين الفاً مدة حكمه، واشتمأز الناس من بني أمية بسببه وسبب من يستهلون من قوادهم اوراق الدماء فكثرت الاحقاد والحفائظ ونفدت زيات الامة واختلف الأمويون بينهم واصبحوا في هرج يقتل بعضهم بعضاً .

وقد نسب الحضري اسباب سقوط دولة بني أمية الى استيلائهم على الخلافة بالقز والغلبة لا عن رضا ومشورة، فان معاوية بن ابي سفيان استعان باهل الشام الذين كانوا شيعته على من خالفه من اهل العراق والحجاز حتى تم له الامر ورضي الناس عنه، والقلوب منطوية على ما فيها من كراهية ولايته، وكان في الامة فريقان لا يرضيان عنه: الخوارج وشيعة بني هاشم، واستعمل ضرور السياسة مع رؤساء العشائر وكبار الشيعة فالان شكيمتهم وأسكن ثورتهم . ومن رأيه ان معاوية زل زلة كبرى قلت من قيمة عمله وهي اهتمامه بالفض من علي بن ابي طالب على منابر الامصار هو وامراؤه حتى تأججت النيران في صدور شيعته وان عدة عيوب كانت سبباً في القضاء عليهم . الاول: مسألة ولاية العهد، فان بني مروان اعتادوا ان يولوا عهدهم اثنين بلي احدهما الآخر فاشق ببتهم على نفسه . الثاني: احياء العصبية الجاهلية التي جاء الاسلام مشدداً النبي عليها . الثالث: تحكيم بعض الخلفاء من بني

أمية أهواءهم في امر قوادهم وذوي الاثر الصالح من شجعان دولتهم ، ففسدت قلوب الناس حتى كانوا ينظرون من يجمع كتبهم على الانتقام من بني أمية .
 سُئل بعض شيوخ بني أمية عقيب زوال الملك عنهم ، ما كان سبب زوال ملككم ؟ فقال : جار عمالنا على رعيننا فتمنوا الراحة منا ، وتحومل على اهل خراجنا فجلوا عنا ، وخرت ضياعنا فغربت بهوت اموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا ، وامضوا اموراً دوننا اخفوا علمها عنا ، وأنأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا ، واستدعاهم عدونا فظافروه على حربنا ، وطلبنا اعداؤنا فجزنا عنهم لقلة انصارنا ، وكان استنثار الاخبار عنا من اءكد اسباب زوال ملكنا .

قد يعتبر بعض من لم يساعدهم الوقت ان يحصوا الحقائق ليصلوا الى لباب التاريخ الصحيح فيأخذون روايات بعض المؤرخين الذين كتبوا بعوامل المذاهب السياسية او نقلوا الاخبار على علاقتها كما رأوها في مصادر ضعيفة واخذوها قضية . ساحة ، من ذلك الطعن في اخلاق يزيد بن معاوية فان الروايات المتقولة في هذا الشأن لو نُقدت نقداً صحيحاً لرأبنا انها مدخولة على الاكثر امامها اهواء الخصماء ، ولطالما رأبنا الناس اذا ارادوا النيل من احد العظماء يتخذعون باقوال يلقها عليهم خصوصهم ، وربما نسبوا لبعضهم الفسق والفجور واكل اموال الناس بالباطل وهم من اكل الناس اخلاقاً وفضلاً . اذا سلمنا ان معاوية اخطأ بحسب ما يقوله الفريق المعتدل بتوسيده الخلافة الى يزيد وفي العرب يومئذ من هم افضل منه فانه كان يعتقد ان ابنه يصلح للخلافة وان قوة الامة مجتمعة على آل ابي سفيان . والدليل انه كان اذا عرض لمعاوية مشكل من المشكلات بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها واستسهال معضلاتها ، فلم يكن يزيد اذاً بالصورة التي صورها بها اعداؤه . خطب معاوية فقال : « اللهم ان كنت انما عهدت ليزيد لما رأيت من فضله فبلغه ما أملت وأعنه ، وان كنت انما حملني حب الوالد لولده وانه ليس لما صنعت به اهلاً فأقبضه قبل ان يبلغ ذلك » . قال الطبري : وهو المؤرخ الذي لم تشب رواياته شائبة ، ان يزيد كان صاحب رسالة اي كسل وتهاون وانه كف عن كثير مما كان يصنع اي لما وسدت اليه الخلافة . وقال غيره : ان يزيداً كان يحب الصيد ويربي القروذ والكلاب مما عدوه عليه . وهذا

لا يقدح في العدالة بل ربما كان مما يعين على الجهاد لترويضه الجسم والذهن ، اما الفسق والنموجور فلم يثبت من طريق مؤتمن ، فاذا فرضنا ان معاوية اخطأ في اعطائه ولاية العهد لابنه بطرق استعمل فيها بعض الشدة ، وان يزيداً ارتكب عماله من قتل آل بيت الرسول امرأ نكراً فلا يجوز من ذلك الطعن بشخصيات كبيرة ، والعقل يستبعد التصديق بما قاله خصوم بني أمية عمم ، ولو كان يزيد شريفاً خميراً كما يزعمون او يرتكب أموراً لا تسمع بها الشريعة ولا تليق بشأن الملك والدين غض ، واصحاب اصحاب رسول الله احياء واعدائهم من العلويين بالمرصاد ، لقتلته أمرته نفسها كما فعلت بالوليد بن يزيد بعد ستين سنة من مهلك يزيد بن معاوية . والغالب ان يزيد ادخل في العادات كآبئه اشياء انكرها بعضهم ووجدوا السبيل الى الطعن فيه وكان تعلمها من عشرته بعض ابناء الروم في الشام .

سئل عبد الله بن عباس عن معاوية فقال : سما بشيء أسره واستظهر عليه بشيء أعله ، فحاول ما أسره بما أعلن فنائه ، وكان حمله قاهراً لغضبه ، وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع ، ويجمع ولا يفرق ، فاستقام له امره وجرى الى مدته . قيل فآخبرنا عن ابنه قال : كان في خير سبيله وكان ابوه قد أحكمه وامره ونهاه فتملئ بذلك وسلك طريقاً مذلاً . وسئل علي (رض) عن بني أمية فقال : أشدنا حجة (صبراً) وأطلبنا للامر لا ينال فينالونه .

الخلاف بين الأمويين وخصومهم من العلويين ما زال يقوى ويضعف ، وما هو الا خلاف سياسي نشأ من النزاع على الملك وليس من الدين في شيء . فليس اذاً من العقل ان تتسلسل هذه الاحقاد في الامة وتنفرق شيعاً وتظهور بمظهور النصب او التشيع ويذكي فربق من يجبهه حتى يخرجهم عن طور البشر ، ويطعن في آخرين حتى يسلب عنهم كل ما يمتازون به من الصفات الكاملة حتى لقد اخرجوهم عن الملة . اهل الاسلام يجوبون الحليفة الرابع ويعرفون له صفات غراً يفاخرون بها على غير الدهر ، ولكن من تجبه لا يجوز لك ان تفضي عن هفواته ، او ان تذكر لخصمه مزاياه .

أزيد ان أقول : ان مسألة الخلافة بين علي ومعاوية قد مضى عليها الزمن وكان لكل منها اجتهاده ، وهي من المسائل المؤلمة في تاريخنا ينبغي لنا ان ندرسها بانصاف

لا ان فتول مع القائلين ونسكت عما شجر بينهم ، ولا ان نبالغ فيما وقع وننصب
 لفريق على آخر ، فالامة يجب عليها ان تعرف مواطن الضعف والقوة من جسمها ،
 وتكشف حقائق ماضيها لانها ابنة حوادث ماضية ، والواجب في البحث ان لا يثير في
 النفوس احقاداً ، ولا ينشيء في اجزاء الامة فرقة متلفة ، ولا يُرتكب معه سوء
 أدب مع عظام أسسوا مجد الامة على امن الدعائم ، ووضعوا بنساءها على القومية
 العربية ، وكانوا مثال التساهل مع ابناء الاديان الاخرى .

اهل الاسلام في الشرق جديرون بان يكونوا كاهل النصرانية في الغرب ،
 تحاربوا حروبا دينية سالت فيها الدماء انهاراً بين البابوي والبروتستانتى ، ثم جاءت
 القرون الحديثة فقضت على التحيزات الدينية ، وصاروا في المسائل الوطنية والقومية
 متلازمين تلازم اللام للالف ، واذا ذكروا ما ارتكبه اجدادهم في هذا الشأن خجلوا
 ووجوا . الأمويون كالعالمين بشر يخطئون ويصيبون ، فلا يلقى بنا ان نغض من الأمويين
 لانهم لم يتنازلوا عن ملكهم للعالمين ، ولا ننكر ان اصابهم كانت كثيرة جداً في جنب
 خطيئاتهم ، واهل الشام قبل كل شعب عربي يجب عليهم ان يفاخروا بتاريخ الأمويين
 ويمعنوا النظر فيه طويلاً ، ويعرفوا ان لكل دولة كما لكل فرد ما يعد لها وعليها .
 بنو أمية أسسوا دولة عظيمة وفتحوا الفتوح ونشروا كلمة التوحيد وبثوا اللغة
 العربية في الممالك التي دوخوها فماذا عمل خصومهم لو انصف المتشيعون لهم ؟ لم يوقفوا
 من قبل ولا من بعد الا ان يدلو على الامة بشرفهم ، وانهم خير من أمية في الجاهلية
 والاسلام ، وان الواجب على المسلمين ان يخضعوا لهم . ما كانت حالهم لشرف هذه النسبة
 فقط ، فقد قامت لهم عدة دول في اقطار مختلفة وكان مصيرها كلها الانحلال . هاطال الزمن
 عليها او قصر ، ولذلك كان من المعقول ان لا يفضى من قدر العالمين خصوصاً من كانت
 حسناتهم تربو على سيئاتهم ، ان كان هناك ما يتجاوز في نسيته سيئات ، اضعافاً مضاعفة .
 الملك لا يقوم بالزهد والتقوى ولزوم المساجد والخطب والحماسة والادلالات بصفات
 طبيعية اتصف بها صاحبها . الملك يحتاج كما جرى الامويون الى بذل ، وتسامح ،
 وتماسك ، وعمل نافع ، بعيد عن الدعوى ما امكن . في الصفات الاولى تمثل
 حالة العالمين ، وفي الثانية تمثل حالة الأمويين .

دور الدولة العباسية

الى ظهور الدولة الطولونية

من سنة ١٣٢ — ٢٥٤ هـ



مبدأ الدعوة) كانت دولة الأمويين الشرقية ، كدولة الخلفاء الراشدين ،
العباسية) عربية اسلامية صرفة ، لم ننشر كلمتها ، ولم ننزع سلطتها ،
اما الدولة العباسية فكانت دولة عناصر ، والحاكم فيها العنصر العربي او من دخل في
خدمته وطاعته ، من الفرس والترک والديلم والموالي ، ولقد قال المؤرخون : في دولة بني
العباس افترقت كلمة الاسلام ، وسقط اسم العرب من الديوان ، واستولت الديلم ثم الاتراك ،
وصارت لم دولة عظيمة وانقسمت ممالك الارض عدة اقسام ، وصار بكل قطر قائم
ياخذ الناس بالعسف ، ويملكهم بالقهر .

كان اهل البيت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام يعقدون انهم احق بالامر ،
وان الخلافة لرجالهم دون سواهم من قریش ، فكانوا يرون من بني أمية غاصبين حقهم
في الخلافة ، فبدأوا يدعون سرّاً لذلك منذ وقعت الحرب بين علي ومعاوية في صفين
وانازل الحسن بن علي لمعاوية بن ابي سفيان عن الخلافة . وقد رزق معاوية صدراً
رحباً وحلياً ضربت به الامثال ، فكان ابدأ « يروض من شماس اهل البيت ، ويسامحهم
في دعوى تقديمهم واستحقاقهم ، ولا يهيج احداً منهم بالثريب عليه في ذلك » . وكان
خلفاؤه من صلبه او من بني مروان يعمدون الى القسوة على القائميين بالدعوة لآل البيت

تارة ، والى الاغضاء زمن العجز طوراً ، وكان شيعة علي مقهورين ، واقاموا على شأنهم وانظار امرهم والبقاء لهم في النواحي ، يدعون للرضا من آل محمد ولا يصرحون بهم ، يدعون له حذراً عليه من اهل الدولة .

وكان شيعة محمد بن الحنفية اكثر شيعة اهل البيت يرون ان الامر بعد محمد بن الحنفية لابنه ابي هشام عبد الله وكان كثيراً ما يغدو على سليمان بن عبد الملك في الشام . فر في بعض اسفاره بمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس بنزله بالحمة فزل عليه وادركه المرض عنده فمات واوصى له بالامر . وقد كان أعلم شيعة بالعراق وخراسان ، ان الامر صائر الى ولد محمد بن علي هذا ، فلما مات قصدت الشيعة محمد بن علي وبايعوه سرّاً وبعث البعثة منهم الى الآفاق فاجابه عامة اهل خراسان ، وبعث عليهم النقباء وتداول امرهم هنالك ، وتوفي محمد سنة اربع وعشر ومئة وعهد لابنه ابراهيم واوصى البعثة بذلك ، وكانوا يسمونه الامام وهو الذي دعا اليه ابو مسلم الخراساني صاحب الدعوة .

عند تمام المئة سنة صححت في الحقيقة نية بني العباس على تأليف جمعية سرية تدعو لهم ، وبثت في الآفاق بغض بني مروان وبلغت اعم بني أمية . وكانت الدعوة مقبولة في العراق وخراسان عند كل من تعرض عليه . ورأس الدعوة في ارض الشام مهد عصبة الامويين وفروعها في خراسان . فانبثت دعوة العباسيين من قطر وسط بين الاقطار العربية وهو الشام لقرب اتصالها مع الاقطار الاخرى ولا سيما بالعراق ثم بخراسان ، ولم تقم الدولة من الحجاز لانه بعيد عن القاصية تحيط به من جهاته الثلاث صحار وباد محرقه ، والاستناد على اهل الحجاز كلاستناد على اهل العراق لا يحلو من اخطار . فقد اراد اهل المدينة ان لا يبايعوا يزيد بن معاوية بالخلافة ، فضر بهم ضربة قاضية ، ولم يستطع ان ينجدهم احد من العراق اذ اليمن لبعد الشقة . وخذل اهل العراق علياً وابنه الحسين ، فلم يتمكن اهل الحجاز واليمن ان ينجدوا آل البيت فوقع ما وقع .

فمن ثم كان دعا آل البيت يغدون من الحمة وقيل من كرار من جبال الشراة في الشام والسحمة عن الشوبك دون يوم بينها وبين وادي موسى — وهو أمية غافلون

عنهم وخليفة المستقبل الذي يدعى له على اياه من دار ملكهم كبعض الرعية والناس في خراسان يصندون عن امره ويقدمون خلافته ، وكان الاقدار خصت الشاه بقيام دولتين عظيمتين فيه الأموية والعباسية ، وكانت عصبية الامويين اهل الشام وعرب الحجاز واليمن ، وعصبية العباسيين اهل خراسان والعراق وقيس ، ومن اهم العوامل في نجاح بني هاشم في دعوتهم اخديدة ، اتفاقهم مع الطالبين عن هذا المقصد ، وهو نزع الخلافة من بني مروان ، فكان البيتان لاول الامر كأنهما بيت واحد ، ولذلك اثمرت الدعوة سريعاً .

بعد نيف ثلاثين سنة من الدعوة لانباء العباس انتبه الامويون في الشام الى مقاصد اعدائهم ، وانهم في صدد تأسيس دولة للقضاء على دولة الامويين ، وفي ذلك دليل ظاهري على ضعف اصحاب الاخبار في ايامهم ، على تساهلهم وعنايتهم بتدوين الاخبار والفاصي والغلبة عن احوان الدواني ، ابلغ ذلك مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية عامه على خراسان نصر بن سيار وقد كتب اليه :

ارى تحت الزماد وميض حجر	ويوشك ان يكون له ضراء
فان النار بلعودين تذكى	وان الشر مبدؤه الكلاء
وقلت من التعجب ليت شعري	أأيقاظ أمية ام نيام
فان يقظت فذاذ بقا: ملك	وان رقدت فاني لا آلاه
فان يك اسجوا وثوا نياماً	فقل قوموا فقد حان القيام

فكتب مروان الى عامله بدمشق الوليد بن معاوية بأمره بتوجيه احد تقاته الى الحامية او كرار ايأتيه ابراهيم الامام ، فحمله الى مروان فحبسه في الحرم من سنة ١٣٢ وقتل في محبسه بعد شهرين ، وعهد بالامر بعده الى اخيه ابي العباس عبد الله بن محمد وهو ابن الحارثية ابل خلفاء بني العباس نسبة الى جده الاعلى علي ابو محمد السجاد بن عبد الله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم . قتل ابراهيم الامام فكان قتلاداعياً الى التجمل بالمناداة علنا بالخلافة العباسية . وذلك ان ابراهيم الامام لما اسكه مروان نعى نفسه الى اهل بيته ، وامره بانسير الى اهل الكوفة مع اخيه السفاح ، والسمع له والطاعة ، واوصى بالخلافة الى اخيه السفاح واوصاه بالقيام بالدولة والجد والحركة ، وان لا يكون له

بعده بالتحكيم لبث ولا عرجة ، حتى يتوجه الى الكوفة ، فان هذا الامر صائر اليه لاحالة ، وانه بذلك اتهم الرواية واطهره على امر الدعاة بخراسان والقباء ، رسم له في ذلك رسماً اوصاه ان يحمل عليه ولا يتعداه . فسار السفاح باهل بيته منهم اخوه ابو جعفر المنصور وغيره الى الكوفة فاقام فيها شهراً مستخفياً ثم ظهر في ربيع الاول وسلموا عليه بالخلافة وعزوه في اخيه ابراهيم الامام ودخل دار الامارة . وفي خلال ذلك زاد نفور المتطلمين الى العباسيين من اهل خراسان والعراق بفضل الدعاة الى آل البيت وذكر الناس شدة بني مروان في الضرب على ايدي كل من خالفهم ، وكان الناس منذ امد طويل يثمنون لو يدلهم الله بغيرهم وان كانوا دونهم ، فكيف ببني العباس ومنزلتهم من الشرف منزلتهم . والبشر ميال الى التجدد ولكل جديد طلاوة .

ومن الغريب على ما قال الطقطقي : انه لما قدر انتقال الملك الى بني العباس ، حيث لم جميع الاسباب ، فكان ابراهيم الامام بالحجاز او بالشام جالساً على مصلاه مشغولاً بنفسه وعبادته ومصالح عياله ، وليس عنده من الدنيا طائل ، واهل خراسان يقاوتون عنه ، وبيذلون نفوسهم وأموالهم دونه ، واكثرهم لا يعرفه ، ولا يفرق بين اسمه وشخصه ، لا ينفق عليهم مالا ، ولا يعطي احدهم دابة ولا سلاحاً بل هم يجيئون اليه الاموال ، ويحملون اليه الخراج كل سنة ، ولما خذل مروان وأشرف ملك بني أمية على الانقراض ، كان مروان خليفة مبايعاً ومعه الجنود والاموال والسلاح ، والدنيا باجمعها عنده ، والناس يتفرقون عنه ، وامره يضعف ، وجبله يضطرب ، فما زال يضمحل حتى هُزم وقُتل .

والثوب ان انهمج فيه البلى اعبي على ذي الحيلة الصانع

فتح العباسيين) اضطرب نظام المملكة الأموية على عهد مروان بن محمد ،
عاصمة الأمويين) وكانت كلما عراها الضعف والانحلال ، يزيد خصوم
الأمويين شدة وقوة . ولما برز بالخلافة لابن العباس بالكوفة كانت جيوش خراسان
تطارد جيوش العباسيين مطاردة ، وينثر سلك الملك سلسلة بعد سلسلة ، على صورة
مستغربة سريرة . ولم يكد العراق يدخل في طاعة العباسيين ، حتى ولي ابو العباس

عنه عبد الله بن علي الشام فسار من حران الى منبج وقد سوّد اهلها ، وبعث اليه أهل قنسرين ببعتهم ثم سار حتى نزل حمص ثم سار الى بعلبك ثم جاء عين جر ، وكان مروان بن محمد آخر الامويين لما انهزم على الزاب اتى من حران الى حمص باهله ، فجاء عبد الله بن علي الى حمص فرحل مروان عنها الى دمشق ، فتبعه فهرب الى فلسطين في بقايا جيشه وهناك جيش جيشاً آخر ، وكان اجتمع للامويين في دمشق جيش قدر يجمسين الف مقاتل . وكان جيش عبد الله بن علي لا يمر ببلد الا ويخرج اهلها مسوّدين اي حاملين شعار العباسيين وهو السواد يبايعونهم عن رضوى ، هذا وجيشه اقل من ثلث جيش مروان المنهزم وربما كان الربع . فلما جاء دمشق عبد الله بن علي من ناحية المزة نزل بها يومين ، ثم جاء اخوه صالح بن علي في ثمانية آلاف مدداً من السفاح على طريق السماوة ، فنزل صالح بمرج عذراء ثم نزل على باب الجابية ، ونزل عبد الله بن علي على الباب الشرقي ، ونزل ابو عون على باب كيسان ، و بسام على الباب الصغير ، وحמיד بن قحطبة على باب توما ، وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس ، فحاصروها اياماً ثم افتتحها يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان (١٣٢) ، اي بعد ستة اشهر من مبايعة ابي العباس السفاح بالخلافة في مدينة الكوفة .

فأباح الفاتح دمشق ثلاث ساعات ، وقيل انه بها ثلاثة ايام ، ووضع السيف في اهلها ، ولم يزل جماعته يجزون الرؤوس في الطرق والمنازل ، و يأخذون الاموال ، حتى جاء الظاهر فأمر برفع السيف وقتل والي المدينة فممن قتل من الاصراء والعلماء حتى في المسجد الجامع . وممن صلب عبد الله بن عبد الجبار . ودخلت اباعر العباسيين الى صحن الجامع الاموي وظل اصطبلاً لدوابهم وجمالهم سبعين يوماً ، وقتل يومئذ على رواية النجاشي من النصارى واليهود خلق كثير ، ونبشت قبور بني أمية في دمشق وغيرها واحرقوهم بالنار ، ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبد العزيز في دير سمعان قرب حمص ، اعترافاً بفضلهم ونقواء ، ونقضوا سور دمشق حجراً حجراً .

قيل ان اهل دمشق لما حاصرهم عبد الله بن علي ، اخنلقوا فيما بينهم ما بين عباسي وأموي ، وقيل وقعت بينهم العصبية في فضل اليميني على نزار ونزار على اليميني حتى

اقتتلوا ، فقتل بعضهم بعضاً ، وذكروا : انه قتل فيها في هذه المدة نحو من خمسين ألفاً . ولما جاءها عبد الله بن علي وحاصرها فضيق حصارها ، بلغ بالناس الجهد فاستغاثوا ، ووجهوا اليه يحيى بن بحر يطلب لهم الامان ، فخرج اليه فسأله الامان فاجابه اليه فدخل فنادى في الناس بالامان ، ثم قال له يحيى بن بحر : اكتب لنا ايها الامير كتاب الأمان ، فدنا بدواة وقرطاس ، ثم ضرب بيصره نحو المدينة واذا بالسور قد غشيته السوداء عسكر بني العباس فقال له : قد دخلتها قسراً . فقال يحيى : لا والله واكن غدراً . فقال عبد الله : لولا ما اعرف من مودتك لانا اهل البيت لضربت عنقك ، اذ استقبلني بهذا ، ثم ندم فقال : يا غلام خذ هذا العمد فاركبه في داره ، وناد من داخل دار يحيى بن بحر فهو آمن ، فانحشر الناس اليها ، فما قتل فيها ولا في النهر التي تليها احد ، ونادى المنادي بعد ان قتل خلق كثير : الناس آمنون الا خمسة الوليد ابن معاوية ويزيد بن معاوية وأبان بن عبد العزيز وصالح بن محمد ومحمد بن زكريا . وصار عبد الله بن علي الى المسجد فخطبهم خطبته المشهورة التي يذكر فيها بني أمية وجورهم وعداوتهم و يصف ما استحلوا من المحارم والمظالم والمآثم ، اي انه قال — ما يقوله العدو في عدوه . اي عداوة اعظم من عداوة المنازعين على الملك والسايطان ، وبينهم الطوائف والاحقاد القديمة والجديدة . وهذه الخطبة اشبه بكلام العلويين في الامويين ، والامويين في العلويين ، يقصد بها ائارة النفوس ، لينزع منها حب الدولة السالفة ، وبفسح مجال الاماني للناس و يرغبوا في الدولة الخالفة .

* * *

فتح فلسطين واهلاك / اقام عبد الله بن علي في دمشق خمسة عشر يوماً ، رجال الأمويين ا رويت خلالها سيوفه من اعداء دولته ، ثم سار وراء مروان بن محمد في خمسين الف مقاتل ، واخذ الوليد بن معاوية بن عبد الملك وعبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك ، فحماها الى ابي العباس السناح فقتلها وصلبها بالحيرة وامر ابو العباس عمه عبد الله بن علي ان يجتد السير نحوها ، وهنأ بما اصاب من اموال بني امية فسار يريد فلسطين فزل نهر الكسوة فوجه منها يحيى بن جعفر الهاشمي الى المدينة ثم ارتحل الى الأردن فاتوه وقد سودوا ثم نزل يذسان ثم سار الى مرج الروم

ثم اتى نهر ابي فطرس، ولما قدم فلسطين اظهر للناس ان امير المؤمنين وصاه بني أمية، وامره بصلتهم والحاقهم في ديوانه وردت اموالهم عليهم، فقدم عليه من اكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثلاثون رجلاً، وفي رواية الطبري: انهم كانوا اثنين وسبعين رجلاً وقد اعد لهم مجلساً على نهر بالرملة فيه اضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والأجرزة، فأخرجهم عليهم فقتلهم وسحبوا وطرحت عليهم البسط وجلس عليها، ودعا بالطعام فاكل وجماعته، وما زال بعض القتلى يئن، وقال: يوم كيوه الحسين بن علي ولاسواء. وكان في جملة قتلاه عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان قد بذ العابدين في زمانه، وسبق المجتهدين في عصره، واتخذ اموالاً معجبة، تطرد فيها المياه والعيون، فقتله ثم استنقى ماله ومال من قتل من سادات بني أمية وصناديدهم، ومنهم من قتلوا لانهم ابوا ان يصيروا اموالهم الى السفاح. وقصارى القول ان فاتح الشام للعباسيين بطش في الأمويين ومن والاهم من اهل هذه الديار بطش الجبارين. وسار من الجور سيرة لم يسرها احد قبله كما وصفه المؤرخون:

اتوا على قتل الاجبال تحرسهم	غاب الرجال فما اغنتهم القلل
واستزلوا بعد عز من معاقهم	فاودعوا حفرا يابئس ما نزلوا
ناداهم سارخ من بعد ما قبروا	أين الأسمرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الاستار والكمال
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتل
قد طالما اكلوا دهنأ وما شربوا	فاصبحوا بعد طول الاكل قدأ كلوا
وطالما عمروا دوراً لتحصنهم	فغارقوا الدور والاهلين وانتقلوا
وطالما كنزوا الاموال وادخروا	فخلفوها على الاعداء وارتحلوا
انصحت منازلهم قفرا معطلة	وساكنوها الى الاجداث قدرحلوا

تابع العباسيون بني أمية في الحجاز والعراق فقتلوا منهم اناساً كثيرين ولم يفلت الا افراد ومنهم عبد الرحمن بن معاوية الذي فر الى الاندلس وهناك اقام الخلافة الاموية الغربية فدامت مائتين وثمان وستين سنة، ولم تطل اليه ولا الى آله ايدي العباسيين حتى انقرضت دولتهم. ومنهم من فر الى الحبشة وبقي فيها وذريته الى

خليفة المهدي العباسي . وبعد مقتل بني أمية واشتداد خوفهم ، وثبتت شملهم ، واخْتِنَاءُ من قدر علي الاستنار منهم ، اصدر السفاح الى سليمان بن علي كتاباً عاماً الى البلدان يعطي فيه الأمان للأمو بين . فكان هذا اول امان بني أمية . وكان سليمان بن علي كتب الى السفاح انه وفد وافد من بني أمية علينا ، وانا انما قتلناهم على عقوقهم لا على ارحامهم ، فاننا يجمعننا واياهم عبد مناف والرحم تيل (توصل) ولا نقطع ، وترفع ولا نوضع .

* * *

انقراض الجنوب والشمال } ولما افنى بنو العباس بني أمية في فلسطين ندمت
والاعتقاد بالسيفاني } عرب الشام على ما فعلت لما ركبهم من العار ،
وتسليط العجم من ابناء خراسان عليهم ، ينزلون منازلهم ، و يأخذون اموالهم ، فهاجت
لذلك واضطربت ، وامننوا من البيعة . وفي السنة التي دخل فيها العباسيون ارض
الشام ، يبيض حبيب بن صرة المري واهل حوران والبيضية ، ومد ينها أذرعاً ، اي
لبس شعار الأمويين وهو البياض ، ونصب رجلاً من بني أمية ، فقاتلهم عبد الله بن
علي بارض البلقاء والبيضية وحوران ، وكان بينه وبينهم وقعات . وحبيب بن صرة
من قواد مروان وفرسانه . وكان سبب تبييضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس
وغيرهم ممن يليهم من اهل تلك الكور ، فلما بلغ عبد الله بن علي تبييض اهل قنسرين
في الشمال ، دعا حبيب بن صرة الى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه .

وكان الداعي الى خلج قنسرين طاعة بني العباس ، قائد من قواد مروان ايضاً اسمه
ابو الورد الكلابي وكان دخل في طاعتهم ، ثم نزع الطاعة لما قدم احد قواد عبد الله
ابن علي الى البلس والناعورة ، وانشأ يعبث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم ،
فشكا بعضهم ذلك الى ابي الورد ، وكان قد اجتمع معه جماعة من اهل قنسرين
وكتبوا من يليهم من اهل حمص وتدمر فقدم منهم الوف عليهم ابو محمد زياد بن عبد
الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ودعوا اليه . وقالوا هذا السيفاني
الذي كان يذكر .

والغالب ان انصار الأمويين وضعوا بعد سقوط دولتهم لمحمة من الملاحم^(١١) ، زعموا فيها انهم يعرفون ما يحدث في المستقبل من الزمان والآتي من الايام ، من ظهور امرهم ورجوع دولتهم ، وظهور السفياي في الوادي اليابس من ارض الشام ، في غسان وقضاة وطم وجذام وغاراته وحروبه ، ومسير الأمويين من بلاد الاندلس الى الشام ، وانهم اصحاب الخيل الشهب ، والرايات الصفر ، وما يكون لهم من الوقائع والحروب والغارات والزخوف ، على ما نقله المسعودي . والاعتقاد بظهور السفياي كما قال صديقنا احمد تيمور باشا يشبه الاعتقاد بظهور المهدي ويروون فيه احاديث واقاصيص الله اعلم بها . وفي البدء والتاريخ ان الروايات بشأن السفياي فيها حشو كثير ومحالات مردودة . ومسألة السفياي تدبير للأمويين حتى لا ينقطع الامل من رجوع دولتهم ويخيفوا اعداءهم على الدوام . وربما كانت دعوى قرب ظهور السفياي ايضاً واسطة لفتك العباسيين بكل من توهموا فيه شيئاً من الراضحة السفياية ولم تنقطع هذه النعمة في الشام الا سنة ٢٩٤ وقد زعم رجل انه السفياي فحمل هو وجماعة معه من التمام الى باب السلطان فقيل انه موسوس .

كان اتباع زياد في نحو اربعين الفا فمكروا بهرج الأخره بنواحي سلمية ودنا منهم عبد الله بن علي ووجه اليهم اخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف . وكان ابو الورد هو المدير امسكر قنسرين وصاحب القتال ، فناهضهم وكثر القتل في الفريقين وانكشف عبد الصمد ومن معه وقتل منهم الوف ، ولحق باخيه عبد الله فأقبل عبد الله معه وجماعته القواد فالتقوا نانية بهرج الاخره فاقتتلوا قتالا شديداً وثبت عبد الله فانجزه اصحاب ابي الورد وتبت هو في نحو من خمسمائة من قومه واصحابه فقتلوا جميعاً وهرب ابو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر وأهله عبد الله اهل قنسرين وسودوا وابعوه ودخلوا في طاعته ثم رجع الى دمشق وكان قد خرج

(١١) راجع الفصل الذي كتبه ابن خلدون في الملاحم وان بعضها في حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الخليفة وليس منها اصل يعتمد على روايته عن واضعه المنسوب اليه ومنها المنظوم والمنثور والرجز .

من بها عن الطاعة ايضاً ، ونهبوا اهل عبد الله بن علي ، فلما دنا عبد الله من دمشق هربوا ثم امةً منهم قال المؤرخون : ان العباسيين قتلوا من الشاميين ما لا يحصى ، ثم اذكروا العيون على الأمويين يقتلون رجالهم ونساءهم ، وينبشون عن قبورهم فيحرقونهم ، فن ثم سمي عبد الله بن محمد بن علي السفاح وفيه يقول الشاعر :

وكانت أمية في ملكها تجول وتظير طغيانها
فلما رأى الله ان قد طغت ولم تطق الارض عدوانها
رماها بسفاح آل الرسول فجرت بكفيه آذنانها

* * *

انتفاض العباسيين) هذا ما كان من امر من خلعوا طاعة بني العباس من
على انفسهم (عصبية بني أمية في الجنوب والشمال ولم يكن اثر تلك
العصبية قد زال على شدة العباسيين في قطع شأفة الأمويين . ولما هلك ابو العباس
السفاح قام عمه عبد الله بن علي عامل الشام يدعو الى نفسه بالخلافة وقد استمال
من معه من جنود خراسان فمالوا معه . وكان صالح بن تلي بمصر على طاعة ابي جعفر
فلما بلغه ان عبد الله بن علي قد خلع ابا جعفر وانه قد عزه على حربه اقبل ابن تلي
بمن معه من اهل خراسان منكرًا لفعل عبد الله بن علي حتى لقي الحكم بن ضبعان
الجدامي ومع الحكم خلق كثير من اهل الشام في طاعة عبد الله بن علي فهزمهم صالح
بالجون بين فلسطين والأردن وقتل منهم ناساً كثيراً وافلت الحكم حتى اخذه بعدد
يزيد بن روح اللخمي بارض بعلبك وكان يزيد عاملاً لصالح بن علي ببعلبك فضرب
عنى الحكم وبعث برأسه الى صالح بن علي ونقل يزيد بن روح عند قتله الحكم بن
ضبعان الى ولاية دمشق . هذه رواية ابن عساكر وقال غيره ان صالح بن علي لما جاء
فلسطين من مصر طلب احياء العرب وجعل يذبحهم حتى اتى على آخرهم وانتهب
اموالهم ومواشيهم .

وعلى صاحب البدء والتاريخ خروج عبد الله بن علي على ابي جعفر بقوله : انه
لما مات ابو العباس ادعى الخلافة عبد الله بن علي وبايعه اهل الشام والجزيرة وذلك
ان ابا العباس لما ظهر امره وضع سيفاً وقال : من تقلد هذا السيف وسار الى مروان

فقاتله فله الخلافة بعدي ، فتحاماه الناس وقاه عبد الله بن علي فنقلده ، وسار فقاتل مروان فقتله ، فلما مات ابوالعباس قام بالخلافة ابوجعفر وبايعه الناس على ذلك ، وكان اجلدهم واشجعهم ، فبال ذلك اباجعفر واستشار ابامسلم فقال : الرأي ان تعاجله ولانأني به ، وكان عبد الله بن علي في مائة الف مقاتل ومائة الف من النعلة ، وحفر الخندق من جبل نصيبين الى نهرها ، وجعل فيه ما يحتاج اليه من العدة والآلة ونصب المجانيق والعربات وبث الحسك وسد الطريق على من يقصده من العراق وجعل الخصب والقري ورايه .

وقالوا : لما وجه ابو جعفر المنصور ابامسلم الخراساني قال له : أيها الرجل انما هو انا وانت . فاما ان تسير الى الشام فنصلح امرها او اسير انا . قال ابو مسلم : بل اسير انا . فاستعد في اثني عشر الفاً من ابطال جنود خراسان حتى اذا وافى الشام انحاز اليه من كان بها من الجنود جميعهم وبقي عبد الله بن علي وحده فعفا ابو مسلم عنه ولم يؤاخذه بما كان منه . وقال المطهر بن طاهر : بل اسره وحمله الى ابي جعفر فغاده الحبس الى ان مات وهذا هو الاصح . وابو مسلم من اقرب الناس الى سفك الدماء . وقد قتل في دولته ستمائة الف انسان ولكنه تحامى ان يقتل عم الخليفة واكفى من عقوبة الثائر بالاستيلاء على خزائنه وكانت عظيمة لانه استولى كما نقده على ذخائر خلافة بني أمية ونعمتهم وذلك بعلم حروب كثيرة ببلاد نصيبين في الموضع المعروف بدير الاعور وصبر الفريقان شهوراً على حروبها . ومع هذا تعاقب على حلب كثير من ولد عبد الله بن علي بن العباس نحو مئة سنة . وكان العباسيون كلاً مو بين يولون في مبداء امرهم الولايات لآل بيتهم واولياء عهد الخلافة .

نزع اللبنانيين الفالاسطينيين / ومن كوائن هذا الدور ما وقع في سنة ١٣٥
طاعة العباسيين | من نهب المقدم الياس في لبنان البقاع ونهب قراها واهلها فارسل الي الشام من قبل ابي العباس اليه رسلا لعقد الصلح ، ثم هاجمه في قرية المريج وقتله . وبعد رجوع عسكر الشام رجع اصحابه ودفنوه بقرب الجامع الذي في القرية (فسميت قبر الياس ولعلها المعروفة بقبر الياس وكانت القرية تسمى

(المرج) ثم اقيم مقدماً على الجيش سمعان ابن اخت المقنول فسارت اليه عساكر الشام وكانت الحرب بينهم في قرية الشوير فانكسر العسكر الشامي وارتد راجعاً ، ودام القتال على ما في تواريخ الموارنة بين عساكر المسلمين ونصارى تلك البلاد مدة طويلة .

قال البلاذري : وخرج قومه بجبل لبنان شكوا عامل خراج بعلبك فوجه صالح ابن علي بن عبد الله بن عباس من قتل مقاتلتهم واقراً من بقي منهم على دينهم وردهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان . وقد كتب الامام الاوزاعي الى صالح رسالة طويلة في تحطئة في طريقه التي سار عليها في مقاتلة اللبنانيين حفظ منها ما يأتي : « وقد كان من إجلاء اهل الذمة من جبل لبنان من لم يكن مماثلًا من خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيتهم الى قراهم ما قد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم ؟ وحكم الله تعالى « ان لا تزر وازرة وزر اخرى » وهو احق ما وقف عنده واقندى به واحق الوصايا ان تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال : من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فانا حبيبه . ثم ذكر كلاماً .

روى ابن عساكر : ان الروم دخلوا طرابلس في زمان واليهار باح بن عثمان بن حيان لصالح بن علي الهاشمي امير الشام ومصر ثم ظير رجل من اهل المنيطرة ، وذلك في سنة اثنتين او سنة ثلاث واربعين ومائة وسمى نفسه الملك ولبس التاج واظهر الصليب واجتمع عليه انباط جبل لبنان وغيرهم ، ثم استفحل امرهم فسبوا بعض قرى البقاع فقتلوا المسلمين واخذوا ما وجدوا وكتب بندار^(١) الملك الى اهل بعلبك يعلم بمصيرهم ويأمرهم بقنالم ، فتأهبوا وقاتلهم في اسفل جبل لبنان ثم اظهروا الهزيمة فامعنوا في الطلب ، فلما بعدوا عن الجبل كرت عليهم خيل بعلبك فقتلوا منهم مقلة عظيمة وانهمز بقيتهم ، ثم هاجمهم في قلعته فظيروا عليهم وامتلكوها منهم ، وهرب بندار الى

(١) البنادرة تجار يلزمون المعادن او هم الذين يخزنون البضائع للغلاء جمع بندار

بالضم ويقال رجل بندري ومبندر ومتبندر وهو كثير المال . والبندار فارسي ومعناه في الاصل صاحب الاساس .

ملك الروم فكتب حينئذ صالح بن علي يأمر باخراج من بقي في الجبل ونفريتهم في بلاد الشام وكورها . وصالح بن علي من اعظم رجال العباسيين هو الذي كسر الروم في نوبة مرج دابق وكانوا في مئة الف او يزيدون .

وبعد صالح بن علي وجه ابو جعفر المنصور محمد بن الاشعث الى الشام وكتب اليه ان يخرج عمال صالح بن علي فجهزه وعقد له وضم اليه من قواده جماعة وكتب امير المؤمنين الى صالح بن علي ان يسلم دمشق الى محمد بن الاشعث فانها فاقام بها مدة ، ثم اتاه كتاب امير المؤمنين بأمره ان يسير الى الأردن ويخرج عمال صالح بن علي من الأردن والبلقاء وفلسطين فأخرجهم .

* * *

قيس ويمن والفتن / وفي سنة ١٦٨ نقض الروم الصلح فوجه علي بن سليمان الداخلية والخارجية / وهو يومئذ على الجزيرة وقنسر بن يزيد بن بدر بن البطال في سرية الى الروم فعموا وظفروا . ولم يغفل العباسيون عن غزوه الروم الصوائف وغيرها على مثال بني أمية . وفي هذه السنة رد المهدي ديوان اهل بيته من دمشق الى المدينة . ومن الفتن فتنة سنة ١٧٦ هاجت بدمشق بين المصريين واليهانيين ، وكان على دمشق عبد الصمد فسعى الرؤساء في الصلح فاجاب بنواقين واستمتهت اليانية ثم ساروا الى بني القين وقتلوا نحو ستمائة ، فاستنجدت بهو القين قضاة وسليماً فابوا ، فاستنجدوا قيساً فساروا معهم الى العواليك من ارض البلقاء فقتلوا من اليانية ثمانمائة وكثر القتل منهم ، ثم عزل الرشيد عبد الصمد عن دمشق وولاه ابراهيم بن صالح ابن علي ، وكان هواه مع اليانيين ، فوقع في قيس عند الرشيد واعتذر عنهم عبد الواحد ابن بصرى ، واستخلف ابراهيم على دمشق ابنه اسحق فحبس جماعة من قيس وضر بهم ثم وثب غسان برجل من ولد قيس العبسي فقتلوه ، واستنجد اخوه بالزوا قيل (الصوص) من حوران فأنجدوه ، وقتلوا من اليانية نقرأ . قال ابن كثير : في حوادث سنة ١٧٦ انه وقعت فتنة بين النزارية واليانية وهذا كان بدء العشران بحوران وهم قيس ويمن اعدوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الاوان فقتل منهم بشر كثير فلما نفاقم الامر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤوس الكتاب

فاصلحوا بين الناس وهدأت الفئنة واستقام أمر الشام وحملوا جماعات من رؤساء
الفئنة الى دار السلام فرد امرهم الرشيد الى عامله خالد فعفا عنهم واطلقهم ففي ذلك
يقول بعض الشعراء :

قد هاجت الشام هيجاً يشيب رأس وليده
وصب موسى عليها بخيله وجنوده
فدانت الشام لما اتى نسج وحيد

دامت هذه الفئنة نحو سنين وسبها فيما قيل ان رجلاً من بني القين قطع بطيخة
من حائط باللقاء لرجل من نلم او جذام . وفي رواية ان الفئنة لما هاجت باشام بين
الزارية واليانية وولى الرشيد سنة ١٧٦ موسى بن يحيى بن خالد الشام جميعه اقاء به
سنين حتى اصلح بينهم . قال ابن الاثير : ان سبب هذه الفئنة بين المضرية واليانية
ورأس المضرية ابو الهيدام عامر بن عمارة احد فرسان العرب المشهورين ان عاملاً
للرشيد بسجستان قتل اخا لابي الهيدام فخرج أبو الهيدام بالشام وجمع جمعاً عظيماً .
وهذا السبب أرجح اذ لا يعقل ان نشب الفئنة بين قبيلين من أجل بطيخة قطعت
من بستان . اما ابو الهيدام فاستولى على دمشق وقاتل في قومه ففزح أكثر الجيوش
التي قابلته وكان معه فريق كبير من اعراب الشام .

وفي سنة ١٨٠ نفاق امر هذه الفن فعقد الرشيد ايام عصبية ابي الهيدام لجعفر
ابن يحيى البرمكي على الشام ، فاتاهم واصلح بينهم . وقتل زواقيلمهم والمتلصصة منهم ولم
يدع بها محارباً ولا فارساً ، فعادوا الى الأمن والطحأينة واطفاً تلك النائرة ، وولى
جعفر بن يحيى صالح بن سليمان اللقاء وما يلبها واستخلف على الشام عيسى بن العمي
وانصرف ، وقال بعض الشعراء في ذلك :

لقد اوقدت بالشام نيران فئنة فهذا اوان الشام تحمد نارها
اذا جاش موج البحر من آل جعفر عليها جنت شهبانها وشرارها
رماها امير المؤمنين بجعفر وفيه تلافى صدعها وانجارها
رماها بميمون النقبة ماجد تراضى به قحطانها وتزارها

وفي سنة ١٨٧ صارت العصبة ايضاً بالتاء بين المضربة والنزارية وجمعوا جمعاً كثيرة وكانت بينهم في ذلك فتن قتل فيها من المضربة نحو من خمسمائة والوالي على دمشق شعيب بن حازم بن خزيمية . قال ابن عساکر : وذكروا منه تعصباً فوجه امير المؤمنين الرشيد محمد بن منصور بن زياد الى اهل دمشق ، وامره بدعاء الفريقين جميعاً الى الرجوع عمالمهم عليه ، على ان يحمل من بيت ماله . ما كان بينهم من الدماء ويعفو عنهم و يولي من احب الفريقان فاطفئت الفتنة . وفي سنة ١٨٨ كان غزو ابراهيم بن جبريل الصائفة ادرب (دخل الدرب والدرب كل مدخل الى الروم) من درب الصفاف فيها ذكر اربعون الفاً وسبعائة .

* * *

الحصيون / وفي سنة ١٩٠ وثب أهل حمص بواليهم نجرج الرشيد نحوهم وفتنة السفياي ا فلما صار بمنج لقيه وفدم يعطون بأيديهم ويسألون فمعا عنهم . وفي سنة ١٩١ خرج ابو النداء بالشام فوجه الرشيد في طلبه يحيى بن معاذ وعقد له على الشام . وفيها نقض أهل قرص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسبي أهلها . وفي سنة ١٩٤ اخذ أهل حمص مع عاملهم اسحق بن سليمان فانقل عنهم الى سلمية فعزله الامين واستعمل مكانه عبدالله بن سعيد الحرسي ، فقاتل أهل حمص حتى سألوا الامان فأمنهم ، ثم هاجوا فضرب أعناق عدة منهم . وفي سنة ١٩٥ أي في اياه الخليفة الامين وكان سبي التدبير مهملاً للامور ظهر بالشام السفياي علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بالعمه يطهر (كسفرجل) لانه زعم انها كنية الحرذون فلقبوه به ، وكان من بقايا بني أمية بالشام ومن أهل العلم والرواية ، فدا الى نفسه وسبي خليفة ، وكان أصحابه يوم ادعى الخلافة يدورون في اسواق دمشق ويقولون للناس : « قوموا بايعوا مهدي الله » . وكان يتفخر بقوله : انا ابن سنجي صفين يعني علياً ومعاوية لانه كان ينسب لبني أمية من جهة أبيه ولآل ابي طالب من أمه وكان اكثر أصحابه من كلب وتعصب له اليانية وقوامه القيسية فذهب دورهم وأحرقها وقتلهم وقتك باهل دمشق ، وطرده منها سليمان بن ابي جعفر المنصور عاملها بعد حصره اياه ، وكان عامل الامين عليها فلم يفلت منها الا بعد اليأس وأهانه

الخطاب بن وجه الفلمس مولى بني أمية ، وكان قد تغلب على صيدا ، وقاومه محمد بن صالح بن بييس الكلابي فخرج الى قرية الحرجلة فقتل من ظفر به من بني سليم ونهبها وأحرقها ، وجعل يطلب من بدمشق من القيسية . وكان القرشيون وأصحابه من اليمن يمرون بالدار من دور دمشق فيقولون : ربح قيسي نشم من هذه الدار ، فيضربونها بالنار ، فهرب القيسية من دمشق وكان من لم يبايعه سمر عليه بابه ، وكان اذا خرج من الخضراء وهو راكب يمشي بين يديه خمسمائة رجل على رؤوسهم القلائس الشاميات وفي أيديهم المقارع .

كتب ابو العميطر الى ابن بييس الكلابي : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فالعجب كل العجب لتخلفك عن بعة أمير المؤمنين (يعني نفسه) وجمعدانك نعم أبائه عليك ، ولست ولا أحد من سلفك الا في نعمته ، وأنت تعلم مكان حرمتك بقرية تلفيانا ، وان عشيرتك بالغوطة كرش منشورة ، وأمير المؤمنين يحلف لك بالله لئن سمعت وأطعت ، ليلفن بك اقصى غاية الشرف ، وليولينك ما خلف بابه ، ولئن تخلفت وتأخرت ليلعننك ما لا قبل لك به من الزحوف ، التي ثلواها الختوف ، بتجاهد السلاح المعد لاهل الخلاف والمعصية . وقد بعث اليك أمير المؤمنين شعراً فندبره » وكتب في أسفل كتابه :

لئن كان هذا الجد منك لقد هوى	بك الحين في أهوية غير طائل
أبعد اجتماع الشام سمعا وطاعة	الي وإذلاي جميع القبائل
وتوجيهي العمال في كل بلدة	وزحني اليها بالقنا والقنابل
رجوت خلافي أو قنيت جاهلا	ازالة ملك ثابت غير زائل
فان نعظ سمعا أو تعاق بطاعة	تقل من ملات شداد الزلازل
وان نعص لاتسلم وفي السيف واعظ	لندي الجهل ما لم يتعظ بالرسائل

فلم يجبه ابن بييس على كتابه ، وأقبل ابو العميطر على طلب القيسية فكتبوا الى ابن بييس ، فأقبل اليهم في ثلاثمائة فارس من الصباب ومواليه واتصل الخبر بأبي العميطر فوجه اليه يزيد بن هشام في اثني عشر ألفا فاقتتلوا ، فلم يزل القتل في أصحاب يزيد ابن هشام حتى دخلوا أبواب دمشق فبلغ القتلي الذي رجل وأسر ثلاثة آلاف ، فدعا

بهم ابن بيهس فخلق رؤوسهم ولحامهم وأحلفهم بانهم يصيرون الى باب ابي العميطر فيصيحون نحن عتقاه ابن بيهس ، فاشتدت شوكرته وتوهن امر ابي العميطر السيفاني ، فجعل ابن بيهس يغير كل يوم على ناحية فيقتل ويأمر . ولما فرغ ابن بيهس من حرب يزيد بن هشام نزل قرية سكا واجتمع الى ابي العميطر وزاره فقالوا له لايهولنك محاصرة ابن بيهس اياك فان الحرب سجال فكتب ابو العميطر الى السواحل والبقاع وبعلبك وحمص فأناه خلق عظيم واشتبكت الحرب بين الشبعا وقرحتا ونقاتلوا قتالاً طويلاً . واجتمعت نمير على مسلمة بن يعقوب بن علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن ابي العاص وبذلوا له البيعة بالخلافة فقبل منهم وجمع مواليه ودخل على السيفاني ابي العميطر في الحضراء فقبض عليه وقيده وقبض على رؤساء بني أمية فباعوه وادنى قيساً وجعلهم خاصته .

وجمع ابن بيهس رؤساء بني نمير فقال لهم : قد كان من علي ما ترون فارفقوا ببني مروان بن الحكم والطفوا بهم ، وعليكم بمسلمة بن يعقوب فبذل له بنو نمير البيعة . وبعث مسلمة الى رؤساء بني أمية عن لسان ابي العميطر يأمرهم بالحضور فجعل كل من دخل يقال له بايع والسيف على رأسه فبايع وأدنى مسلمة القيسية (عن ابن عساکر) ولبس الثياب الحر وجعل أعلامه حمراً وأقطع بني نمير ضياع المروج وجعل لكل رجل من وجوه قيس بمدينة دمشق منزلاً وولاهم ، ثم أقبل ابن بيهس حتى نزل قرية الشبعا وأصبح منها نادياً الى دمشق ، وصاح الديدبان بالسلح ، وخرج مسلمة وخرجت معه القيسية فقاتلوا ذلك اليوم مع مسلمة قتالاً شديداً وكثرت الجراحات في الفريقين ، وانصرف ابن بيهس وخاف القيسية على أنفسهم وذهبوا الى ابن بيهس واحكموا الامر معه ، وصبح دمشق بالخيال والرجالة والسلام ، ونشب القتال وصعد أصحاب ابن بيهس السور بناحية باب كيسان فلم يشعر بهم أصحاب مسلمة واستولى ابن بيهس على دمشق لعشر خلون من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة ، ولم يزل يحارب أهل المزة وداريا وبيت لهيا الى أن صالحه أهل بيت لهيا وأقام على حرب أهل المزة وداريا وهو مقم بدمشق أميراً متغلباً عليها الى ان قدم عبد الله بن طاهر دمشق سنة ثمان ومائتين وخرج الى مصر ورجع الى دمشق سنة ست عشرة ومائتين وحمل ابن بيهس معه

الى العراق . وكان الامين مدة خلافته وجه الى ابن يهس الحسين بن علي بن عيسى بن ماذان فلم ينفذ اليه ولكنه لما صار الى الرقة أقام بها . وولى الامين (١٩٦) عبد الملك بن صالح بن علي بن علي بن الشاء وأمره بالهروج اليها وفرض له من رجلها جنوداً يقاتل بها ظاهراً وهرثمة . وعبد الملك هذا هو الذي كان يقول في أهل الشاء : قوم قد ضرستهم الحروب وأدبتهم الشدائد ، وان أهل الشاء اجراً من أهل العراق وأعظم نكايه في العدو . ووقعت فتنه في عسكره بين الحراسانيين وأهل الشام وكثر القتل وأظهر عبد الملك النصرة للشاهين وانتقص الحسين بن علي للحراسانيين وننادى الناس بالرجوع ، فمضى أهل حمص وقبائل كلب فانهمز أهل الشاء وانصلت الحروب (١٩٨) بين سكان الشام وجماعة العباسيين ، وكان يعقوب ابن صالح الهاشمي يحارب الحاضر حاضر حلب . فلم يبق منهم واقربوا أيدي سبا فصار أكثرهم الى مدينة قنسرين ، وضرب يعقوب الحاضر وكان فيه عشرون الف مقاتل .

ولم تكد الشاء تستريح من فتنه ابي المميطر حتى قام في أول عهد المأمون بدمشق رجل من بني أمية ايضاً اسمه سعيد بن خالد الأموي العثري القديني وادعى الخلافة وهو من قرية القديين في حوران قام بعد ابي المميطر وأغار على ضياع بني شبيب (ثرنبث ؟) السعديين وتطلب القيسية وقتلهم وتعب لئلا يجوز له محمد بن صالح ابن يهس أخاه يحيى بن صالح ، فلما صار بالقرب من حصنه المعروف بالقديين هرب فوقف يحيى حتى هدمه وخرّب زيزاء في اللقاء وتحصن سعيد في قرية ماسوح قرب عمان ثم انه جمع عليه جمعا عظيماً زهاء عشرين ألفاً فلم يجد محاربه الى ان أجلاه عن مكانه وصار بعد ذلك الى حُساب وفيه حصن حصين فأقام به ونفّر عنه اصحابه .

* * *

وهكذا لم يخل عهد السفاح والمنصور والمهدي والهادي
 فتنه نصر بن شبث) والرشيد والامين والمأمون من خلفاء بني العباس من قتن
 مشثومة وبقيت نار العصبية لتأبجج . واليه نيون مع الأمويين والقيسيون مع العباسيين
 والدعوة للسفاني الذي وعد بارجاع ملك بني أمية تهب وثنام ، وقد ابتدأت اوائل

خلافة المأمون بشيء من هذا القبيل ، فقد عصى عليه نصر بن شبث العقيلي وكان يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب وكان في عنقه بئمة للاميين وله فيه هوى فلما قتل الامين أظير نصر الغضب وتغلب على ما جاوره من البلاد ، وملك سميساط واجتمع عليه خلق كثير من الاعراب وأهل الطمع وقويت نفسه ، وعبر الفرات إلى الجانب الشرقي وحدثه نفسه بالتغلب عليه . فلما رأى الناس ذلك منه كثرت جموعه وزادت عما كانت عليه وقوي امره (١٩٩) بالجزيرة وأتاه نفر من شيعة الطالبين فقالوا : قد وترت ^(١) بني العباس وقتلت رجالهم وأعلقت عنهم العرب فلو بايعت لخليفة كان أقوى لامرك فقال : من اي الناس فقالوا : نبايع لبعض آل علي بن ابي طالب فقال : أبايع اولاد السوادات فيقول : انه خلقتي ورزقتي . قالوا : فنباع لبعض بني أمية فقال : اولئك قد أدير امرهم والمدبر لا يقبل ابداً ، ولو سلم علي رجل مدير لاعداني باداره ، وانما هواي في بني العباس ، وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم .

قوي امر نصر فأرسل عليه المأمون احد عظام قواده طاهر بن الحسين فلقبه نصر وكسره ، فسير اليه المأمون عبد الله بن طاهر القائد العظيم ابن ذاك القائد العظيم فحصره في كيسوم من مدن العواصم واخذه بعد وقائع كثيرة ، واحتوى على الشام جميعه وهدم عدة اسوار من المدن المجاورة لحلب ومنها كيسوم من قرى سميساط . وسار عبد الله بن طاهر يستقري الشام بلداً بلداً لا يمر ببلد الا اخذ من رؤساء القبائل والعشائر الصماليك والرواقيل وهدم الحصون وحيطان المدن ، وبسط الامان للاسود والايض والاحمر وضمهم جميعاً ، ونظر في مصالح البلدان وحط عن بعضها الخراج ، فلم يبق مخالف ولا خالع الا خرج من تلته وحصنه ، وعاد عبد الله ابن طاهر الى دار السلام يحمل معه المتغلبين على الشام امثال ابن السرج وابن ابي الجمل وابن ابي الصقر ودام عصيان نصر خمس سنين .

(١) وتر الرجل أفزعه وأدركه بمكرهه ووتره ماله نقصه اياه . وقوله أعلقت

عنهم دفعت عنهم .

المأمون وحكمه } لم يظنيّ الذئبة التي أثارها نصر بن شيبث في الشمال والتي
على قيس وبين } أثارها غيره في الوسط والجنوب غير أعظم قواد بني العباس ،
اطفأوها بالمقل والتؤدة ، وقد رأينا ان عصابة الأمويين لم تنقطع على شدة العباسيين
في استئصالها ، وكان كل حين يشور ناثر باسم السفياي ويشور معه جماعته ولا سينا
من اهل القرى والبوادي . وكانت الاحوال اخذت تهدأ على عهد الرشيد والمأمون
فتفرغوا لاجراء الاصلاح في البلاد . وكان الرشيد تولى شمال الشام ايام كونه ولياً
للعهد ، والمأمون زار الشام ثلاث مرات يقيم فيها نصاب العدل ، ويوطد دعائم
المدنية ، حتى عدّ عهده وعهد ابيه من أجمل عصور التاريخ الاسلامي . المأمون
الخليفة العادل ناشر اعلام الحضارة ، وممثل التسامح المحمدي العجيب ، ومحكم العقل
في أحكامه ومعتقداته ، وقلما اجتمعت صفات كهفاته وعقل كعقله وعلم كعلمه
لخليفة من خلفاء الاسلام بل لم تجتمع قط ولم تعدّ عليه غلطة سياسية ولا مدنية .
وكان ما وقع في اوائل عهد العباسيين من الفوائل التي نالت اهل البوادي
والحواضر في هذه الديار كانت عقوبة لاهلها عما قدمت ايديهم من خيانة عهد بني
أمية ونقض ايديهم من مروان بن محمد لاول ظهور قوة خصمه وإدبار الامر عنه ،
حتى قاتلوه وطاردوه ، على مثل ما قاتله جيش خراسان العباسي وزيادة ، فتجملوا
انقراض دولة الأمويين معلقين آمالم على الدولة الفتية . ولذلك زعم بعضهم ان
الملك في الشام لا يثبت ، لعدم الثبات المغروس في فطرة اهله ، ولتلوث الطبائع
فيه تلون اقاليمه وسمائه وهوائه . وكان من اثر العادة التي حملها العرب معهم . من
جز يرتهم وهي عادة الغزو المتأصلة في غير سكن المدن ، ان نشبت الثورات وصر
قتل الانفس وغرست هذه الاضطرابات في ارض البلاد فتمت خصوصاً وهي بلاد
جبيلية على الاكثر تصلح للدفاع والهزيمة والاستمرار على المشاكة لصاحب القوة .
بالغ العباسيون في اهراق الدماء في الشام لاول امرهم ، وقضوا على آثار بني
أمية وهي كثيرة جداً بالنسبة لعهدهم القصير ، ومع ذلك كان اسم الأموي والسفياي
يرن في الآذان والمستعدون للثورة يمتشقون الحسام عند اول داعية يسمعون صوته ،
او ناثر يستنبح الناس ويعدم الوعود الخلافة . نعم ان النزاع بين القيسيين واليبانيين

كان في هذا القرن على اشد حالاته ، وهذه العداوة بين المرقيين العظميين من العرب اصرت صرراً بالتمام في البلاد . وكب القيسيون حرب العباسيين على الاعلب والبايون حرب الأمويين والماصة بينهما على الملك والسلطان .

« تعرض رجل للأمون بالتام مراراً فقال له : يا امير المؤمنين اطرب لعرب التام كما بطرت لهم اهل حراسان فقال : اكرت علي يا ابا اهل التام ، والله ما ازلت قيساً من ظهور الخيل الا وارى انه لم يبق من مالي درهم واحد ، واما اليمن فوالله ما احنتها ولا احبتي قط . واما قضاة فسادتها لنظر السعياي وحروحه فتكوب من اشباعه ، واما ربعة فساخطة على الله مدعت به من مصر ، ولم يجرح اتان الا حرح احدهما تائراً ، اعزب فعل الله بك » .

* * *

سب ناعص الرارية) تأصلت النعاص من الرارية والباية . مد كان للعرب والباية وحكمة حكيم) في التام سلطان . وكبيراً ما تظهر بواديه العداوة لسب تافه . فقد ذكروا اب الكيت الشاعر المعروف . مدح الرارية فاحس في مدحه فبحروا بذلك على الباية . اعقد ، وهاثم المال على الكيت . مكافأة له وقام دِعْمَل الحراعي بمدح الباهيين ونعيب غيرهم ، فكان هذا اول الشآب من الرارية والباية ، ومنها تحرب الناس بالماق وتاوت بينهم في الدو . الحصر ، الى ان قام محمد الجعدي متصفاً لقومه فبحرف الناس للدعوة العباسية ونقلل الامر الى انتقال الدولة من بني أمية الى بني هاشم ولم يبق معهم الا من فر سعه مستخياً .

وكان رجال الادارة والسياسة اذا احبوا تسر العدل بين هذين الحبيين العظميين من احياء العرب بتعذر عليهم ذلك الا سمط حقوق الريق الثاني ولذلك عدت من حسن سياسة ابراهيم بن محمد المهدي المعروف بان شككة الهاشمي احي الحليفة الرشيد الما ولي دمشق ، ما اتخذه ، اتدعه من طريقة جديدة ارضى بها قيساً ويماً ، فانه لما حاء عوطة دمشق واما الحيات من مصر . بين فلتقي كل من تلقاه بوجه واحد ، فلما دخل المدينة امر حاحه باحصار وحوه الحبيين وامره بتسمية اتراهم وان يقدم من كل حي الافصل فالافصل مهمم ، وان يأتيه بذلك فلما أتاه به امر تصبير اعلا الناس من

الجانب الايمن مضرياً ، وعن شماله يمانياً ، ومن دون اليمني مضرى ، ومن دون المضرى يمانى ، حتى لا يلتصق مضرى بمضرى ، ولا يمانى يمانى ، فلما قدم الطعام قال قبل ان يطعم شيئاً : ان الله عز وجل جعل قريشاً موازين بين العرب فجعل مضر عمومها ، وجعل بين خوولتها ، واقترض عليها حب الممومة والخوولة ، فليس يتعصب قرشي الال للجهل بالمفترض عليه . ثم قال : يا معشر مضر كآني بكم وقد قلت اذا خرجتم لاخوانكم من بين قد قدّم أميرنا مضر على بين ، وكآني بكم يا بين قد قائم وكيف قدمكم علينا ، وقد جعل بجانب اليمني مضرياً ، وبجانب المضرى يمانياً ، فقلت يا معشر مضر ان الجانب الايمن اعلا من الجانب الايسر وقد جعلت الايمن لمضر والايسر ليمين ، وهذا دليل على تقدمته ايانا عليكم . الا ان علسك يا رئيس المضرية في غدٍ من الجانب الايسر ومجلسك يا رئيس اليمانية في غدٍ من الجانب الايمن . وهذان الجانبان يتناوبان بينكما يكون كل من كان في جهته متحولاً عنه في غده الى الجانب الآخر . فانصرف القوم وكلهم حامد . وهذا من الطف اساليب السياسة واستمالة القلوب بدون خسارة .

ولذلك افتخر ابن شكلة وقال : ما اعلم احداً ولي جند دمشق فسلم من لقب بلقبه به اهل ذلك الجند غيرى ، وذلك ان كل ملقب بمن ولي امرة الشام ، لم يكن الايمن يخرف عنه من اليمانية او المضرية ، فكان ان مال الى المضرية لقبته اليمانية ، وان مال الى اليمانية لقبته المضرية ، فعاملهم ابراهيم معاملة واحدة في الاجتماع وقضاء المصالح . فكانت الحاجة تعرض لبعض الحبين فيسأل قبل ان يقضيا له ، هل لاحد من الحبي الآخر حاجة تشبه حاجة السائل ؟ فاذا عرفها قضى الحاجتين في وقت واحد . قال : فكنت عند الحبين محموداً لا استحق عند واحد منهم ذماً ولا عبياً ولا نبزاً أنزبه وقال ابراهيم : انه ولي دمشق سنين ثم اربع سنين بعدما لم يقطع على احد في عمله طريق . وأخبر ان الآفة كانت في قطع الطريق في عمل دمشق من ثلاثة نفر دعامة والعمان موليان لبني أمية ويحيى بن أرميا من يهود البلقاء وانهم لم يضعوا ايديهم في يد عامل قط ، فكانتهم فارعوى الاثنان وابى الثالث اداء الجزية فقتل في معركة وشاد الايمن في القطر .

ولكن هذه السياسة لم يجر العمل بها دائماً ، فقد ذكروا ان ابراهيم بن صالح والي دمشق في خلافة الرشيد لما خرج منها في الوفد الذي قدم به على الرشيد استخلف ابنه اسحق على دمشق وضم اليه رجلاً من كندة يقال له الميثم بن عوف فغضب الناس وحبس رؤساء من قيس واخذ اربعين رجلاً من محارب فصر بهم وحلق رؤوسهم ولحاهم وضرب كل رجل ثلاثمائة فنفّر الناس بدمشق وتداعوا الى العصية ونشبت الحرب ورجعوا الى ما كانوا عليه من الفل والنهب فلم يزالوا على ذلك اشهرًا قاله ابن عساكر .

* * *

بين قيس وبين / ولي دمشق بعد ابراهيم بن المهدي سليمان بن المنصور
وفتنة المبرقع / فانتبه اهل دمشق وسبوا حريمه وولي بعده منصور بن المهدي ،
وكانت على رأسه الفتنة العظمى ولم يؤد القوم طاعة بعد ذلك ، الى ان افتتح دمشق
عبد الله بن طاهر في سنة عشر ومائتين . ووقعت بدمشق فتن على عهد الامين
وسببها على ما ذكروه انه كان يعجبه البلور فدرس عامله فاخذ له قلة دمشق من
جامعها فلما شعر دمشقيون قالوا « لاصلاة بعد القلة » فصارت مثلاً وافتن الناس
وامتدت فتنهم ولما ولي المأمون ارجع القلة الى محلها . ولعل مسألة القلة اوجدتها انصار
المأمون على الامين حتى لا تبقى ناحية في المملكة الا وتشم بكرامة الامين وتود
لو استبدل غيره به .

وفي ايام المعتصم (٢٢٤) خرجت رجال دمشق على ابي المغيث الرافعي واليها في
طلبهم محمد بن ازهر بن زهرة ، وكان فدعات في مرج دمشق ونقر اهلها واجلام
عنها ، فخرج رجل من بني حارثة اسمه يزيد في جماعة وغيرهم من يمن واجتمعت قيس
بمرج دمشق واقبل محمد بن ازهر فلما صار اليهم خرجوا عليه وجرح وقتل من الجند خلقه ،
ووثب ابن محمد بن صالح بن يهس على بعض امراء السلطان واخذه في جماعة من
قيس بجوران ، واقبل الى مرج دمشق وصار مع يزيد وحاصر دمشق حصاراً شديداً
وغلقت ابواب دمشق ولم يخرج احد الا اختطف . ولما مات المعتصم (٢٢٧)
ثار القيسية بدمشق وعلى رأسهم ابن يهس الكلابي فماتوا وافسدوا وحصروا

اميرهم فبعث الوائق اليهم رجاء بن ايوب الحضاري (وفي رواية رجاء بن اشيم الحميري) وكانوا معسكرين بمرج راهط فنزل رجاء بدير مران ودعاهم الى الطاعة فلم يرجعوا فواعتهم الحرب بدومة فوافاهم فقاتلهم فهزيمهم ونزل منهم نحواً من الف وخمسمائة وقتل من اصحابه نحو من ثلاثمائة وهرب مقدمهم ابن بهيس وصلاح امر دة شق . وقال ابن عساكر : ان الذين ثاروا هم اهل الغوطة والمرج ، ومن قرى الغوطة النائرة كزبطننا وجسرين وسنبا وقرى جرش ومن انشوى اليهم ، وأصيب من ذلك جماعة كثيرة وقاتلهم العامل في جمع عسكرهم بكفر بطننا وهي لقيس ، وثار الناس من النواحي وقتلوا الاطفال وجرحوا النساء ، وهزمهم .

وسار رجاء الى فلسطين لقتال تميم اللخمي ويعرف بابي حرب ويا لقب بالمبرقع الخارج بها في لخم وجذام وعاملة وبلقين فقاتله فانهزم المبرقع واخذ اسيراً سنة ٢٢٧ وكان المبرقع من اهل الغور خلع الطاعة ودنا الى نفسه فتبعه خلق كثير من الحرائث وغيرهم وقالوا : هذا هو السفياي المذكور انه يملك الشام ، واستنحل امره جداً واتبعه نحو مئة الف فاند المعتصم اليه جيشاً فلما قدم الامير رأى أمة كبيرة قد اجتمعت حوله فغشي ان يناجزه والحالة هذه فانظر حتى جا . وقت حرث الارض ، فتصرم عنه الناس الى ارضهم ، وبقي في شردمة قليلة من اصحابه فناهضه فأمره . وروى الطبري : ان سبب خروج المبرقع على السلطان ان بعض الجنود اراد النزول في داره وهو غائب عنها وفيها اما زوجته واما اخته ، فانعتته ذلك فضر بها بسوط اصاب ذراعها فآثر فيها ، فلما رجع ابو حرب الى منزله بكت وشكت اليه ما فعل بها وأرته الاثر الذي بذراعها من ضره فاخذ ابو حرب سيفه ومشى الى الجندي وهو غارث فضره حتى قتله ثم هرب وألبس وجهه بقرعاً كي لا يعرف فصار الى جبل من جبال الأردن ، ولما كثرت غاشيته من الحرائث استجاب له جماعة من رؤساء البانية وارباب البيوت منهم . وروي ايضاً ان خروجه كان في سنة ٢٢٦ بالرملة وصار في خمسين الفاً من اهل اليمن وغيرهم وان القائد العباسي قاتله بالرملة فقتل من اصحابه في وقتين خمسة وعشرون الفاً حتى أسر .

فن اهلية وعصبيات حمصية ولبنانية / وثب في سنة ٢٢٦ علي بن اسحق بن يحيى
 ودمشقية وفلسطينية ومعربية (ابن معاذ وكان على المعونة اي الشحنة
 في دمشق بجراء بن ابي الضحاک وكان على الخراج وقتله ثم عني عن القاتل وفي سنة ٢٣١
 جرى بين الامير هاني والمردة حروب كثيرة في جبل لبنان فانصر عليهم ولقب
 بالفضنفر ابي الالهوال ، وبلغ خبره خاقان التركي خادم الرشيد ، فكتب كتاباً يشكره
 على ما فعل ويحثه على الحرب ، ويخبره انه بلغ حسن سلوكه الى مسامح الخليفة . ومن
 اهم الاحداث في سنة ٢٤٠ وثوب اهل حمص بعاملمهم ، فوجه المتوكل محمد بن عبدويه
 عاملاً عليهم فسكنهم واقام بديارهم عدة شهور ، ثم وثبوا فشنبوا عليه فسكنهم ومكر
 بهم واخذ جماعة منهم ، فحملوا الى باب المتوكل ثم ردوا اليه فصر بهم بالسياط حتى
 ماتوا ، واصلبهم على ابواب منازلهم ، وتبع رجال الفئنة فانهم .

ووثب في هذه السنة اهل دمشق بعامل المتوكل سالم بن حامد لظلمه وعسفه
 فيهم وقتله جماعة من اشرفهم ورؤسائهم فقتلوه على باب الخضراء . قال ابن
 عساکر : ان سالماً كان سيي السيرة اذلاً قوماً من ادل دمشق كان بينه
 وبينهم طائفة ودماء في اهل دولة بني العباس وآخر دولة بني أمية . وكان
 لبني بهس وجماعة من قریش دمشق وسائر العرب من السكوت والسكاسك
 وغيرهم قوة ونجدة فقتلوه على باب الخضراء وقتلوا من قدروا عليه من رجاله
 وسلطوا الموالي على رجالهم واموالهم فسلبوها .

غضب المتوكل لمقتل ثامله وقال : من لدمشق وليكن في صولة الحجاج ؟ فقيل
 له : افریدن التركي . فامر به تجهز اليها في سبعة آلاف واحل له القتل
 والنهب ثلاثة ايام ، فزل يثلمها قرب دومة فبات فيها فلما اصبح قال : يادمشق
 ايش يحل بك اليوم مني . فقدمت له بغلة وهم ليركبها فلما وضع رجله سفي
 الركاب ضربته بالزروج في صدره فسقط ميتاً . وبعد ثلاث سنين جاء المتوكل
 ليسكن دمشق حرباً مما كان يحاذره من شدته على العراقيين فنقل دواوين الملك
 اليها ثم رجع بعد اشهر وهناك قتل وكان من طغاة الملوك يجري في احكامه على
 غير المعقول ويتلوف في مشربه .

وفي سنة ٢٤٨ شغب اهل حمص على عاملهم ايضاً ، فوجه الخليفة اليهم عاملاً آخر فأخذهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وحمل مئة رجل من عيونهم الى سامرا مقر الخلافة بالعراق . وفي هذه السنة غزا الصائفة وصيف ، وكان مقبلاً بالشر الشامي ثم دخل بلاد الروم وفتح بعض الحصون . وفي السنة التالية كان غزوه جعفر بن دينار الصائفة فافتتح حصناً ومطامير ثم غلب وقتل جماعة كثيرة من جيشه . وفي سنة ٢٥٠ وثب اهل حمص بعاملمم فقتلوه فوجه الديلم المستعين من حاربهم فهزمهم بين حمص والرستن ، وافتتح حمص وقتل من اهلها وفيهم خلق من نصارى المدينة ويهودها فقتل مقتلة عظيمة واحرقها . وكان المتوكل امر باخراج النصارى من حمص لانهم كانوا يعينون الثوار . ووثب ايضاً اهل حمص بعاملم مرة أخرى فقتلوه وخافوا عامل دمشق فزحفوا اليه فوجه اليهم بعسكر من البابكية وغيرهم فبوزمهم وانصرفوا الى حمص . وثاروا مرة فأرسل عليهم الخليفة عاملاً آخر فدخل بلادهم عنوة وأباحها ثلاثة ايام وطرح النار في منازلها . وكان الواجب بحمص العطيف ابن نعمة الكلبي في خلق عظيم من عشيرته وغيرهم . وكثر وثوب اهل حمص ، وبعبارة اعم وثوب اهل جند حمص بعاملم لانهم يمايية نزاع الى التورة ، ونار الاحن بينهم وبين القيسية لا تزال موقدة ، ثم انه كان لهم من سكن البلاد الاصليين من غير المسلمين من كانوا يجرؤونهم على شق عصا الطاعة ، فلذلك كثرت ثوراتهم وما يروحوا بثورون حتى اياه المهدي فقد ناروا بمحمد بن اسرائيل فخرج هاربا ولحقه ابن عكار فكانت بينهما وقعة قتلت فيها ابن عكار ورجع ابن اسرائيل على البلد . وفي ايام المستعين وثب بالأردن رجل من لخم فطلبه صاحب الأردن فهرب فقام مكانه رجل يعرف بالقطامي وكثف جمعه فجبي الحراج وكسر جيشا بعد جيش انقدم اليه صاحب فلسطين . فلم تزل هذه حاله حتى قدم مزاحم بن خافان التركي في جمع من الاتراك وغيرهم ففرق جمعهم وبناهم عن البلاد . ووثب بالمعرة المعروف بالقصيص وهو يوسف بن ابراهيم النخعي فجمع جموعاً من نونخ ، وصار الى مدينة قنسرين فحصن بها ، فلم يزل بها حتى قدمه محمد المولد مولى امير المؤمنين فاستماله ، واستعمل عطيف بن نعمة وصار اليه ، ثم وثب بعطيف بن نعمة فقتله ، وهرب

القصيص فصار الى الجبل الاسود واجتمعت قبائل كلب بناحية حمص على الامناع على المولد ، فسار اليهم فواقم فكانت عليهم ، ثم ثابوا عليه فيزموه وقتلوا خلقاً عظيماً من اصحابه وانصرف الى حلب في فائه ، ورجع القصيص الى قنسرين وجرت بينه وبين كلب محاربة وعُزل المولد وولي ابو الساج الاشروسي وكتب الى القصيص يؤمنه وصير اليه الطريق والبذرة ثم ولاه اللاذقية ونحوها -- قاله اليعقوبي .

وفي سنة ٢٥٢ عُقد لعيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني على الرملة فانفذ خليفته ابا الغراء اليها واستولى على فلسطين جميعها وتغلب على دمشق واعمالها وامنع من حمل المال الى العراق فحمل ابن مدبر صاحب خراج مصر الى العراق سبع مائة الف وخمسين الف دينار فعارض عيسى بن الشيخ فذهب بها . وفي سنة ٢٥٦ عزل عيسى عن الشام وولي اماجور الشام فسار واستولى عليه بعد قتال بينه وبين اصحاب عيسى على باب دمشق وانصر عيسى واستقر ، وكان عيسى يومئذ في زهاء عشرين الفاً ، واما ماجور في مائتين الى اربعمائة وقيل الف ، فتغلب قليله على كثير خصمه . وكان اماجور اميراً مهاباً ضابطاً نعملاً حشماً شجاعاً لا يتجاسر احد على ان يقطع في جميع اعماله الطريق وله في باب تأديب العصاة وقطاع الطرق حكايات أثرت عنه .

* * *

الحكم على الدور / مضت مائة وثمان وعشرون سنة على الشام بعد انقراض الاول للعباسيين ا دولة بني أمية ، وهو لا يخلو من فتن وحزازات نسمع فيها اسم السفيناني والأموي العثماني او غيرهم من ارباب العصبيات من العرب ولا سيما قبس وبين . فتن اهلية يثور بركانها ثم يهدم الى حين ، ونزاع الى الملك والسلطان ، ولم تكد البلاد تعامل بالحسنى الا على عهد الرشيد والمأمون فكانت الفتن في عهدهما غير ذات شأن لانها كانا يوليان على الشام اقدر رجالها . والشاهيون يرضيهم من الخلفاء حسن سياستهم ، والنظر بعطف على مصالحهم .

ولقد كانت الشام اوائل الفتح العباسي اتناوبها ودا عبد الله بن علي وصالح بن علي العباسيين واولادهم ثم اخذ عقلاء الخلفاء منهم يولون اولادهم واخوتهم شؤونها . فقد رأينا المهدي ولى ابنه هرون الرشيد ايام كونه ولياً للعهد ولا ية قنسرين او شملي

الشام ، ورأينا الرشيد ولى اخاه ابراهيم بن المهدي دمشق ، ورأينا الرشيد ندب احد عظام رجاله يحيى البرمكي الى دمشق كما رأينا ابنه عهد الى طاهر بن الحسين بولاية مصر والشام وسوّغه خراج مصر سنة وهو ثلاثة آلاف الف دينار ففرقه على الناس وهو على المنبر ، ولم ينزل منه الا وقد اقترض عشرة آلاف دينار ليعطيها لرجل جاء متأخراً والمصلحة تقتضي برة .

وقد رأينا حسن اثر السياسة التي اتبعها ابراهيم بن المهدي في وضع التوازن بين القيسيين واليهانيين في الشام ، فدل على عقل راجح ، وارادة هاشمية قوية ، وكان بسياسته حائلاً دون المشاغبات الباطلة ، والتي في البلاد مدة ست سنين سلاماً محبوباً ، وكانت من قبل تأجج فيها نيران العصبية الجاهلية . ولكن المتوكل الخليفة المحقق ، اوسع مجال الخلف بينه وبين رعيته واكبر امر فنة حدثت في دمشق ، فأباحها لعامله التركي ، ولكن الشعب في بغداد اطلّ دمه لخرقة ، وهلك عامله قبل ان يباشر بجبره فتهكك وسبه ونهيه ، على نحو ما ارتكب العمال قبله في المتوثبين على العمال من اهل حمص .

وام الاغلاط التي ارتكبتها المعتصم ادخال الاتراك في جنده ، فكان الاعتماد عليهم في الجيش العباسي كالاغلاط على اهل خراسان الاعاجم لاول الفتح من امم الدواعي في اغضاب العرب فأدى هذا الإيثار الى نزع الحكم من العباسيين ، حتى دخل الوهن بدخول الاتراك على الدولة ، فأضت بصنيعهم الخلافة العباسية اسمية دينية فقط لانعدى قرى بغداد الا قليلاً ، وغدا الحكم الفصل لمن قويت شكيمته من البلاء واستجاش الانصار والاعوان . وبعد ان كانت بغداد ترسل الى الشام اولاد خلفائها واعاظم قوادها من الاصول اصيحت ترسل اليها من الفروع افر يدون التركي وخاقان التركي ومحمد المولد من الموالي فظهير الفرق في صورة الحكم لان الحكم كان في الغالب فردياً لا علاقة للجماعة به الا اذا احبّ صاحب الامر استشارة اهل الرأي استشارة خاصة ودية وله الحرية ان يميل بما ارتأوه ولا احد يكرهه على قبول رأيه . فمن ثم اقتضى ان يكون العامل في الغاية اصالة ونبالة وعلماً ونزاهة .

افضى هذا التساهل مع الاعاجم والاعتماد عليهم ، الى جر البلاء على الخلائف من

نبي العباس ، وبعد ان كانت وصية ابراهيم الامام الذي مات في سجن مروان الجمدي الى ابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة : « انظر الى هذا الحي من اليمن فالزمهم ، واسكن بين اظههم ، فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم ، واتهم ربعة في امرهم ، واما مضر فانهم العدو القريب الدار واقتل من شككت فيه وان استطعت ان لاتدع بخراسان من يتكلم بالعربية فافعل ، واما غلام بلغ خمسة اشبار واتهمته فاقتله » اصيحتُ نفتح للاتراك ابواب دار الخلافة لكل دخيل على العرب ولم يعد حكم لقيس ولا يمن بل للاعاجم من الفرس والترك والديلم . وفي ايام المأمون نشأت الدعوة الشعبية اي الخط من قدر العرب وتفضيل العجم عليهم ، فتبدلت روح الدولة ، واخذ العربي يبغض العجمي والعجمي ينال من العربي ، منذ كانت السلطة لاءبناء خراسان اما بدخول الاتراك فالمسألة بلغت اقصى حدودها الخطرة ، وكادت مقاليد الخلافة تخرج من ابناء دأشم بعد عصر المعتصم .

كانت مسألة دخول الاتراك في الدولة باديء بدء مسألة ساذجة في ذاتها وهي ان المعتصم جمع الاتراك وشراهم من ايدي مواليه فاجتمع له منهم اربعة آلاف فالبسهم انواع الدباج ، والمناطق المذهبة ، والحلية المذهبة ، وابانهم بالزي عن سائر جنوده ، واصطنع قوماً من اليمن وقيس وسهام المغاربة واعد رجال خراسان من الفراعنة وغيرهم والاشروسية - فلما تم هذا كثرت شكايبة الناس اولاً من ابناء الاتراك لعواء بغداد ، وكما زادت الشكايبة توغل الاتراك في جسم المجتمع العباسي . وحاول من جاء بعده مثل المعتز ان يتخلص منهم ولكنهم كانوا تأصلوا في جسم الدولة وافسدوا عليها امرها واكل اجل كآاب .

ظهور الدولة الطولونية وانقراضها

من سنة ٢٥٤ الى ٢٩٢

— — — — —

ظهورت بوادر الضعف في العباسيين ، وكادت تصبح سلطتهم اسمية ، وخلافتهم دينية لا دنيوية ، ساعد على ذلك اشتغال الخلفاء بعد المعز بانفسهم ، فغلب كثير من الامراء على الاطراف ، واصبحت البلاد رهن ايدي المتغلبة من العمال ، مع ان معظم الخلفاء الأول الي ما بعد المعتصم كانوا على غاية من العلم والاخلاق وحسن السياسة ، ومن النادر ان يتسلسل هذا الرقي في الاخلاق في آل بيت واحد على اطراد جميل ، كما تسلسل في بني هاشم لأول امرهم ، ولكن منهم من ساعدهم الطالع ومنهم من خانهم ، والسعادة أكثر من الشقاء في الجملة .

وبينا كانت دولة الأمويين في الاندلس في إبان عزها في القرن الثالث ، كانت دولة العباسيين تضطرب وتضيق بقمتها في هذا الشرق القريب ، خصوصاً في النصف الثاني من المئة الثالثة ، وعمال فارس ومصر والشام وغيرها يقطعون الخراج عن دار الملك ، ويستبدون بالامر ، وليس للخليفة العباسي الا الخطبة والسككة ، بل ان المتغلب على قطر قد يقرب اسمه الى اسم الخليفة في الرعاء ، ويضرب السككة باسمه او باسميها معاً . وكانت الدولة الى هذا العهد لا تقوم لها قائمة الا اذا جمعت بين السلطتين الدينية والدنيوية ، فاذا ضعفت احدها في القائم بامر المسلمين ، أصاب القوة الثانية ضعف عطلها عن العمل النافع .

وكما كان خلفاء بني العباس يعتمدون على الاعاجم ، وفي ولاية عمالاتهم ومقاطعاتهم وقيادة جيوشهم ، كانت الدولة العباسية تقرب من الانقراض ، ففسدت عصبية العرب كما قال ابن خلدون في بني العباس لعهد دولة المعتصم وابنه الواثق ، لاستظهارهم بالموالي من العجم والترك والديلم والسجوقية اي التركن وغيرهم ، ثم تغلب الاولياء على النواحي ، ونقلوا ظل الدولة ، فلم تكن تعدو اعمال بغداد حتى زحف اليها الديلم وملكوها وصار الخلائف في حكمهم .

وقال المقرئ : اختص المعتصم الاتراك ووضع من العرب واخرجهم من الديوان واسقط اسماءهم ومنعم العطاء ، وجعل الاتراك انصار دلتة واعلام دعوتها ، وكان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة ، فيستخلف على ذلك العمل الذي نقله من يقوم بامرته ويحمل اليه ماله ، ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة ، وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ، ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس ، وقلد الواثق ايتاح ، والمتوكل بقا ووصيف ، وقلد المهدي اماجور وغير من ذكرنا من اعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ . فضعت الدولة العباسية بعد الاستفحال وتغلب على الخليفة فيها الاولياء والقراية والمصطنعون وصار تحت مجرم من حين قتل المتوكل فتغلب على الواحي كل مملك .

احمد بن طولون وسيا) وكان من اهم المتماكين النازعين ربقة الخلافة احمد
الطويل واحداث أخرى) ابن طولون في مصر والشام اول من تغلب ظفر حقيقة
بملك الشام فما وسع العباسيين الامصانته بعد ان حاولوا محاربهه فعمجزوا فقد كانت ديار
مصر قد اقطعها بابكباك وهو من اكابر قواد الاتراك وكان مقبياً بالحضرة اي سيفه
عاصمة الملك في بغداد فاستخلف بها من ينوب عنها ، وكان طولون والدا احمد بن طولون
ايضاً من الاتراك ومن انبائه ، وقد نشأ بعد والده على طريقة مستقيمة ، وسيرة
حسنة فالتحق بابكباك من يستلمه بمصر فأشير عليه باحمد بن طولون فولاه المعتز بالله سنة ٢٥٤
مصر . وفي سنة ٢٦٤ توفي ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي ففرك ذلك احمد بن طولون

على فتح الشام فكتب الى عليّ يخبره بأنه سائر اليه وامره باقامة الانزال والميرة لمساكره فرد علي بن ماجور احسن جواب، وخرج ابن طولون في المطوعة من مصر وفلسطين فبلغ الرملة فتلقاه محمد بن رافع خليفة ماجور عليها واقام له الدعوة بها فاقره عليها، ومضى الى دمشق فتلقاه علي بن ماجور واقام له بها الدعوة واحتوى على خزائن ماجور فاقام بها احمد حتى استوثق له امرها، ثم استخلف عليها احمد بن دوغياش ومضى الى حمص فلقبه عيسى الكرخي خليفة ماجور عليها فسلمها اليه ثم بعث الى سيبا الطويل التركي وهو بانطاكية بأمره بالدعاء له فلم يجبه سيبا، فتمصن بانطاكية في جيش من الاتراك وغيرهم وامنع فحاصره احمد ورمي حصنها بالمنجنيق، وطال حصاره لها فاشتد ذلك على اهلها فبعثوا الى احمد بن طولون يخبروه بالموضع الذي يمكنه ان يدخل اليها منه فقصده، وعاونته اهلها على سيبا فدخلها في المحرم سنة خمس وستين ومائتين فقتل سيبا واستباح امواله ورجاله ٥٠ وكان قبل نزول ابن طولون على أنطاكية (٢٦٤) وقع بين سيبا وبين احمد المؤيد حروب كثيرة ببلاد جند قدسرين والعوام من ارض الشام، وكان سيبا قد عم اذاه اهلها من قتل واخذ مال، فقتل ابن طولون سيبا الطويل بعد حصار وأأس من فتح انطاكية، وذلك بمعاونة بعض اهلها من داخل السور « فعاش ابن طولون ساعة بانطاكية وشمل الناس اذام ثم رفع ذلك لساعتين من النهار وارتحل ابن طولون يوم النفر الشامي » فاستولى ابن طولون على الشام اجمع والنفور حتى حكم من مصر الى الفرات، ومن مصر الى المغرب، وكان ذلك مدة اشتغال الموفق ابي احمد طلحة بن المتوكل بحرب الزنج .

كان ابن طولون اول من اقتطع جزءاً من المملكة الاسلامية عن الخلافة، وجمع بين ملك مصر والشام في الاسلام، فكان لمن بعده من المستبدين بالنواحي قدوة ومثالاً . واخذ يستكثر من مشترى المالك والديالة حتى بلغت عدتهم اربعة وعشرين الف مملوك واربعين الفا من العبيد الزنج واستكثر من العرب حتى بلغت عدتهم سبعة آلاف . وذكر بعض المؤرخين : ان ابن طولون كان أعد باصر الخليفة جيشاً مؤلفاً من مئة الف انسان لقتال احد الخوارج على الخلافة . في الشام — وهو سيبا الطويل على الارجح — فلم يعد له به حاجة وكانت هذه الكتلة من الجند سبب فوزه فانه ابقى الجيش فكانت به سعاده .

وقويت شوكة ابن طولون واخذ ملك الروم يهاديه ويطلب رضاه لاتساع مملكته ومكانتها بين مملكة الشرق ومملكة الغرب الاسلاميتين ، ولم يلبث احمد بن طولون ان اخذ على الجند والشاكرية والموالي وسائر الناس البيعة لنفسه ، على ان يعادوا من عاداه ويوالوا من والاه ويحاربوا من حاربه من الناس جميعاً . فعندها سطا ابن طولون على الخليفة ، وادعى الخلافة لنفسه بمصر ، وانفرد بخراجها ، فحاربه الخليفة المعتضد بالله اشد محاربة فلم يقدر عليه ، ولما لم يجد الخليفة بداً من مصانعته ، وادرك ان ابن طولون التركي لم يقض على دولة سيما الطويل التركي واما جور التركي حبا بسوادعيون خلفاء بغداد بل ليستأثر بالامر دونهم ، لما ادرك ذلك اضطر الى مراعاته والاكتفاء بما يناله منه من النفوذ والسلطان .

وكان ابن طولون لعدله وحسن سياسته يفضله الناس على بعض الخلفاء ، وفي الحق انه كان على جانب من العدل ، وحسن السيرة ، وعلو الهمة وبعده النظر ، والفكر في عمران مملكته حتى زاد خراجها ، وكان هديه في ذلك هدي المعتصم العباسي وكان هذا يجب العمارة ويقول ان فيها اموراً محمودة : اولها عمران الارض التي يبيح بها العالم ، وعليها يزكو الخراج ، وتكثر الاموال ، وتعيش البهائم ، وترخص الاسعار ، ويكثر الكسب ، ويتسع المعاش ، وكان يقول لوزيره محمد بن عبد الملك : اذا وجدت موضعاً متى انفقت فيه عشرة دراهم جاء في بعد سنة احد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه . فاستعان ابن طولون بما كانت البلاد تدر عليه من الخراج على تقوية سلطانه وكثرت صدقاته ، وما يجريه على القراء والفقهاء ، حتى كان يرسل كل سنة مائة الف دينار لفقراء بغداد عدا كساوي الصيف والشتاء

ولما رأى الخليفة ما يعدُّ ابن طولون من العدد ، لبث دعوته ونشر كلمته ، وانه لا يألو عن الجهد في حاجته ، لم ير الا ان تسفر الحرب بينها بعد ان اسفرت ، ويحمد الى طرق من السياسة تبق على شأن الخلافة التي اقتطعت منها اهم اجزائها ، وتوشك ان تلحقها اقطار أخرى وتضم اليه العراق ايضاً — طلب الخليفة الى ابن طولون ان يزوجه ابنة ابنه 'خمارويه واسمها قطر الندى وقال : ما قصدت بهذا الزواج الا ايقنار ابن طولون لانه يضطر ان يجهزها بجهز لم تجهز به عروس من قبل ، وكان الامر كما قال ،

فانها جهزت بما استفرغ خزائن صاحب مصر والشام . قيل انه كان في جهازها الف هاون ذهباً فقط . وكنت قطر الندى من اجمل بنات عصرها ، واكثرهن ادباً وفضيلة . وقد عقد لما على المعتضد سنة ٨١ وشرط المعتضد على ابيها ان يحمل كل سنة بعد القيام بجميع وظائف مصر وارزاق اجنادها مائتي الف دينسار . وفي رواية ان المعتضد جعل لخمارو به الدلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على ان يحمل في كل عام مائتي الف دينار عما مضى وثلاثمائة الف للمستقبل . وان وزير المعتضد عبيد الله بن سليمان سعى مع ابي الجيش خمارو به ، على ان يقنصر على حمص ودمشق والأردن وفلسطين ومصر وبرقة وما والاها ، ، وينجلي عما كان في يده من ديار مصر وقنسرين والمواصم وطريق الفرات والثغور ، فاجاب الى ذلك وكتب سجلاً اشهد فيه على المعتضد وعلى خمارو به .

دام ملك احمد بن طولون في مصر والشام اثنتي عشرة سنة ومات لست وعشرين من ولايته مصر ، ولولا سفكه للدماء امدت بعدله وعقله وعلمه وسخائه من افراد العالم . ومن الاحداث في عهده ما وقع من العصابة بفلسطين (٢٥٧) بين ظلم وجزام فقاربوا حرباً اخذت من الثريقين وما وقع (٥٨) بين الامير نعان الذي حصن سور مدينة بيروت وقلعتها و بين المردة في لبنان من قتال عظيم على نهر بيروت دام اياماً حتى انهزموا وقتل منهم بعضهم واسر بعضاً ، فارسل الرؤوس والأمرى الى بغداد ، فعرض الامر على الخليفة واكرموا رسله وكتب المتوكل اليه كتاباً يمدح شجاعته ويحرضه على القتال ، واقره على ولايته هو وذريته ، وارسل له سيفاً ومنطقة وشاشاً اسود ، وكتب اليه اخوه الموفق وغيره كتباً يمدحونه بها فزينت البلاد واشتد امره وعظم شأنه وفي بعض الروايات ان القتال على نهر الكلب دام سبعة ايام فانكسر عسكر المسلمين وقتل المقدم سمان وأقيم مكانه خاله المقدم كسرى وهو الذي ذهب الى القسطنطينية ثم عاد الى بلاده وكانت خربت من تواتر الغارات عليها فعمرها وسميت باسمه كسروان . ومنها خروج رجل من ولد عبد الملك بن صالح الهاشمي يقال له بكار بن سلمية وحلب وحصن فدعا سنة ٢٦٨ لابي احمد الموفق ، فخاربه ابن عباس الكلابي فانهمز الكلابي ، ووجه اليه لؤلؤ صاحب ابن طولون قائداً في عسكر كثيف فرجع وليس معه كثير احد

ومنها مخالفة لؤلؤ غلام ابن طولون على مولاه سنة ٢٦٩ وكان في يد لؤلؤ ٣٠ ص
وقنسرين وحلب وديار مصر من الجزيرة وسار الى بالس ونهبها ، وكاتب الموفق
في المصير اليه ثم سار اليه ، ولما وثب خلف عامل ابن طولون سنة ٢٦٩ ببازمان
الخدّام في الثغور الشامية امر الموفق بلعن احمد بن طولون على المنابر . وفي هذه
السنة ايضاً كتب احمد بن طولون الي اهل الشام يدعومهم الي نصر الخليفة وفيه غزاه
الصائفة من ناحية الثغور الشامية خلف الزرغاني عامل ابن طولون ، فقتل من الروم
بضعة عشر الفاً وغنم الناس . وبلغ ابن طولون قدوم عرب من الحجاز الى حوران
فارسل الي صحراء أذرعان نحو خمسين الفاً فتلقاهم الامير عامر الملقب بالاذرعاني
بخمسة عشر الفاً فكسروهم . والامير عامر هو من نسل الحرث بن هشام الخزومي
الذي ارسله الخليفة الثاني الي الشام مع ابي عبيدة بن الجراح اميراً على بني مخزوم
فسكن ولده حوران وتولوا الاعمال للأمو بين ثم للعباسيين وسموا ببني شهاب نسبة
للأمير شهاب الخزومي والي حوران المتوفى سنة ١٧٣ ثم انتقلوا الي وادي التيم ولبنان
وحكوها في ادوار مختلفة .

عهد ابي الجيش } خلف احمد بن طولون ابنه ابو الجيش خمارويه وكان على
خمارويه وجيشه } قدم ابيه في الاستكثار من العدد والعدد وترتيب الرواتب
الدارة والمشاهرات والجرابات لجيشه وغيره . وقد بلغ جيشه في الشام ومصر نحو
اربعمائة الف فارس على ماروي اصحاب السير . ولا شك ان مثل هذا الجيش
وما يلحقه من الرجال والمتطوعة تنتج به ممالك الخلافة العباسية كلها . وربما كثر
جيشه وجيش ابيه من قبله اول جيش جعل على الدوام تحت السلاح وعلى قدم الطلب .
ولم يكن القصد من ذلك الا التغلب حين سنوح الفرصة على البلاد والمناذاة بالخلافة
لبني طولون لانها تمت لهم ادواتها الا الشرف العباسي والنسبة الي بني هاشم الكرام مما
يصعب فيه التدبير ولا يشري بمائ ولا ينال بحيلة .

ولما بايع الجند ابا الجيش خمارويه بن احمد بن طولون بعد وفاة ابيه ، امر بقتل
اخيه العباس لامتناعه عن مبايعته ، وعقد لابي عبدالله احمد الواسطي على جيش الشام ، وعقد

لسعد الاعسر على جيش آخر ، وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية ، فزل الواسطي فلسطين وهو خائف من خمارو به ان يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس ، فكتب الى ابي احمد الموفق اي المعتضد يصغر امر خمارو به ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداج ومحمد بن ابي الساج ، ونزل الرقة فسلم فenser بن والعوامس وسار الى شيزر ، فقاتل اصحاب خمارو به وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارو به في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين ، فالنقى واحمد بن الموفق بنهر ابي فطرس (العوجاء) المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقنلا ، فانهمزم اصحاب خمارو به وكان في سبعين الفا وابن الموفق في نحو اربعة آلاف ، واحتوى على عسكر خمارو به بما فيه ومضى خمارو به الى القسطنطينية . واقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارو به فخار ب ابن الموفق حتى أزاله عن العسكر وهزمه اثني عشر ميلاً ومضى الى دمشق فلم يفتح له ، وسار سعد الاعسر والواسطي فملكوا دمشق ، وخرج خمارو به من مصر فوصل الى فلسطين ثم عاد الى مصر ثم خرج سنة ٢٢ فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ٢٣ .

قال ابن عساکر : وسعد الاعسر ويقال الاعسر التركي ولي امرة دمشق من قبل ابي ابيش خمارو به بن احمد بن طولون (٢٧٢) ولما قتل في قصر نخلة فيما بين الرملة وبيت المقدس اضرب الناس بدمشق . وكان سعد الاعسر قد فتح طريق الشام للحجاج لان الاعراب كانوا قد تغلبوا على الطريق قبل ولايته ، وكان قد بطل الحج من طريق الشام ثلاث سنين ، فخرج سعد الى الاعراب وواقهم وقتل منهم حلقاً عظيماً وفتح الطريق للحجاج ، وكانت قائمهم في المحل المعروف بالقسطل ، فأحبه اهل دمشق وانعموا لقتله فراح الناس بدمشق وضيغوا في مسجدها الأيوبي ودعوا على من قتله ، وافنتن البلد حتى وافاهم ابو الجيش بن خمارو به فهدد البلد والناس وبعث الى طريق الحاج من اصحابها ، وفرق في دمشق الاً عظيماً على الفقراء والمساكين والمستورين وأهل العلم ، ومال اليه اهل دمشق وأحبهوا . قال بعضهم ولما تغلب الاعراب على بعض نواحي دمشق وجه اليهم « طباره جي ؟ » فقتل منهم مقتلة عظيمة

ثم سار ابو الجيش خمارو به لقتال ابن كنداج فكانت على خمارو به ، فانهمزم اصحابه وثبت هو في طائفة ، فهزم ابن كنداج وابتعد حتى بلغ اصحابه مُسراً من رأى ثم اصطالحا وتظاهرا ، وأقبل الى خمارو به فأقام في عسكره ودعاه في اعماله التي بيده . وكتب خمارو به ابا احمد الموفق في الصلح فأجابه الى ذلك ، وكتب له بذلك كتاباً بولاية خمارو به وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ، وبعبارة أخرى ولاء من الفرات الى برقة ، فأمر خمارو به بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه بعد ان كان خلعه من العهد . ثم باغى مسير محمد بن أبي الساج الى اعماله الشمالية فخرج اليه ولقيه في ثنية العقاب من دمشق فانهمزم اصحاب ابن أبي الساج وثبت هو فخار به حتى هزمه اقمح هزيمة ، واستبيح عسكره قتلاً وأسرأ واتبعه جيش الى الفرات . وفي ذلك يقول المجتري :

وقد تولت جيوش النصر منزلة على جيوش ابي الجيش بن طولونا
يوم الثنية اذ ثنى بكترتة خمسين الفاً رجلاً اويزيدونا

عهد جيش بن خمارو به وظهور) وفي ايام الامير خمارو به بن احمد بن طولون القرامطة وانقراض الطولونية) استقامت شؤون الديار المصرية وانصلحت أحوال الناس ، ومع ان ايام المعتضد العباسي كانت ايام فتوق وخوارج كثيرين فقد حمدت سيرته . ولي الدنيا خراب ، والثغور مهملة ، فقام قياماً مرضياً كما قال المؤرخون حتى عمرت مملكته ، وكثرت الاموال ، وضبطت الثغور ، وكان قوي السياسة ، شديداً على أهل الفساد ، حاسماً لمواد أطاع عساكره عن اذى الرعية ، محسناً الى بني عمه من آل ابي طالب . وفي سنة ٢٨٢ ذبح ابو الجيش خمارو به في دمشق على فراشه ، ولما بلغ المعتضد ذلك قتل من خدمه الذين باشروا قتله نيفاً وعشرين خادماً . وكان مقتل خمارو به في قصره بسفح قاسيون أسفل دير مران بدمشق بعد ان فتح الشام كله ، ولم يسع الخليفة الا اقراره على عمله والاكتفاء بما لم يحمل اليه في بغداد وخلفه ابنه جيش بن خمارو به فغلبه طبع بن جف امير دمشق سنة ٢٨٣ واخلف جيش جيش عليه لصباه ونفر به الاراذل

وتهديده قواد ابيه ، فثاروا عليه وقتلوه ، ونهبوا داره ونهبوا مصر واحرقوها ، واقعدوا هارون بن خمارويه في الولاية ، وعصا هارون بن خمارويه على الخليفة ، وبعد حروب كثيرة عقد الصلح بين الخليفة العباسي وبين هارون سنة ٢٨٦ فبقيت حاب للخليفة وما زالت الدولة بالفعل في الشام ومصر لبني طولون وبالاسم لبني العباس حتى سنة ٢٩٢ ، وقد بعث الكتفي العباسي مع محمد بن سليمان احد قواد بني طولون وكاتب جيشهم ، وكان استوحش منهم فلحق بالعتضد فاستولى على دمشق ثم سار الى مصر وذبح ابناء بني طولون وهم عشرون انساناً ، ذبحهم بين يديه هم وقوادهم كما تذبح الشياه ، واشخص من ابقى عليه من آلهم وقوادهم الى بغداد ، فانقرضت بذلك الدولة الطولونية .

ومن الاحداث في اواخر ايامهم في الشام ، حفر اولؤووالي المرة غلام وصيف بن صوارتكين امير حمص خندقاً على مرة النعمان ، وحاصره سنة ٢٨٧ جهير بن محمد النوخى وبنو كنانة وطال القتال ولم يفتحها وفي سنة ٢٨٩ كانت حرب بالشام بين طنج بن جف الفرغاني عامل دمشق وحمص والأردن لهارون بن خمارويه وبين القرامطة بالموضع المعروف بوادي القردان والافاعي من أعمال دمشق . وفي هذه السنة ظهر بالشام رجل جمع جمعاً كثيرة من الاعراب وغيرهم ، فأق بهم دهش وبها طنج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن احمد بن طولون على المعونة (الشحنة) فكانت بين طنج وبينه وقعات كثيرة قتل فيها خلق كثير . وفي السنة التالية اشتدت شوكة القرامطة حتى هزموا جيش طنج وحاصروا دمشق ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ فقام في القرامطة اخوه الحسين وتسمى باحمد وأظهر شامة بوجهه زعم انها آية فسمي بصاحب الشامة وكثر جمعه ، فصالحه أهل دمشق على مال دفعوه ، ونقرمط اكثر من حول دمشق من الفوطية وغيرها وعاضدوه ، ثم انصرف عن دمشق فغلب على حمص ، وخطبوا له على منابرها وتسمى بالمهدي امير المؤمنين ثم ساروا الي حماة والمرة وغيرهما وقتل اهلها حتى الاطفال والنساء وأخذ سلمية بالامان فبدأ بن فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البيهائم وأباد اهل بعلبك . وأرسل اليهم المكتفي بالجيش من بغداد ، وكانت

دور الدولة العباسية الاوسط

« الاخشيدية والحمدانية والفاطمية »

٢٩٢ - ٣٦٤

— — — — —

القرامطة والبوادي (لم يكف الشام ما ثار فيها من الفتن والحروب الالهية ،
والخوارج) حتى جاءها القرامطة من العراق يعيشون في ارضها ،
ويقولون سكان المدن والقرى ، و يبتون دعوتهم في النفوس ^(١) . وهم خوارج قطعوا
السبلة واهلكوا الحجاج . نشأوا في ايام الكنتي العباسي وكانت اول وقعة لهم في
الشام سنة ٢٨٩ هـ وهزموا في السنة التالية جيش طنج بن جف النرذاني وحصروا دمشق
ثم اجتمعت عليهم العساكر وقتلوا مقدمهم يحيى المعروف بالشيخ ، فقام في القرامطة
اخوه الحسين وتسمى باحمد ، واغلب شامة بوجهه زعم انها آيته ، فسمي بصاحب الشامة
وكثر جمعه ، فصالحه ادل دمشق على مال دفعوه ، ونزرمط اكثر من حول دمشق
من الفوطة وغيرها وعاضدوه ، ثم انصرف عن دمشق فغلب على حمص وخطبوا له على

(١) القرامطة منسوبون لحمدان قرمط ، لقب بذلك لقرمطته اي نقر به في
خطه او خطوه . ودعوة القرامطة من الدعوات الباطنية وهؤلاء دهرية يقولون بقدم
العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها يميلون كما قالوا الى استباحة كل ما يميل اليه الطبع
وشعارهم : ادع الناس بان نقترب اليهم بما يميلون اليه واوهم كل واحد منهم بانك منهم
فن آنت منه رشداً فاكشف له الغطاء

منابرها ، وتسمى بالمهدي امير المؤمنين ثم سار الى حماة والمرة وغيرها وقتل اهلها حتى الاطفال والنساء . واخذ سلمية بالأمان فبدأ بن فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم اجمعين ثم قتل البهائم ، ووجه الى بعلبك فاباد اهلها ، وكانت الواقعة الفاصلة (٢٩١) بين عساكر الخليفة التي وجه بها من بغداد بمكان بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا اسمه تمنع ، وهي قرية قرب المرة على الطريق الآخذة من حماة الى حلب .

وكانت عساكر الدولة الطولونية وافت دمشق (٢٩٠) فواقعو القرمطي بالموضع المعروف بكنناكرو وكوكب من اقليم وادي العجم ، فاصبح القرامطة بين جيشين جيش الطولونيين من امامهم وجيش الخليفة من ورائهم . وكان من امر جيش العراق ان وصل من طريق الموصل الى وادي بطنان قرب حلب وفي جملة قواده ابو الاغر فززع فيما ذكر جماعة من اصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادي يتبردون بمائه ، وكان يوماً شديداً الحر ، فبينما هم كذلك اذ وافى جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامه وقد بدرهم المعروف بالبطوق فكبسهم على تلك الحالة فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وانتهب العسكر وافلت ابو الاغر في جماعة من اصحابه ، فدخل حلب وافلت معه مقدار الف رجل ، وكان في عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضم اليه جماعة ممن كان على باب السلطان من قواد الرعاينة ورجالهم ، فلم يفلت منهم الا اليسير ، ثم صار اصحاب القرمطي الى باب حلب فحاربهم ابو الاغر ومن بقي معه من اصحابه واهل البلد ، فانصرفوا عنه بما اخذوا من عسكره من الكراع والسلاح والاموال والامتعة ، بعد حرب كانت بينهم ، ومضى الكندي بمن معه من الجيش حتى انتهى الى الرقة فزلها وسرح الجيوش الى القرمطي جيشاً بعد جيش .

وكان الكندي العباسي عهد بامارة الشام الى احمد كية بلغ سنة ٢٩١ — فبقي بها ايام الكندي والمقتدر والظاهر ولم يصرفه عنها الا الراضي سنة ٣٢٣ — وهو معروف بطاعته للبخنااء وشياعته ، وصار ابن كيغلغ الي مصر لقتال النخيلي الثائر ، فواقعه بالقرب من العريش فانهزم اقبج هزيمة فطمعت القرامطة في دمشق لغيبة ابن كيغلغ عنها ، فنهبوا فيها وساعدوا بعض السكان دانوا بمذهبهم ، ثم سار القرامطة الى طبرية (٢٩٣) وقتلوا اكثر اهلها رجالاً ونساءً واولاداً . ونال المسعودي : ان القرمطي

الذي خرج يكنى اباغانم وقد خرج في جمع من كلب وقوي امره وكثر اتباعه فوجه الخليفة الى الترامطة الحسين بن حمدان بن حمدون فحاربهم الى ان ظفروهم واحضر رأس صاحبهم الى بغداد ، وكان القرمطي سيفه طريقه الى طبرية مرة بمدينتي بصرى وأذرعان فحارب اهلهما ثم أمتهنهم ، فلما استسلموا له قتل مقاتلتهم وسبي ذرارهم واستاق اموالهم ، ثم نهض الى دمشق ففرج اليه من كان بقي بها مع صالح بن الفضل خليفة احمد بن كيناع ، فقتل صالحاً وفض عسكره ، ولم يطمع في دمشق اذ دافعهم اهلهما عنها .

وبالزمر الذي اظهره المكنتي في قتال القرامطة بالشام والجيوش الكثيرة التي سرحها من بغداد وسرحت له من مصر اضمحل امر هؤلاء الباطنية الآن ، ولم يسم لهم امل بعد في ملك ولا مال ، وانقض عنهم جماعة الاعراب والمتلصصة ، ومن قال بقولهم ، وشايعهم على قيام امرهم من البوادي ، ولولا ذلك الحزم لا شكوا ان ينشئوا لهم ملكا بالشام وقد اتخذوا اسبابه ، ومالاً ثم بعض العامة على اهوائهم ، ولو ظفروا في وقعة او وقعتين لثمت أمنيتهم ، ونشأت في الشام دولة جديدة لهم . وكان ادعى القاسموني بها الشرف وانهم يمتون بالقرابة الى آل البيت . قال بعض المؤرخين : ان القرمطي في الشام المكنتي ابا القاسم كان ينتمي الى آل ابي طالب .

واستطاب بعض اعراب الشام على عاداتهم ، ما اصابوا من حلواء المغانم في ايام القرامطة ، فعاش بنو تميم في اعمال حلب وافسدوا فساداً عظيماً وحاصروا واليها زكا بن الاعور . فكتب المقتدر بالله الى الحسين بن حمدان في انجاد زكا بحلب ، فكانت وقعة بين الحسين بن حمدان وأعراب كلب والنمر واسد وغيرهم (٢٩٤) فاجتمعوا عليه وهزموه حتى بلغوا به باب حلب ثم أسر منهم وقتل . وفي سنة ٢٩٨ كان دخول فارس صاحب مراكب الروم وحربها الى ساحل الشام فافتتح حصن القبة بعد حروب طويلة وعدم مغيث يغيثهم من المسلمين وافتتح مدينة اللاذقية فسبى منها خلقاً كثيراً .

ومن اهم الاحداث ما وقع من الهجج بدمشق في زمن دصيف المكتمري الذي ولي أمارة دمشق في ايام المقتدر بعد هلال بن بدر (٣١٦) وفي ايامه خلع المقتدر المرة

الثانية ثم رجعت اليه الخلافة ، فطلب الاولياء من الكتعمري البيعة له بدمشق فامتنع عليهم ، فركبوا الى داره بالسلاح والنفاسات . وكانت دار الامارة في تلك الايام خارج لؤاوة الصغيرة على نهر بانيساس فأحرقوها وبقيت صحراء . وفي هذا الدور سار (٣١٩) طريف بن عبد الله السكري الخادم والي حلب على بني القصيص النوخيين وحاصرم في حصونهم باللاذقية وغيرها فحاربوه حرباً شديدة ثم نزلوا على الامان .

ومن أم الكوائن في خاتمة القرن الثالث ظهور ابن الرضا وهو محسن بن جعفر بن علي بن محمد بن نلي بن موسى بن جعفر بن محمد في اعمال دمشق في سنة ثلاثمائة ، وكانت له مع ابي العباس احمد بن كتيبة ملح وقعة فقتل صبراً ، وقيل قتل في المعركة وحمل رأسه الى مدينة السلام فنصب على الجسر الجديد بالجانب الغربي ذكر ذلك المسعودي . ولو تم الامر لابن الرضا لقامت دولته قبل دولة الفاطميين .

الدولة الاخشيدية } ظن بنو العباس انهم نجوا من نائر بنا ب دولتهم العدا ، في الشام ومصر يوم قضاوا على ابناء طولون وقوادهم وقروضا
الدولة الطولونية آخر الدهر ، وقتلوا ابن الرضا القائم بتأسيس دولة علوية جديدة ، كما قتلوا القرمطي القائم بدعوة متدرعة بالعلوية . وما كانوا يظنون ان تظن لهم في الحال دولة أخرى قامت على اقتراض الطولونية وان لم تكن مثلها استعداداً وعدلاً فليست دونها من اكثر الوجوه والاعتبارات . ظهرت لهم الدولة الاخشيدية اردولة بني طنج . والايخشيدي كلمة فارسية معناها ملك الملوك ومعنى طنج عبد الرحمن ، ورأس هذه الدولة ابو بكر محمد بن طنج بن جف بن بلتكين بن فوري بن خاتان . وكان 'جف' جد الايخشيدي قد سار من فرغانة الى المعتصم العباسي ، فأكرمه وأنام معه الى ان توفي المعتصم ، فصحب ابنه الواثق الى ان توفي ، ثم صحب أخاه المتوكل الى ان توفي 'جف' . وكان احمد بن طولون قد قلده ديار مصر . ولما توفي ابن طولون صار طنج مع ابنه أبي الجيش فولاه دمشق وطبرية الى ان تمل أبو الجيش وولي ابنه جيش . ولما بويع هرول بن ابي الجيش ، ولي طنج دمشق وطبرية ، وتولى طنج

قتال صاحب الخصال القرمطي سنة تسعين ومائتين الى ان ظفربه ، وكان لطغج من الولد سبعة ذكور الاخشيد اقدم .

ولم يزل طنج على دمشق وطبرية وابنه محمد المعروف بالاخشيد يخلفه على طبرية . وكان بطبرية ابو الطيب محمد بن ابي حمزة العلوي ، وكان وجه طبرية شرقاً وملكاً وقوة وعناقاً . فكتب الاخشيد الى ابيه طنج يذكر له انه ليس له امر ولا نهي مع ابي الطيب العلوي ، فكتب اليه ابوه : اعز نفسك . فأسرى محمد بن طنج على ابي الطيب في بستان له فقتله . ولم يزل طنج ايام ابي الجيش على دمشق وطبرية و ايام جيش وايام هرون بن ابي الجيش الى ان قتل هرون وانقضت الدولة الطولونية . فمات طنج في حبس العباس بن الحسن وزير العباسيين ، ونجياً من محبسه بعد مدة ابنة الاخشيد ، وهرب الى الشام ناصداً احمد بن بسطاء ناماها ، وبقي معه بخدمة ، ثم تقلد ان بسطام مصر فسار معه الاخشيد ، وكان معه الى ان توفي سنة سبع وتسعين ومائتين ، فسار مع ابنه ابي القاسم علي وحضر الاخشيد مع تكين الحاص وقعة حسن فيها اثره فولاه تكين عممان وجبل الشراة . وانق له وهو على عمات والشراة في سنة ٣٠٦ ان حاج الشام وفيهم جماعة من أهل العراق تعد له جمع من ظم و جذام فجمع عسكره ولقيهم ومعه اخوه نلي بن طنج فبرزهم فدار له شأن في العراق وذاعت كتابته وامانته .

ونقلد محمد بن طنج الملقب بالاخشيد مصر من جهة الراضي وكان قبل ذلك تولى مدينة الرملة سنة (٣١٦) من جهة المقتدر وأقام بها الى سنة ٣١٨ فوردت اليه كتب المقتدر بولايته دمشق فسار اليها وتولاها ، وكان حينئذ المتولي على مصر احمد ابن كينغنج فلما تولى الراضي عزل احمد بن كينغنج وولى ابن طنج مصر وضم اليها البلاد الثمانية فاستقر ابن طنج بها سنة ٣٢٣ وما نشب ابن طنج وهو يتولى اعمال المعادين اي الشحنة في الشام علاوة على أعمال المعادين في مصر وقلد بداراً الخرشني دمشق ، واحمد بن سعيد الكلابي شيخ قبيلة بني كلاب حلب حتى أكثر بذلك الكلابيون وزاد نفوذهم — ان خلع طاعة الخليفة العباسي ، فندب الخليفة محمد بن رائق الى الشام وأقطعها اياها على ان يستخلصها من الاخشيدية فاستولى ابن رائق سنة ٣٢٨

عليها وطرد بدرآ نائب الاخشيد وولي إمرة دمشق محمد بن يزيد الشهرزوري (فلم يزل عليها الى ان قتل محمد بن رائق بالموصل (٣٣٠) فقدم الاخشيد محمد بن طنج فاستأمن اليه محمد بن يزيد فأقره على إمرة دمشق خلافة له) . وبلغ ابن رائق العرش يريد مصر فخرج اليه الاخشيد واقتنلا فانزما ابن رائق الى دمشق .

ثم جهز الاخشيد الى ابن رائق جيشاً مع أخيه واقتنلوا ، فانزما عسكر الاخشيد وقتل أخوه ، فأرسل ابن رائق يمزى الاخشيد في أخيه ويقول له : انه لم يقتل بامري ، وأرسل ولده مزاحم وقال له : ان احببت فاقتل ولدي به . فخلع الاخشيد على مزاحم وأعاده الى ابيه . فاستقرت مصر للاخشيد الى حد رملة فلسطين ، والشام لابن رائق من طبرية . وفي السنة التالية بمث الاخشيد من مصر نائده كفوراً الى الشام في جيش عظيم فهزم عامل ابن رائق واستولى على حلب ، وأفسد أصحابه في جميع النواحي وقطعت الاشجار التي كانت بظاهر حلب وكانت عظيمة جداً ، ونزل عسكر الاخشيد على الناس بحلب وبالغوا في اذام .

وبعد سنة عقد الصلح بين الاخشيد وابن رائق فاستأثر هذا بولاية حلب ، وانفرد الاخشيد بدمشق ، يصادر اغنياءها ويستصفي أموالها ، وكان ظالماً مستبداً . وقد وجد بداره قبل مسيره عن مصر الى الشام رقعة مكتوب عليها : « قدرتم ، فأستم ، وملكتم ، فنجتكم ، ووُسِّعَ عليكم ، فضيقتم ، وأدْرَتَ عليكم الارزاق ، فقطعتم ارزاق العباد ، واغتررتم بصفو أيامكم ، ولم تفتكروا في عواقبكم ، واشتغلتم بالشهوات ، واغذنام اللذات ، وتهاونتم بسهام الاسمار ، وهن صائبات ، ولا سيما ان خرجت من قلوب قرحتوها ، واكباد اجتموها ، واجساد أعمرتوما ، ولو تأملت في هذا حق التأمل لانتبهتم ، او ما علمتم ان الدنيا لو بقيت للعافل ، ما وصل اليها الجاهل ، ولو دامت لمن مضى ، ما نالها من بقي ، فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم ، ومن المحال ان يموت المنظورون كلهم حتي لا يبقى منهم احد ، ويبقى المنظر به ، افعلوا ما شئتم فانا صابرون ، وجوروا فانا بالله مستجيرون ، وثقوا بقدرتكم وسلطانكم فانا بالله واثقون ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

قالا ، وقد بقي الاخشيد بعد سماع هذه الرقعة في فكر ، وسافر الى دمشق فمات

فيها سنة ٣٣٤ ولم تطل دولته غير سنتين فهو في الحقيقة مؤسسها سنة ٣٢٣ (٩٣٥) وأيام حكمه من حيث المجموع كانت احدى عشرة سنة سافر فيها خمس مرات من مصر الى اعداء يقاتلهم . الاولى لما بلغه مسير محمد بن رائق فجهز الى الفَرَمَا واصطلمها ، والثانية لما نقض ابن رائق الصلح فسار اليه والتقى بالعريش وانهمز الاخشيد ، والثالثة لما قتل ابن رائق فسار الى دمشق في عديده ، والرابعة حين ورد اليه كتاب المتقي بالمسير اليه ، والخامسة لما زحف عليه سيف الدولة بن حمدان فخف اليه واقتنلا بقنسرين ثم اصطلمها وتصارها ونقاربا .

وكانت للاخشيد سياسة حسنة مع جميع رعاياه اي انه كان بارعاً بما نسميه اليوم « سياسة العناصر » . كتب الي ارمانوس ملك الروم : « وسياستنا لهذه الممالك قر بها وبعيدها ، على عظمتها وسعتها ، بفضل الله علينا ، واحسانه الينا ، ومعونته لنا ، وتوفيقه ايانا ، كما كتبت الينا ، وصحّ عندك من حسن السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الاولياء والرعية ، ويجمعهم على الطاعة واجتماع الحكمة ، ويوسعها الامن والدعة في المعيشة ، ويكسبها المودة والمحبة » .

وفي اواخر ايام الاخشيديين (٣٥٢) خرج في بوية الشراة خارجي من بني سليم يسمى محمد بن احمد السلمي واجتمع اليه خلق كثير من العرب ومن غيرهم ومن أهل الطمع وقوي امره وكثر جمعه ، فبلغ كافور الاخشيد خبره وكان الشام يومئذ يده ، فأنفذ عسكرياً خوفاً من حادث يحدث ونقدم الى أصحابه ان لا يتدوّه بحرب ولا قتال وطال مقامه واياهم على تلك الحال ، فأمرى عليه في بعض الليالي رجل من العرب يعرف بمال الخفاجي من بني عقيل وأخذه أسيراً وحمله الى مصر فشهروها راكباً فيلاً واعقل مدة ثم عفي عنه وخلي سبيله .

ولما نثر كافور بالامر (٣٥٥) جعل الحسن بن عبيد الله بن طنج على الشام مستخلفاً من قبله ، وكان في بيت المقدس وال يعرف بمحمد بن اسماعيل الصنهاجي اضطهد بطريق القدس وكان ابى مقابلته فهجم عليه الوالي في اشياعه وأحرق أبواب كنيسة القيامة وسقط قبتها ونهبوا كنيسة صهيون وأحرقوها . قال ابن بطريق : وهدم اليهود وخرّبوا اكثر من المسلمين ثم قتل البطريرق ولما مات كافور (٣٥٦)

ونصب مكانه ابو النوارس احمد بن علي الاخشيد وكان طناً عمراً احدى عشرة سنة على ان يخلفه ابن عم ابيه الحسن بن عبد الله بن طنج وكان بالشام فوقع اختلاف بين الاخشيدية وصار لكل واحد يتسمى بالامير وكثير التحاسد فكتب جماعة منهم الى المعز الفاطمي صاحب المغرب يستدعون منه اتناذ جيشه الى مصر ليستلمها وضمنوا له المعونة وعلى هذا اتهمت ايام الاخشيد بن .

* * *

الدولة الحمدانية) بعث الخليفة العباسي محمد بن رائق ليقتل الشام ومصر من الاخشيد محمد بن طنج ، فلم يضرب ابن رائق ابن طنج ضربة قاسية ، واكتفى بان ترك له مصر الى الرملة رملة فلسطين (٣٢٩) وتعد في القسم الاكبر من الشام — مقابل جزية سنوية قدرها مئذ واربعون الف دينار — اميراً يحاول ان يقيم له فيه دولة ، عصا بالشام فقام يناجزه ناصر الدولة بن حمدان القتال وكان هذا استأثر بالموصل والجزيرة فقتل ابن رائق (٣٣٠) وكتب بالامر الى الخليفة المنفي بالله فخل ذلك من نفسه محلاً عظيماً ، ولقبه ناصر الدولة ولقب شقيقه علياً سيف الدولة وهذا هو صاحب الدولة التي اشتهر امرها في حلب وما اليها .
وبنو حمدان بطن من بني تغلب بن وائل من العدنانية .

سار سيف الدولة (٣٣٣) الى حلب فلقى فيها يانس المؤنسي فسار قها يانس ، واستأمن اليه في قطعة من الجيش فاستولى عليها سيف الدولة ، وسار الى دمشق واقام الدعوة للمستكفي ولاخيه ولنفسه ، فخلع المستكفي على سيف الدولة وعلى الاخشيد لان هذا اقام الخطبة له بمصر . البلاد التي تحت حكمه ايضاً . ولما بويع للمطيع بالخلافة سار مع الاخشيد وابن حمدان بسيرة المستكفي على قدم التوازن السياسي ، فكتب الى الاخشيد بالتقليد ، فتكافأ الاخشيد وسيف الدولة ، وهدأت الفتن واستقامت الطرق .

ولما بلغ الاخشيد ان سيف الدولة سار الى حمص يريد دمشق جرد عسكراً كبيراً وجعل عليه اربعة قواد فساروا الى دمشق وعبوا عساكرهم ، ثم ساروا الى حمص فالتقوا مع سيف الدولة بالرستن من ارض حمص فبزمهم سيف الدولة فعادوا

الى دمشق ثم خرجوا عنها يريدون الرملة ثم قصدوا الى مصر وسار سيف الدولة في اثرهم يريد دمشق ، وكتب الى اهل دمشق كتاباً قريئاً على منبر جامعها وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم » : من سيف الدولة ابي الحسن الى جماعة الاشراف والعلماء والاعيان والمستورين بمدينة دمشق .

« اطال الله بقاءكم ، وادام عزكم وسعادتكم ، وكفایتكم ونعمتكم ، كتابنا اليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجر عن سلامة ، وجميل كفاية ، لموليها خالص الدعاء والشكر ، وقد علمتم اسعدكم الله ، تشاغلي بجهاد اعدائي واعداً الله الكفرة ، وسببهم وقتلي فيهم ، واخذي اموالهم ، وتخرببي ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين (؟) في هذه السنة ، وما اولانا الله وخولنا ، واطفرنا به ، واستتمت فيهم السنة في قتال اهل الله فما اتبعت مدبراً ، ولا ذفت على جريح ، حتى سلم من قد رأيتم ، وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصياتكم وحفظكم ، وحوط اموالكم ، وفتح الكاكين ، واقامة الاسواق ، والتصرف في المعاش ، الى حين موافاننا ان شاء الله .»

كتب الرجحان لجيش سيف الدولة على جيش الاخشيدية ، وسار كافور بساكر مولاه الى مصر ، فاقام سيف الدولة بدمشق وجي خراجها ، وجعل يطالب اهلها بوائع الاخشيد واسبابه ، وكان احداث دمشق قد نهبوا في يوم موت الاخشيد ، وظن ابن حمدان ان الامر تم له لجمع الى ملكه في الجزيرة ملك الشام ، وربما تطال بعد ذلك الى مصر ولم يعرف ما خبأته له الأقدار حتى زحزحته عن ملك دمشق ، واقتصرت دولته على حلب وماليها . وذلك انه انفق ان كان يسير هو والشريف العقيقي بضواحي دمشق فقال سيف الدولة : ما تصلح هذه الغوطة الالرجل واحد . فقال له العقيقي : هي لاقواء كثيرة فقال سيف الدولة : لئن اخذتها القوانين السلطانية ليتبرؤا منها .

فاعلم العقيقي اهل دمشق بذلك ، فكاتبوا كافوراً يستدعونه من مصر ، فجلساءهم ومعه انوجور بن الاخشيد فخرج سيف الدولة الى اللجون من بلاد نابلس ، واقام اياماً قريباً من عسكر الاخشيدية بقرية أ كسال وكان في خمسين الفاً ، وثارق عسكر سيف الدولة في الضياع لطلب العلوقة ، فعلم به الاخشيدية فرجعوا وركب سيف

الدولة فرآهم زاحفين في تعبئة ، فعاد الى عسكره فاخرجهم فنشبت الحرب فقتل من اصحابه خلق وأمر كذلك ، وانهمز سيف الدولة الى دمشق وسار من حيث لم يعلم اهل دمشق بالوقعة (٣٣٥) وجاء الى حمص وجمع جمعاً لم يجتمع له قط مثله من بني عقيل وبني نمير وبني كلب وبني كلاب ، وخرج من حمص ، وتخص عساكر الاخشيدية من دمشق ، فالتقوا بمرج عذراء على ساعتين من دمشق ، وكانت الوقعة اولاً لسيف الدولة ثم آخرها عليه ، فانهمز وملكوا سواده ، ونقطع اصحابه في ذلك البلد فهلكوا وتبعوه الى حلب فعب الرقة .

لم يستطع سيف الدولة بعد وقعة أكسال ومرج عذراء ان ينال من الاخشيدية ، وبقيت لم دمشق وما وراءها حتى مصر لان اهل دمشق خافوا من مصادرات سيف الدولة ، يوم طالبهم بوائع الاخشيد واحب ان يملك غوطتهم : فقلبوا له ظهر الحن ، ولم يفنه جيشه العظيم لان ابناء البلاد انصرفت قلوبهم عنه ، فانقضى له ان يقاوم جيشين جيش الطامعين في استرداد البلاد وجيش البلاد نفسها وهو اعظم بأساً واشد تنكيلاً ، وظلت حلب لسيف الدولة لانه لم يأت على الاغلب فيها بايدي بدء ما اتاه من افعال الظلم . وحلب اقرب الى مهد عصيته وهي الثغور الشامية والجزرية وديار مصر وديار بكر واصطلمح سيف الدولة والاخشيد وصاهره ونقرر لسيف الدولة حلب وحمص وانطاكية .

وكانت علائق الاخشيديين كصالات الحمدانيين اسمية مع خلفاء بغداد واشتهر الاخشيديون وهم عجم بشعهم والحمدانيون العرب كانوا يغالون في الكرم وكان الاخشيديون من اهل السنة والحمدانيون يرون رأي الشيعة ولذلك كثر التشيع في شمالي الشام على عهدهم .

مغازي سيف) كان سيف الدولة يحمل بين جنبيه نفساً عظيمة ولطالما
الدولة) حارب الروم وغزاهم ومن الاحداث في ايامه احراق
حصن فامية سنة ٣٣٨ نازله الدوقس في ثلاثين الفاً وحاصره سبعة اشهر واشرف
على اخذه فدفعه عنه مصمامة والي دمشق فقتل الدوقس وتتل من عسكره اربعة عشر

الفا وأمر منهم خلق كثير وكسروا بعد ان ظهروا . ومنها اخذ سيف الدولة حصن برزويه من الاكراد بعد ان قاتلهم مدة . وفي السنة التالية خرج بسيل ملك الروم الى الشام وفتح شيزر بالامان لقلعة رجالها . وفي سنة ٣٤٥ سار سيف الدولة الى بلاد الروم فغنم وسبي وفتح عدة حصون ورجع الى اذنة فأقام بها ثم ارتحل الى حلب . ومن غزواته غزوة سنة ٣٤٩ ، ارغل في بلاد الروم وفتح حصوناً ، فلما اراد الخروج من ارضهم اخذوا عليه الدرب الذي اراد الخروج منه ، فقطعوا الاشجار وسدوا بها الطرق وهددهوا الصخور في المضائق على جيشه ، والروم وراء الناس مع الدمستق يقتلون ويأسرون . وكان مع سيف الدولة اربعمائة اسير من وجوه الروم فضرب اغناقهم ، وعقر جماله وكثيراً من دوابه . واحرق الثقل وقاتل قتال الموت ونجا في نفر يسير قيل في ثلاثمائة من زلانه ، واستباح الدمستق اكثر الجيش وامر الامراء والقضاة ، ووصل سيف الدولة الى حلب ولم يكذب . وكان جيشه ثلاثين الفا . وارسل الدمستق الى سيف الدولة يطلب الهدنة فلم يجبه اليها مع ما حل به منه ، ثم جهز سيف الدولة جيشاً فدخلوا بلد الروم من ناحية حران فغنموا وأسروا ، وغزا اهل طرسوس ايضاً في البر والبحر ، ثم سار سيف الدولة من حلب الى آمد (ديار بكر) فحارب الروم وخرب الضياع . قال ابن مسكويه في وقعة ٣٤٩ : وخرج اهل طرسوس من طريق آخر فسلموا ، والسبب في سلامتهم . وصاب سيف الدولة ، ان هذا الرجل كان معجباً ، يجب ان يستبد برأيه ، والا لتحدث نفسان انه عمل برأي غيره ، وكان اشار عليه اهل طرسوس بان يخرج معهم ، لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج منه وشحنوه بالرجال ، فلم يقبل منهم ولج ، فأصيب السلون بارواحهم ، وأصيب هو بماله وسواده وذلانه .

واغار الروم مرة على اطراف الشام فسبوا واسروا ، فساق وراءهم سيف الدولة ولحقهم فقتل منهم مقتلة واسترد ما اخذوه . واستولى الروم سنة ٣٥١ على حلب دون قلعتها وعلى الحواضر ، وحصروا المدينة وثموا السور ، وقاتل اهلها الروم اشد قتال فتأخر الروم الى جبل جوشن ، ثم وقع بين الحلبيين نهب فلم يبق على السور احد ، فهجم الروم على البلد وفتحوا ابوابه واطلقوا السيف وسبوا بضعة عشرين صبي وصبية وغنموا

كثيراً واحرقوا ما بقي . وكان سيف الدولة غائباً وقاتل الدمستق عند عودته فقتل غالب اصحابه ، وظفر الدمستق بدار سيف الدولة في الدارين من ارض حلب فاخذ منها ثلاثمائة وخمسين بدره من الدنانير^(١) ما عدا السلاح والدواب . وكانت عدة عسكر الروم مائتي الف رجل منهم ثلاثون ألفاً بالجواشن (الدروع) ، وثلاثون ألفاً للهدم واصلاح الطرق من التلج ، واربعة آلاف بغل يحمل الحسك الحديد . وفي رواية ان جيش الروم كان ثمانين الف فارس ما عدا السواد ومعو كثير جداً ، وان سيف الدولة نادى في حاب من لحق بالامير فله دينار ، وانه انهزمه الى ناحية بالس بعد ان قتل من جيشه من اهل حلب مدة ستة ايام جملة كثيرة من الناس . قال الذهبي : وقتلوا الأعمري ثم عادوا الى القلعة فاذا طلائع قد اقبلت نحو قنسرين وكانت نجدة للروم فتوهم الدمستق انها نجدة لسيف الدولة فترحل خائفاً .

وفي سنة ٣٥٥ سار صاحب الروم الى الشام فعاث وافسد ، واقام به نحو خمسين يوماً فنزل على منبج واحرق الرّبض وخرج اليه اهلها ، فأقرهم ولم يؤذهم ، ثم سار الى وادي بطنان وسار سيف الدولة متأخراً الى قنسرين ، وقد ضيق رجاله والأعراب الحنائق على الروم ، واخذت الروم اربع ضياع بما حوت ، فراسل سيف الدولة ملك الروم وبذل له مالاً يعطيه اياه في ثلاثة اقساط فقال : لأجبيه الا ان يعطيني نصف الشام فان طرقتي الى ناحية الموصل على الشام . فقال سيف الدولة : لا أعطيه حجراً واحداً . ثم جالت الروم باعمال حلب ، وتأخر سيف الدولة الى ناحية شيزر ، وأتكت العرب في الروم غير مرة وكسبوا كثيراً ونزل عظيم الروم على انطاكية يحاصرها ثمانية ايام ثم رحل عنها .

قل المنقوضون على سيف الدولة لبطشه ومن خلفه بنو كلاب (٣٤٣) حاربهم وكان اصطنعهم حتى استطالوا على العرب وأوقع ببني عقيل وقشير وبني العجلان وبني كلاب حين عاثوا في عمله وخالفوا عليه . وهذه الغزوات تعد في باب الماوشات لا الحروب مثل غزوة سيف الدولة للمبرقع الذي دعا الناس الى نفسه والثفت عليه القبائل وافتتح مدائن من اطراف الشام وأمر ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان ،

• (١) البدره كيس فيه الف او عشرة آلاف درهم او مبعده آلاف دينار .

وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وأزيمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فامسى سيف الدولة من حلب حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق فأوقع به وقتله ووضع السيف في أصحابه فلم ينج الا من سبق فرسه وعاد سيف الدولة الى حلب ومعه ابو وائل وبن يديه رأس الخارجي على رمح . ومن خلفه اهل انطاكية سنة ٣٥٤ وعليهم رشيق النسيبي فسار الى جبهة حلب وحاصر قلعتهما ثلاثة اشهر وعشر ايام وقاتل قرعويه غلام سيف الدولة وعامله قتالاً شديداً وكان هذا بما افارقين فأرسل عسكرياً مع خادمه بشارة فقتل رشيق وهرب اصحابه الى انطاكية ولما عاد سيف الدولة اجتمع على حرب ابن الاهوازي والدبلي اللذين قاما مقام رشيق فقتل هذان الثائران وقتل من ولاتها وقضاتها وشيوخها خلق .

وذهب قرعويه الى انطاكية فجرت بينه وبين الديلمي وقمة انزيم فيها قرعويه وعاد الى حلب وسار الديلمي في أثره الى حلب فلقبه اصحاب قرعويه ودفعوه الى انطاكية . قال ان قاضي شعبة في حوادث سنة ٣٥٥ : ان اهل انطاكية خرجوا عن طاعة سيف الدولة لاشتغاله بنفسه فنفرغ لم وقتانهم قتالاً شديداً ثم انتصر واسر خلايق من اهلها ، فصادر اعيانهم وأخذ خطوطهم باموال عظيمة وقتل خلقاً منهم ، حتى قيل انه قتل نحو خمسة آلاف رجل ، وكتب الى ولده ابي المعالي ك انا بشره بذلك وقال فيه ما شاهدت عسكرياً ، على كثرة مشاهدي للعرب ، استولوا على جميع رؤسائه واتباعه مثل هؤلاء . ولا غنم عسكري مثل ما غنم منهم .

وفيهما سار ملك الروم بجيوشه الى بلاد الشام فعث وأفسد ، وقيل ان اهل انطاكية راسلوه وبذلوا له الطاعة وان يحملوا اليه مالاً ، وكان الذي حركه واحتفه احراق بيعة القدس ، وكان البطريق كتب الى كافور صاحب مصر يشكو قصور يده عن استيفاء حقوق البيعة ، فجاه من الناس ما لم يطق دفعه وقتل البطريق ، وأحرق البيعة وأخذوا زينتها ، فراسل كافور ملك الروم بان يرد البيعة الى افضل ما كانت فقال : بل أنا أعيدها بالسيف . فلما خرج ملك الروم أصدع سيف الدولة الناس الى قلعة حلب ، وانجزل الناس وعظم الخطب ، وأخليت نصيبين ونزل صاحب الروم على منبج وأحرق الربض ، وخرج اليه اهلها فأقرهم ولم يؤذهم ، وانكت العرب

في الروم غير مرة وكسبوا ما لا يوصف وحاصر الروم انطاكية ثمانية ايام ليلاً ونهاراً وبذل الامان لاهلها فأبوا فقال : أنتم كائتموني ووعدتوني فردوا عليه رداً قبيحاً وحاربوه أشد حرب .

* * *

محاسن سيف { توفي سيف الدولة بن حمدان سنة ٣٥٦ بعد ان غزا الروم
الدولة ومقاومه { اربعين غزوة له وعليه ، فحفظ بغزواته بفضة العرب والاسلام
ولولاه بعد ضعف العباسيين لتقدم الروم في بلاد الشام وربما استصفوها كلها . وكان
جمع من نفض الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً وعلمه ابنة بقدر الكف ،
واوصى ان يوضع خده عليه في لحده فنفذت وصيته في ذلك . ترجمه الازدي بقول :
« كان معجباً برأيه ، محباً في الفخر والبذخ ، منوطاً في السخاء والكرم ، شديد الاحتمال
لما ظريه ، والسحب بأرائه ، سعيداً مظفراً في حروبه ، جائراً على رعيته ، اشتد بكاء
الناس عليه ومنه » .

نعم كان سيف الدولة جائراً على رعيته يمزق قرية ليحيز شاعراً مدحه بقصيدة .
ولما تبرع في دست الملك بحلب استكثر من القصور له ولآله وقواده ، وجملها
كحاضرة بني العباس كعبه العلم والادب فوافاه الشعراء والعلماء من اقطار البلاد
العربية ، وكان كريماً مفضلاً خصوصاً على مداحه . ينق نفقات طائلة على علماء بغداد
ومهاداة وزرائها وارباب النفوذ فيها فكان حمانه في دار الخلافة كئاراً استمال بهم
الرأي العام البغدادي بل العربي ، فرضي الخلفاء ولم يخالفوه لانه ابقى لهم الخطبة
وان ضرب السكة باسمه .

ولقد استحل سيف الدولة للقيام بهذه الابهة الضخمة في مملكته الصغيرة
مصادرة رعيته فكان قاضيه ابو الحصين يقول : « كل من هلك فلسيف الدولة
ما ترك » ولذلك كثرت مصادرة كل غني من التجار وغيرهم فخرت البلاد الشمالية
في ايامه . وذكر المؤرخون ان ابا الحصين الرقي قاضي حلب قتل في احد المعارك
فداسه سيف الدولة بحصانه وقال : « لا رضي الله عنك فانك كنت تفتح لي ابواب
العلم » على ان هذا لا ينتج سيف الدولة من المؤاخدة لانه كان يتيسر له صرفه عن

القضاء وليس ابو الحصين من ارباب العصابات حتى يخافه . ومن كثرة مظالم سيف الدولة ان بني حبيب وهم أبناء عم بني حمدان كانوا ينزلون نصيبين « فأكبّ عليهم بنو حمدان بصنوف الجور حتى خرجوا بذرارهم في اثني عشر الف فارس الى الروم وانشروا باجمعهم ثم عادوا الي بلاد الاسلام على بصيرة بمضاره ، وعلم اسباب فسادهم وقلوبهم تضطرم حقدًا » على ما قال ابن حوقل وأخذوا يخربون القرى في الجزيرة والشام واطعموا صاحب الروم بانطاكية وحلب .

وكانت لسيف الدولة طرق غريبة في الرحمة من ذلك انه سار مرة بالبطارقة الذين في اسره الي الفداء وكان في أسر الروم ابن عمه ابو فراس وجماعة من اكابر الحلبيين والمحصبين فأخذ بالفداء ولما لم يبق معه من اسرى الروم احد اشترى الباقين كل نفس بدينارين وسبعين ديناراً حتى نقدا ما معه من المال فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته (درعه) الجوهر المدومة المثل . ثم لما لم يبق احد من اسرى المسلمين كاتب تقفور ملك الروم على الصلح . قال ابن الوردي : وهذه من محاسن سيف الدولة . وذكر المؤرخون انه كان يقف على مائدة سيف الدولة اربعة وعشرون طبيباً ، لينصحوه له بتناول ما ينفع مزاجه ، وانه كان من اهل الادب وغيرهم من يتناول رزقين وثلاثة . وفي باب كرمه غرائب بسطت في كتب الادب . وكما على ما فيها من المفاخر في خدمة اللغة والشعر تحمل في مطاوعها مساوي الظلم وإعنات الرعية . فسيف الدولة من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً وحسناته اكثر .

* * *

ابتداء الدولة (كان كافور آخر ملوك دولة الاخشيديين مملوكاً حبشياً ذا الفاطمية) عقل ودرابة وحسن ادارة استولى بالفعل على زمام الحكم في مصر والشام على عهد ابي القاسم انوجوراي محمود و ابي الحسن علي ولدي محمد بن طخ الاخشيدي رأس الدولة الاخشيدية ثم تولاه مستقلاً بنفسه وقام بالامر بعده مدة قصيرة ابو الفوارس احمد ابي ان الدولة الاخشيدية امتدت اربعمائة وثلاثين سنة من سنة ٣٢٣ الى ٣٥٧ ولما آذنت شمسها بالافول انتشرت الفوضى في البلاد فرأى عقلاء مصر انه لا ينجيها مما صارت اليه الا القاؤها في أحضان دولة قوية فتية انقذ الامة من بلائها ، وكان للقائم بالدولة

الفاطمية او العبيدية التي نشأت في المغرب وامتد سلطانها هوى في هبوط مصر فنارضوه في امرها وكان حاول غير مرة ان يستولي عليها فرده عنها جيش بني العباس .
 وبلغ المعز اختلاف الاهواء ونفرت الآراء فجهز العسكر اليها باشارة المصر بين
 فهربت العساكر الاخشيدية من القائد جوهر الذي جاء مصر في مئة الف محارب
 والف وخمسمائة حمل تحمل الذهب والفضة وانفق ان ورد القرامطة الى دمشق ، واتوا عليها
 وعلى سائر اعمالها ، وساروا الى الرملة لقيهم الحسن بن عبيدالله بن طغج ووقع بينهم
 حرب عظيمة بظاهر الرملة في ذي الحجة سنة ٣٥٧ فانهزموا ان عبيدالله من الشام ودخل
 الى مصر فاستولت القرامطة على الرملة واتباعوها فاقاطعهم اهلها على مائة وخمسة وعشرين الف
 دينار شروا بها انفسهم منهم واخذوا من اعمالهم بشراً كثيراً واذرأى الروم ان مصر قد
 عبثت بها الفوضى ، وان الشام في ضعف وثبت ، اناروا على الناء (٣٥٨) فقتلوا وسبوا في
 حمص والثغور وقتلوا خلائق وسبوا نحو مائة الف انسان وهاب المسلمون هيبة شديدة ولم يشكوا
 في انهم يملكون الشام ومصر والجزيرة وديار بكر ظلوا الجميع عن المانع . واقام جوهر الخطبة
 للمعز الفاطمي قال المسبجي : لما استقر المعز بمصر انقردها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء
 العباسية وادعى الخلافة لنفسه بمصر وقال : نحن افضل من الخلفاء العباسية لاننا من ولد فاطمة
 بنت رسول الله . ولما استقرت قدم جوهر بمصر سير جمعا كبيرا مع جعفر بن فلاح الى
 الشام فبلغ الرملة وبها الحسن بن عبيدالله بن طغج وجرت بينهما حرب أسر عقبها ابن
 طغج واستولى جعفر على فلسطين وجبى اموالها ثم سار الى طبرية فوجد اهلها قد
 اقاموا الدعوة للمعز قبل وصوله فجهز منها من استمال من بني مرة وفزارة لحرب بني
 عقيل بجوران والبتية وادرفهم بعسكر من اصحابه فواقعوا بني عقيل وهزمهم
 الى ارض حمص وسار هو من طبرية الى دمشق فقاتله اهلها فظفر بهم وملكها
 بعد فتر من حروب ونهب بعضها واحرق الآخر . واقام الخطبة للمعز سنة ٣٥٩
 وقطعت الخطبة العباسية واستقرت دمشق للمعز الفاطمي . واصبح الفاطميون بنو عبيد
 خلفاء مصر والشام والمغرب .

وكان رئيس الثورة بدمشق سيدها وصدورها في عصره ابو القاسم بن ابي يعلى
 الهاشمي العباسي . فأخذ جعفر بن فلاح وشده على حمل ، وفوق رأسه نلنسوة ، وفي

لحيته ريش ، وبسده قصبه وبعث به الى مصر . وضرب الفاطميون على دمشق دية عم الناس البلاء في جبايتها . وتطلب جمال السلاح فظفر بقوم منهم ، وضرب اعناقهم وصلب جثثهم ، وعلق رؤوسهم على الابواب .

وفي سنة ٣٦٠ اتقد جعفر غلامه فتوحاً على عسكر الى انطاكية وكان لها في ايدي الروم نحو من ثلاث سنين وسير الى اعمال دمشق وطبرية وفلسطين فجمع منها الرجال ، وبعث عسكرياً بعد عسكر الى انطاكية ، وكان الوقت شتاء فسازلوا حتى انصرم الشتاء وهم ملحمون في القتال ، فلم يظفر بطائل ، وانهمزم عسكره آخر الامر وقتل منهم كثيرون . وبلغ جعفر بن فلاح مسير القرامطة الى الشام وقد أمدهم صاحب بغداد لقتال جيش الفاطميين فاستهان بهم وواقهم . فانهمزم منهم قرب دمشق وقتل في المعركة ، وملك القرامطة دمشق وامنوا اهلها ثم ساروا الى الرملة فملكوها واجتمع اليهم كثير من الاخشيدية . قتل القرامطة جعفر بن فلاح مخافة ان يفوتهم المال الذي كان تقرر بينهم وبين ابن طنج حمله اليهم وهو ثلاثمائة الف دينار في السنة وساروا يريدون الرملة وعليها سعادة بن حيان فالتجأ الى يافا ونزل عليه القرمطي وقد اجتمعت اليه عرب الشام فناصرها القتال حتى اكل اهل المدينة الميتة وهلك اكثرهم جوعاً ، وسير جوهر من مصر نجدة الى اصحابه المحصورين به يافا ومعهم ميرة في خمسة عشر مركباً فارسل القرامطة مراكبهم اليها فاخذوا مهاكب جوهر ولم يخج منها غير مر كين غنمتها مراكب الروم .

اصطلح قرعوه به (٣٦٠) مولى سيف الدولة بن حمدان متولي حلب وابطال المعالي شريف بن سيف الدولة ، فخطب له قرعوه به بحلب ، وخطبا جميعاً في ما ملتيهما للامام المعز الفاطمي بحلب وحمص . بمعنى ان بني حمدان وهم شيعة اسرعوا في نزع ايديهم من ايدي العباسيين ، ووضعوا ايديهم في ايدي الفاطميين الشيعة ابناء مذهبهم ، بيد ان الفاطميين لم يجدوا نصيراً قوياً في الشام ، لان السواد الاعظم من اهل السنة والجماعة كانوا يخالفونهم في مذهبهم وقد بلغهم ما صارت اليه مصر من تغيير مذهب اهلها ومصطلحهم في اذانهم وصلواتهم ، فشق عليهم ذلك وعزموا ان يقبلوا للفاطميين ظهور الحن ومن ذلك ما وقع سنة ٣٦١ من اللقاء سعد امير عرب الشام بحسان بن جراح

الطائي في عربانه وانفقا على ان ينزعا حكم مصر من الشام ، وكان جيش المعز حارب عرب الشام في حوران حرباً دامية ، فارسل المعز الى حسان ووعده بمائة الف دينار ان ترك امير الشام وخذله بين الناس . ولما دارت الحرب بينهما انهزم حسان بالعرب فضعف جانب سعد وقوي عليه المعز وكسره . وقطعت خطبة المعز من دمشق ايام القرامطة وبقيت الى ان استردها سنة ٣٦٣ وارسل المعز قائده ظالم بن موهوب والياً على دمشق فعظم امره وكثرت جموعه ثم وقع بينه وبين اهل دمشق قتل دامت الى سنة ٣٦٤ . ونفصيل ذلك ان المعز سير القائد ابا محمود ، يتبع القرامطة فنزل بظاهر دمشق ، وامتدت ايدي اصحابه بالعيث والفساد وقطع الطرق ، فاضطرب الناس وخافوا ، فوقعت فتنة عظيمة بين عسكره وبين العامة ، وجرى بين الطائفتين قتال شديد وظالم بن موهوب مع العامة فأحرق جانب من المدينة وهلك جماعة من الناس ، وعادت الفتنه بعد ان اصطلح المقاتلون الى شدتها بينهما (٣٦٤) وانفقوا على اخراج ظالم من البلد ، ووليه جيش ابن الصمصامة وعاد المغاربة واثوا وافسدوا فثار العامة ، وقتلواهم ثم زحف جيشه في العسكر الى البلد وقتله اهله فظفر بهم وهزمهم ، واحرق من البلد ما كان سلم ، ودام القتال بينهم اياماً كثيرة فاضطرب الناس وخافوا وخربت المنازل وانقطعت المواد ، وانقطع الماء والميرة عن البلد ، وهلك الفقراء على الطرقات جوعاً وبرداً ، ووصل الخبر الى المعز فانكر ذلك واستشعنه واستعظمه ، فارسل الى القائد ريان الخادم والي طرابلس يأمره بالسير الى دمشق لمشاهدة حالها وكشف امور اهله .

وانفق ان افتكين غلام عضد الدولة انهزم في خلال هذه الايام من المدائن فنزل على حمص في طائفة من الترك والاعراب ، وكان الاحداث قد غلبوا على دمشق وليس للاعيان معهم حكم فخرج اشرافها وشيوخها يظهرون السرور بمقدم افتكين وبياعونه على الطاعة لينتقم من المصر بين ، فنزل على دمشق واخذها من ريان الخادم ، واقام العدل في الناس وكف ايدي الاعراب الذين كانوا عاثوا في الارض فساداً واخذوا عامة المروج والغوطة ، ودخل البلد وخطب للطائع العباسي ، وابان في جميع مواقفه عن شجاعة وقوة نفس وحسن تدبير فاذعن له العرب واقطع البلاد وكثر جمعه وتوفرت امواله وثبتت قدمه ، وكان المعز يداريه ويظهر له الاتياد .

دور الفاطميين

« من سنة ٣٦٤ — ٣٩٤ »



الدول الثلاث { ثقلبت على الشام ثلاث دول في مُدَدٍ متقاربة ، وهي
وغزوات الروم { الاخشيدية والحمدانية والعبيدية . اشتمت الدولتان
الاوليان من أصل الدولة العباسية ، بمعنى ان الاخشيديين والحمدانيين كانوا
كلطولونيين من عمال العباسيين ، قوي امرهم فاستبدوا بالشام . وانشأوا لهم ملكاً لم
يتعاقب فيهم عدة بطون وأجيال . ولكن كانت دولة العبديين على خلاف هذا ، كانت
داولة علوية شيعية قامت سنة ٢٩٦ بالمغرب ، وأول من ولي منهم ابو محمد عبيد الله
بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، على أصح الروايات . دعا الدعوة اولاً
بالمغرب الى محمد والد المهدي عبيد الله وكان بـلمية من بلاد الشام ، ولما توفي أوصى
الى ابنه عبيد الله المهدي واطلمه على حال الدعوة . وشاع ذلك في أيام المكنفي فطلب
فهرب عبيد الله وابنه ابو القاسم محمد الذي ولي بعد المهدي وتلقب بالقائم وتوجهها
نحو المغرب ونزل تاهرت وعظم شأنه في القبائل واستجابت لدعوته ، وملك ومن بعده
معظم شمالي أفريقية وجزائر البحر المتوسط مثل صقلية وساردنية والطة وغيرها .
والخليفة المعز الذي فتح مصر والشام هو رابع خلفائهم .
نشأت الدولة العبديية او الفاطمية او العلوية كالدولتين الأُموية والعباسية ،

بالشام وقامت بالمغرب ونمت في مصر وماتت فيها . ولم تكن على نسبة تينك الدولتين بقوة سلطانها وتأثيراتها ، ولذا ظلت دولة أخرى في أقصى الشام تقاسمها السلطة وهي الدولة الحمدانية انفتت معها سياسة التناقح معها مذهباً . فقد كان من كافور آخر الاخشيديين ما كان من استيلائه على دمشق يوم صرح سيف الدولة بن حمدان بفكره لاخذ القوطة من أصحابها .

وفي سنة وفاة كافور (٣٥٧) جرت بين فنك بن عبدالله مولى كافور الاخشيدي وكان جهزه مولاة لاخذ دمشق ثانية وبين أهل هذه المدينة مناوشة وقتال واحراق ونهب وبلغه خبر الروم واخذهم حمص فنادى في دمشق بالنفير الى ثنية العقاب بسبب الروم فخرج الناس الى دومة وحرسنا وانتهم الفرصة في خلو دمشق ورحل عنها وتوجه باتقاله نحو عقبة دمر متوجهاً الى الساحل فنهب أهل دمشق بعض اثقاله وقتلوا من بقي من رجاله .

لما هلك كافور وهلك سيف الدولة وتولى الناطميون أمر مصر وفتحوا الشام بقي ابو المعالي سعد الدولة (٣٥٦) ابن سيف الدولة في مملكة حلب ، ولم يكن كآبئه عقلاً وتديباً فعصا عليه جند حلب سنة ٣٥٧ ، فنازلها وبقي القتال عليها مدة واستولى الرعيلى على انطاكية وجاءت الروم فزلوا عليها وأخذوها وهرب الرعيلى من باب الحجر هو وخمسة آلاف انسان ناجين بانفسهم من الروم فأسر هؤلاء أهل انطاكية وقتلوا أناساً من اكبرها . وقال عظيم الروم لما ضيقوا عليه : ارحل واخرب الشام كله وأعود اليكم من الساحل ، ورحل في اليوم الثالث ونازل معرة مصرين ، فأخذها وغدر بهم وأمر منهم اربعة آلاف ومائتي نسمة ، ثم سار الى عرقة فافتتحها ، ثم سار الى طرابلس فأخذ ريبضها ، وأقام في الشام اكثر من شهر ورجع فأرضاه أهل انطاكية بمال عظيم . وأحرق حمص وقد اخلاها اهلها وملك ثمانية عشر منبراً ، وعاد الى بلاده بالاسرى والاموال .

وقال الانطاكي : ان نقفوراً لما توجه الى الشام خافه ابو المعالي ، فخرج عن حلب الى بلس واستخلف فيها قرعويه الحاجب ، ونزل الملك على انطاكية وأقام يومين ورحل في اليوم الثالث ، ونزل على معرة مصرين وأمن أهلها من القتل ، وكانت

عدتهم ألفاً ومائتي نفس وسيرهم الى بلد الروم ، وفتح معرة النعمان وحماة وحمص واخذ منها رأس القديس يوحنا المعمدان وسار الى طرابلس ونزل عليها يوم عيد الاصحى وهو العاشر من ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ، وأقام عليها تلك الليلة وأحرق ربضها وحاصر مدينة عرقنة تسعة ايام ، وكان لها حصن منيع ففتحته بالسيف وأخذ منها خلقاً كانوا التجأوا اليه من البلاد المجاورة له وأخذ منه مالا كثيراً ، وكان في الحصن امير طرابلس وهو ابو الحسن احمد بن نحرير الارغلي ، لان أهل طرابلس كانوا قد طردوه لجوره وكان بأسوراً وكان معه مال جزيل ، فأمره وأخذ جميع ماله ورجع الى بلدان الساحل فأتى عليها ، وحصل في يده من السبي ما لا يحصى عدده وفتح حصن انطربوس ومرقبة وحصن جبلة ، وصالح أصحاب اللاذقية عليها وخرب من القرى ما لا يحصى ، وعبر بانطاكية وميزالسي الذي معه وأعتق ذليها من الشيوخ والمجانز زهاء الف نفس ، وبني حصن بغراس مقابل انطاكية في فم الدرب ورتب فيه رئيساً يقال له ميخائيل البرجي ، ورسم لسائر أصحاب الاطراف طاعته ورتب معه الف رجل ورجع الملك الى القسطنطينية اه .

وفي سنة ٣٥٩ ملك الروم انطاكية بالسيف وقتلوا أهلها وسبوا وقصدوا حلب فحصر قرعويه بالقلعة وملكوا المدينة بعد حصارها ٢٧ يوماً ثم اصطلمحو على مال يحمله قرعويه كل سنة وقدره ثلاثة قناطير ذهب عن حق الارض وسبعة قناطير ذهب عن خراج بلاد حلب وفسنرين وحمص وحماة وجوسية وسملية والمعرة وكفر طاب وفامية وشيزر وجبل السماق ومعرة مصرين والانارب وغيرها ، وعن كل عالم دينار في السنة سوى ذوي العاهات ، وان يكون ملك الروم صاحب يقوم بحلب يستخرج اعشار الامتعة الواردة اليها من البلاد ، فرحلت الزم ودمهم الرهائن على ذلك ، وقد عقدوا هدنة مؤبدة وصارت البلاد سائبة لا مانع للروم عنها ، فطمع نقفور ملك الروم في ملك الشام جميعه ولم يعترف سعد الدولة بالمهادنة التي جرت بين قرعويه وبين الروم ، وظل في معرة النعمان فأخرب الزم حمص حتى يضطروه الى الاذعان ، ولكن جاءتة نجدة فمهرها . وفي سنة ٣٦٣ سار ابو محمود بن جعفر ابن فلاح الى الشام في عسكر يقال انه عشرون الف ودخل دمشق وتمكن بها

و غادر الروم ارض الشام سنة ٣٦٤ بعد ان فتحوا بعلبك واخربوها واخذوا جماعة من اهلها وصالحتهم صيدا وافتتحوا بيروت عنوة وسبوها ونهبوها وجرى مثل ذلك على جبيل وقاطعوا أهل دمشق على ستين الف دينار يحملونها اليهم في كل عام ، وكتبوا عليهم بذلك كتاباً واخذوا فيه خطوط أشرافهم واخذوا جماعة منهم رهينة وأنفذوا اليهم صليباً بالامان فتلقوه بالاكرام . ثم انقطع حمل المال المفروض على الشام للروم ، فاغضوا عن ذلك لاشتغالهم بالحرب في آسيا الصغرى .

وفي سنة ٣٦٥ وصل بارقطاش مولى سيف الدولة الى شريف ابنه وهو بحجة من حصن برزويه وخدمه وعمر له حمص بعد خراب الروم ، وتقوى بكجور مولى قرعويه ونائبه ، وقبض على قرعويه بحلب وحبسه بالقلعة واستولى على حلب فكاتب أهلها ابا المعالي شريفاً فجاءهم ، وأنزل بكجور بالامان وولاه حمص واستقر ابو المعالي بحلب .

ومن الاحداث في هذا الزمن ان ابا الليث وشاح السلمي ولي امارة دمشق من قبل الحسن بن احمد القرمطي المعروف بالاعصم ، فوصل اليها لايام خلت من المحرم من سنة ٣٦٨ وكان الوالي اذ ذاك بها صالح بن عمير العقيلي البدوي فخرج صالح عنها ، فلما رجعت القرامطة الى الاحساء رجع صالح بن عمير الى دمشق وتعصب له احدائها فأخرجوا وشاحا عنها فهراً وسلموها الى صالح (٣٦٨) .

ومنها ان بسيل الملك ردة ولاية اللاذقية الى كرمروك لشنه الغارة على طرابلس وما يليها وقتله واسره من أهلها ومن المغاربة خلقاً كثيراً . وورد عسكر المغاربة الى عمل انطاكية مع امير لهم يعرف بالصنهاجي فاستظور عليه كرمروك وقتل جماعة من أهله ، فسار نزال وابن شاكر من طرابلس الى اللاذقية (٣٧٠) وحاصر حصنها وسار الدمستق (الدومستيقس) الى حلب (٣٧١) ووقع الحرب على باب اليهود في اليوم الثاني من نزوله . وطالب سعد الدولة بمال الهدنة على ان يحمل للروم في كل سنة اربعمائة الف درهم فضة نقية صرف كل عشرين درهماً بدينار .

وخالف مفرج بن دغفل بن الجراح على العزيز بالله وجاهر بمخلع الطاعة فسير الى الشام رشيقاً العزيزي (٣٧١) فطرده عنها وهزمه . وسار ابن الجراح بعد هزيمته

يريد الحجاج ليقطع عنهم الطريق عند رجوعهم ، فانفذ العزيز مفلح الوهابي في
عسكر ليلقاهم ويدفع عنهم ، فوقع به ابن الجراح بأيلة وقتله وجميع من معه ، وعاد
الحجاج الي مصر فعاد ابن الجراح الشام فلقبه رشيق الحمداني دفعة ثانية وهزمه
ودخل الي البرية والتجأ الي بكجور في حمص فأجاره ، وقصد انطاكية ملتسماً من بسيل الملك
النجدة فاطق له صلة ودفعه الي الشام فرجع الي الشام والتس من العزيز لاما ن فأجابه اليه .
ولما فرغ الروم للشام قصدوا اليه سنة ٣٧١ فاضطر سعد الدولة الي تمديد الهدنة
معهم معترفاً لهم بالسيادة ومتعهداً باداء الجزية ليتخلص من حكم الفاطميين (٣٧٣) . ثم
عاد فأبى اداها ، فاستولوا على كليس واوقعوا بجماعة من الحمدانية وحاصروا اقامية
وقاتلوا اشد قتال وجاؤا الي حلب وسار قرعوه الي دير سمان الحلي فحاصره ثلاثة
ايام وقاتله اشد قتال وفجحه بالسيف وقتل جماعة من رهبانه وكان ديراً أهلاً عامراً
وسبي خلقاً التجأوا اليه من انطاكية ودخلوا بهم الي حلب وأشهروا بها وانفذ
الدومستيقس سرية من عسكره الي كفر طاب فأوقعت بجماعة العرب والحمدانية
واستولى المغاربة على حصن بلبنياس ولم يقبل الروم بالصلمح مع صاحب حلب سنة ٣٧٦
الا على شرط ان يدفع ما تأخر عليهم من الجزية لهم ، ورحل بسيل ملك الروم الي
الشام فحاصر حلب وفتح حمص وشيزر واقام على طرابلس ، ودامت معاهدة صاحب
حلب مع الروم الي حين وفاته سنة ٣٩٢ . وهكذا أصبحت الدولة الحمدانية بعد
عزها على عهد سيف الدولة ، ذليلة خاضعة لسultan غيرها في عهد خلفه .

لا تعجبين من ذلك كيف هوى بل فاعجبين من سالم كيف نجحاً

* * *

تجازب السلطة بين (ملك المعز الفاطمي وتولى ابنه العزيز (٣٦٥) فقصد
العباسيين والفاطميين) افتكبن المستولي على دمشق سواحل الشام وعمد الي
صيدا فحصرها وبها ابن الشيخ ومعه رؤوس المغاربة ومعهم ظالم بن موهوب العقيلي
فقاتلهم ، وكانوا في كثرة فطمعوا فيه وخرجوا اليه فاستجروهم حتى ابعدوا ثم عاد عليهم
فقتل منهم نحو اربعة آلاف قتيل ، وطمع في اخذ عكا فتوجه اليها وقصد طبرية
ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا وعاد الي دمشق .

ثم ارسل العزيز القائد جوهرًا في العساكر الى الشام ، فلما سمع افتكين بمسيره جمع اهل دمشق وتعاهد معهم ، فبايعوه على الطاعة وبايعهم على الذب عنهم ، فوصل جوهر الى دمشق (٣٦٥) ورأى من قتال افتكين ومن معه ما استعظمه ، ودامت الحرب شهرين قتل فيها عدد كثير من الطائفتين ، فلما رأى اهل دمشق طول مقام المغاربة عليهم اشاروا على افتكين بمكاتبة الحسن بن احمد القرمطي ملك القرامطة واستنجاده ، فجاهم القرمطي واجتمع اليه من رجال الشام والعرب نحو من خمسين الفاً ، فرحل جوهر من دمشق خوفاً من ان يبقى بين عدوين وكان مقامه نايها سبعة اشهر وتبعه افتكين والقرمطي والنقوا يباها وحصلوه في عسقلان فعابن الهلاك هو واصحابه من الجوع نحو سبعة عشر شهراً فبذل لانتكين مالاً لينّ عليه و يطلقه ، فرحل افتكين عنه وسار جوهر الى مصر ، واعلم العزيز بالخال فسار العزيز بنفسه الى الشام في سبعين الف مقاتل ، ووصل الرملة فقاتله افتكين والقرامطة بظاهرها قتالاً شديداً فصر العزيز وقتل وأسر كثيراً (المحرم ٦٢) وقد قتل من المغاربة جيش الفاطمي نحو من عشرين الفاً . وجعل العزيز لمن يحضر افتكين مائة الف دينار ، وطلب افتكين في هزيمته بيت صاحبه مفرج بن دغفل الطائي ، فأسره مفرج في بيته واعلم العزيز به فاعطاه الجمل ، واحضر افتكين (٣٦٨) فاطلقه العزيز واصحابه ، وانعم عليه وصحبه الى مصر و بقي عنده معظماً حتى مات بها . وبعث العزيز الى الاعجم زعيم القرامطة وهو منهزم فادركه بطبرية واعطاه عشرين الف دينار فسار الى الاحساء . ودلّ العزيز بكفه عن قتل افتكين على بعد نظره ، وانه اثر فيه ما اسداه من الجليل لقائده جوهر في نوبة عسقلان باطلاقه وسراجه وسراح من معه ، فقابل العزيز افتكين على جميله بمثله . خصوصاً وان افتكين لم يقصر منذ استولى على دمشق بملاطفة خليفة مصر الملوي ومجاملته ، وان كان من جهة ثانية نزع خطبته وارجع الخطبة العباسية في كثير من مدن الشام ، واكرم العزيز ملك القرامطة الذي ندبه الدمشقيون على لسان افتكين ان يعاونهم على الخلاص من الدولة المصرية لظلم عمالها ومخالفتها لم المذهب . وذلك ليستميل قلبه حتى لا يعود ثانية الى نصره احد من اهل بلاده عليه .

سوء حالة دمشق واضطراب }
 الاحكام المصرية }
 لما فارق افتكين دمشق الى فلسطين قدم على
 اهلها رجلاً اسمه قسام الحارثي من الابطال
 المعروفين وقيل من ارباب الدعارة العيسارين كان اصله من قرية تليفيتا في سنير ،
 يعتاش بنقل التراب على الحمير ، ونقلت به الاحوال حتى صار له ثروة واتباع ، وغلب
 على دمشق وما اليها من الاصقاع ، بحيث لم يبق معه لنوابها من الفاطميين امر ولا
 نهي ، ودام ذلك سنين . وكان القائد ابو محمود بن ابراهيم المغربي قد عاد الى البلد
 والياً عليه للعزير فلم يتم له مع قسام امر ، وامتدت ايدي اصحاب ابي محمود بالعيث
 والفساد وقطع الطرق فاضطرب الناس وخافوا ، وانتزع أهل القرى منها لشدة
 نهب المغاربة أموالهم وثلثمهم لهم ، ووقعت فتنة عظيمة بين عسكر ابي محمود وبين العامة ،
 فألقى عسكره النار من ناحية باب الفرائس فأحرقوا تلك الناحية ، وكانت فيها
 أجمل قصور دمشق ، وحرقت كثير من أحياء البلد ، وهلك فيه جماعة وما لا يمد من
 الاثاث والاموال ، ثم اصطلموا مع القائد ابي محمود ثم انتفضوا ولم يزالوا كذلك
 الى سنة ٣٦٤ .

ولما خاف الفاطميون عاقبة قسام الحارثي ، اذا استلذ طعم الانتصار غير مرة ،
 سبروا لحره الامير الافضل فحاصروه دمشق وضاق باهلها الحال فخرج قسام منكراً
 فأخذته الحرس فقال : انا رسول . فأحضره الى الافضل فقال له : انا رسول قسام
 اليك لتخلف له وتعوضه عن دمشق بلداً يعيش به وقد بعثني اليك سرّاً ، تخلف
 الافضل ، فلما توثق منه قام وقبل يديه وقال : انا قسام . فأعجب الافضل ما فعله وزاد
 في اكرامه وردّه الى البلد وسلمه اليه ، وقام الافضل بكل ما ضمنه وعوضه موضعاً عاش
 به فلما بلغ ذلك العزيز أحسن صلته . ذكر هذا القفطي وأورد الذهبي رواية أخرى
 في أمر قسام قال : انه تقدم لقتاله سليمان بن جعفر بن فلاح الى دمشق فنزل في
 ظاهرها ولم يمكنه دخولها فبعث اليه قسام بخطه انا مقيم على الطاعة ، وبلغ العزيز
 ذلك فبعث البريد الى سليمان يرده فترحل سليمان من دمشق وولى العزيز عليها
 ابا محمود المغربي ولم يكن له ايضاً مع قسام امر ولا حل ولا عقد . قال ابن تفرج
 بردي : ولعل الذي ذكره الذهبي كان قبل توجه عسكر افتكين والافضل ، فان الافضل

لما سار بالجيوش أخذ دمشق من قسام وعوضه بلداً آخر وهو المتواتر .
 وكان من سياسة قسام الحارثي ان كان يدعو للعزيم بالله العلوي على المنابر .
 وقبل ان يبحر به المصريون وصل اليه ابو تغلب بن حمدان صاحب الموصل وحط رحاله
 في حوران ، فتمعه قسام من دخول دمشق ، فاستوحش ابو تغلب وجري بن اسحابه
 واسحاب ابى تغلب شيء من قتال ، فرحل ابو تغلب الى طبرية ، وورد من عند العزيم
 القائد الافضل في جيش فقاتله وجماعته حتى قتل في الرملة (٣٦٩) ونزلت الديار ،
 واتت بنو طي على الناس وشملهم البلاء منهم .

* * *

خوارج على دولة الجنوب) كان مفرج بن الجراح امير بني طي بوسائر
 ودولة الشمال) العرب في فلسطين قد كثرت جموعه وقويت
 شوكته ، وعاث في فلسطين وخرابها ، وهلك من فيها فكان الرجل يدخل الى الرملة
 يطلب فيها شيئاً يأكله فلا يجده ومات الناس بالجوع وخربت الاعمال بخاف العزيم
 عاقبة امره بعد ان رأى ما اتعب دولته من امر الخوارج افتكين والاعصم وقسام وابن
 حمدان ، فجهز المساكم لخر به مع قائده بلتكين التركي فسار الى الرملة ، واجتمع اليه
 العرب من قيس وغيرهم ، ولقي ابن الجراح وقد كمن لهم بلتكين من ورائهم ، فانهمزم
 ومضى الى انطاكية فاجاره صاحبها . وءادف خروءج ملك الرملة من القسطنطينية الى
 بلاد الشام بخاف ابن الجراح وكتب بكجور عامل حمص لابي المعالي بن سيف الدولة
 ولجأ اليه فاجاره . وكان بكجور والى حمص يمد دمشق ايام هذه الفتن والغلاء ويعمل
 الاقوات من حمص اليها . وكانت دمشق في هذا العهد قد خربها العرب واهل
 العيث والفساد ، وانتقل اهله الى حمص فعمرت . ورتبا كان هذا القرن اشأم القرون
 السالفة على الشام ودمشق خاصة وكان كل اذى ينزل بها وباهلها . قال ابن بطريق :
 سار بكجور الى ابي المعالي بن سيف الدولة من حلب ومو يومئذ بحمص فنلغ عليه ابو
 المعالي وولاه حلب ، وعاد بكجور الى حلب وأقيمت له الدعوة فيها وفي سائر اعمالها ،
 ووافق بكجور لسائر غلمان الدولة على القبض على قرغويه ، وسار ابو المعالي الى حلب
 واخرجه من حمص وقبض على قرغويه وسار ابو المعالي من حلب وفتح المعرة وما يليها

في شوال سنة ٣٦٦ ، ونزل الى حلب ومعه بنو كلاب ووقع القتال بينه وبين بكجور ، واستظهر ابو المعالي عليه ودخل في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٧ واستقر الامر بينه وبين بكجور على ولاية حمص . ثم عصا بكجور على سعد الدولة واستدعى جيوش العزيز فسارت معه ونزل على حلب وتحمار بوا يومين ، وسار الدوهمتي الى حلب ، وورد خبره على بكجور فرحل اليه ، فوقع القتال وجرى بينه وبين سعد الدولة مراسلة واستقر الحال بينهم على ان يحمل اليه سعد الدولة مال سنين اربعين الف دينار ، وسار الدوهمتي وقصد حمص وسبى اهلها ، واحرق بها جماعة اعتصموا في المغاور وسار بكجور الى دمشق ونقلها .

وكان بكجور يكتب العزيز الفاطمي بما يقوم به من الخدم فاستنجز وعد العزيز اياه بولاية دمشق فولاه اياها سنة ٧٣ الا انه اساء السيرة في اهلها وقتل اناسا وصادر آخرين وجمع الاموال لنفسه ، فجزت العساكر عليه من مصر مع منبر الحادم وكتب الى نزال عامل ضرابلس بمظاهرتة . وجمع بكجور العرب وخرج للقائه فانهم ثم خاف من وصول نزال فاستمن اليه ، وتوجه الى الرقة فاستولى عايبها ، ودخل منبر دمشق واستقر في ولايتها واحسن السيرة في اهلها ، وارفعت منزلته عند العزيز وجبزه لحصار سعد الدولة بحلب .

وكان بكجور بعد انصرافه من دمشق سأل سعد الدولة العود الى ولايته حمص فنعه لانه كان نزع يده من الدولة الحمدانية ووضعها في يد الدولة الفاطمية ، فلما اخفق عاد الى دوانته الاولى مرمرته واجلبت عليه ، فاستنجد بكجور الملك العزيز لحرب سعد الدولة فبعث الى نزال عامل ضرابلس بمظاهرتة ، فسار اليه بالعساكر ، وخرج سعد الدولة من حلب للقائه وقد اصغر نزال الغدر بكجور ، واستعد سعد الدولة للقائهم ، وقد استمد عامل انطاكية للروه فامده بجيش كثير ، وداحل العرب الذين مع بكجور في الانهزام عنه وكانوا وعدوه ذلك من انفسهم ، فلما تراءى الجمعان وشعر بكجور بخديعة العرب استمات وحمل على الصف بقصد سعد الدولة فقتل لؤلؤاً الكبير . مولاة ، ثم حمل عليه سعد الدولة . فبزمه ، فسار الى بعض العرب ثم حمل الى سعد الدولة فقتله ، وسار الى الرقة فلما كبا وقبض جميع امواله وكان شيئاً كثيراً لا يعبر عنه .

وزاد ابن مسكويه في تفاصيل هذه الحادثة ما يلي : كُتِبَ لبكجور رفاقه مجلب
 بوادونه فكانت بوه واطمعهوه في الامر ، واعلموه تشاغل سعد الدولة باللذات فاغتر باقوالهم
 وكتب الى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ، ويطلب منه الانجاء والمعونة ، فأجابه الى
 كل ملتمس ، وكتب الى نزال الغوري والي طرابلس بالمسير اليه متى استدعاه من غير
 معاودة . وكان نزال هذا من قواد المغاربة وصناديدهم ، ومن صنائع عيسى وخواصه
 فتلكاً نزال وكتب سعد الدولة بسيل ملك الروم يعلمه عصيان بكجور عليه ، وسأله
 المجاهد بالبرجي صاحبه بأنطاكية فسار اليه ، وبرز سعد الدولة في غلانه وطوائف
 عسكره ، ولم يكن معه من العرب الا خمسمائة فارس الا انهم اولو بأس . وثقارب
 العسكران ووقع الطراد ، وكان الفارس من اصحاب سعد الدولة اذا عاد اليه وقد طعن او
 جرح خلع عليه واحسن اليه . وكان بكجور شحيحاً فاذا عاد اليه رجل من رجاله على
 هذه الحال امر بان يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في امره . ففضى شبح بكجور عليه حتى
 اسلمه الى خصمه فقتله .

وبعض خلائق الاقوام داء كداء البطن ليس له دواء
 وبعض الداء ملتمس شفاه وداء النوك ليس له شفاء

وقد اعطى سعد الدولة سلامة الرشيق عهداً بالابقاء على آل بكجور واموالهم
 على ان يسلمه حصن الرافعة ، وسو بلد متصل بالرقعة ، فخرجوا منها ومعهم من الاموال
 والزينة ما كثر في عين سعد الدولة ، فانه كان يشاهد من وراء سرادقه ، وبين
 يديه ابن ابي الحصين القاضي . وقال له : ما ظننت ان حال بكجور انتهت الى ما اراده
 من هذه الاثقال والاموال . فقال ابن ابي الحصين : ان بكجور واولاده مماليكك
 وكل ما ملكه وملكوه فهو لك ، لاجرج عليك فيما تأخذه منهم ، ولا حنت في الايمان
 التي حلفت بها ، ومها كان من وزر واثم فعلي ، فلما سمع هذا القول اصفى اليه ، وغدر
 بهم وقبض جميع ما كان معهم .

قال ابن مسكويه : فما كان اسوأ محضر هذا القاضي الذي حسن لسعد الدولة
 تسويل الشيطان ، وافتاه بنقض الايمان ، ثم لم يقنع بما زين له من غدره ، ولبس عليه
 من امره ، حتى تكفل له بحمل وزره ، وهل احد حامل وزر غيره ، اما سمع قول الله

تعالى في اهل الضلالة : « وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم وما هم بمجاهدين من خطايابكم من شيء انهم لكاذبون » .

* * *

حملة الفاطميين على الحمدانيين () ومات سعد الدولة على الاثر فقام بمعه ابنه و-انتجاد هؤلاء بصاحب الروم () ابو الفضائل ووصيه لؤلؤ فاخذ هذا العهد على الاجناد لابي الفضائل ، وتراجعت العساكر الى حلب ، فرأى العزيز ان الوقت قدحان لاستئصال بلاد الشام بأسرها وانقاذها من هذا التذبذب بين الدولتين ، جنوبها للعزيز وشمالها للحمدانيين ولا يفتأ كل فريق يدس للآخر ، فسير جيشاً كبيراً على حلب وعليه منجوتكين اتفق عليه الف الف دينار ونيماً فلما وصل الى دمشق تلقاه اهله وقوادها وعساكر الشام كلها ، فأقام بها مدة ثم رحل الى حلب قال ابن ميسر : بل كانت بينه وبين اهل دمشق حروب آلت الى ظفرد . وقد استعد واحشد ونزلها في ثلاثين الف رجل ، وتحصن بها ابو الفضائل ولؤلؤ .

ووقع القتال بين منجوتكين والحمدانية على اقامية فانزمت الحمدانية (٣٨٢) وقتل وأسر جماعة منهم ، ونزل منجوتكين على حلب ووقع الحرب في جميع جوانب المدينة ودخل الى اعمال الروم بسبب اعتقال البرجي لرسوله ، ونزل على حصن عم ضيعة البرجي في بلد ارتاح فقاتله وفتحهم وسبي وقتل وسار الى انطاكية فرشقه الانطاكيون بالنشاب وعاد منجوتكين الى منازل حلب وراجع القتال .

وعصى المسلمون في اللاذقية فسار البرجي اليهم وسباهم وحماهم الى بلد الروم ، وعاد منجوتكين من دمشق ونزل على اقامية تسلمها اليه وفاء خادم سيف الدولة (٣٨٣) ورحل الى شيزر وقاتلها وتسلمها من سوسن غلام سعد الدولة وعاد الى منازل حلب .

وكان ابو الفضائل كتب الى بسيل ملك الروم يستنجده وهو يقاتل البلغار فأرسل بسيل الى نائبه بانطاكية ميخائيل البرجي يأمره بانجاد ابي الفضائل ، فسار في خمسين الفاً حتى نزل على الجسر الجديد بالعاصي فلما سمع منجوتكين الخبر سار الى الروم ليلقاهم قبل اجتماعهم بابي الفضائل ، وعبر اليهم العاصي ووقع بالروم فوزهم وولوا الادبار الى انطاكية وكثير القتل فيهم ، وجمع من رؤوس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس

وحملت الى مصر وقال الانطاكي : قتل من الروم في هذه الواقعة التي دعيت بوقعة الخاضة (٣٨٤) زهاء خمسة آلاف وتم منجوتكين الى انطاكية ونهب رساتيقها واحرقها وكان وقت إدراك الغلة فانفذ لؤلؤاً واحرق ما يقارب حلب منها اضراً بالعسكر المصري . بعد منجوتكين الى حلب فحصرها واقام عليها ثلاثة عشر شهراً فقلت الاقوات فيها وعاد صاحب حلب الى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به فلما قلت الاقوات الى العزيز على نفسه ان يمد عسكره بالميرة من ثلاث مصر، فحمل مئة الف تليس^(١) في البحر الى طرابلس ومنها على الظهور الى افامية . فكان يوقع للغلمان بجزاياتهم وقضيم دوابهم الى افامية على خمسة وعشرين فرسخاً فيمضون ويقبضونها ويعودون بها . وبني واصحابه الحمامات والخانات والاسواق .

وعاد منجوتكين الى منازلة حلب ومحاصرتها وفتح حصن اعزاز وملك سائر اعمال حلب وولى عليها وبني حصناً مقابل حلب وانجد ملك الروم صاحب حلب وكان قد استنجده وأرسل اليه ملكوثا السرياني فقطع المسافة من بلاد الباغار الى حلب وهي ثلاثمائة فرسخ في بضعه ايام . ولما أقبل الروم أحرق منجوتكين الخزان والاسواق والابنية التي كان استحدثها ورحل في الحال منهزماً ووافى بسيل فنزل على باب حلب ، وخرج اليه ابو الفضائل ولؤلؤة ولقياها ، ثم عاد ورحل في اليوم الثالث الى دمشق وفتح حمص ونهب ، ونزل على طرابلس فمنعت جانبها منه فأقام نيفاً وأربعين يوماً فلما أيس منها عاد الى بلاد الروم ، وعاد منجوتكين غازياً الى انطاكية ثم سار الى حلب ورحل عنها الى انطربوس وقاتل الحصن اياماً وسار عامل الروم الى انطربوس ليدفع عنها وأرسلت مصر اسطولاً مؤلفاً من اربعة وعشرين مركباً مشحوناً بالرجال فكسر الاسطول بريح عاتية ، وخرج رجال المراكب الى البر ، فانهمز منجوتكين وجميع عسكره وخرج المقيموث في انطربوس واخذوا ما سلم من المراكب وأمروا من رجالهم خلقاً .

* * *

(١) التليس قفيزان بالعدل والقفيز مكيال ثمانية مكايك وانكوك يختلف باختلاف مصطلح كل بلد .

الخوارج على الفاطميين واستنجدوا)
 امرأ المسلمين بالروم)
 ورجوع الحمدانيين الى حلب ان الدولة
 الفاطمية يطمن بالها وما كان يجول في الفكر ان ينقلب عليها احد قوادها الذي كانت
 اصطفته ليدفع عن البلاد ما يهددها من الشر وأعني به منجوتكين فقد عصا على
 خليفته وأراد ان يستنجد الروم فلم يلتفتوا اليه فندب الخليفة العساكر من مصر لقتاله
 وقدموا ابا تميم بن جعفر تليها وأمدوه من الاموال ما أسرفوا فيه ، وسار ابو تميم من
 مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد ان ملكها . والتقى الجيشان بعسقلان وتواقعا
 فأجبت الوقعة عن هزيمة منجوتكين واصحابه ، فأسر وحمل الي مصر ، وسار ابو تميم
 فزل طبرية وأنفذ اخاه علياً الي دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول ، وكاتب
 اخاه بعصيانهم ، واستأذنه في قتالهم ، فكتب ابو تميم الي منقدهم من الاشراف
 والشيوخ ، وحذرهم عواقب فعل سفهائهم ، فخافوا وخرجوا الي علي مدعين بالطاعة
 ومنكرين لما فعله أهل الجهادة ، فلم يعبأ بقولهم وزحف الي باب البلد فملكه ، وأحرق
 وقتل وعاد الي معسكره .

ووافي ابو تميم في غدير فانكر على اخيه ما فعله ، وتلقاه وجوه الناس فشكوا اليه
 ما أظلمهم ، فأحسن لقاءهم وأمن جنابهم فسكنوا وعادوا الي معايشهم . وركب
 ابو تميم الي المسجد الجامع في يوم الجمعة بزيت أهل الهقار ، واجتاز في البلد بسكينة ،
 وبين يديه القراء وقوم يفرقون الدراهم على أهل المسكنة ، وصلى الجمعة وعاد الي
 القصر التي نزله بظاهر دمشق ، وقد استألب قلوب العامة بما فعله ، ثم نظر في
 الظلمات وأطاع من الحبوس جماعة من أهل الجنابات فازدادوا له حباً ، واستقرت
 قدمه واستنقام امره ، وعدل من بعد الي النظر في أحوال الساحل فهدبها ، وولى
 اخاه طرابلس وصرف عنها جيش ابن الصمصامة ، وكان جيش هذا من شيوخ كتامة .
 ذكر كل هذا ابن مسكويه وزاد ان ابا تميم كان مع سياسته مستهتراً باللذات ،
 فلم يشعر الا بهجوم المشاركة والعامة على قصره فخرج من دمشق هارباً ، ونهبوا
 خزائنه وأوقعوا ابن كان معاً من كتامة ، وعادت الفتنة بدمشق واستولى الاحداث .
 نار أهل دمشق مع ما كان فيها من الاوليياء المشاركة على ابن فلاح فخرج عن

البلد هارباً الى مصر وتغلب الاحداث على دمشق ورأسهم رجل منهم يعرف بالدهيقين فسارت جيوش الحاكم الى دمشق مع محمد بن الصمصامة للقاء الدمشقيين والدهيقين المتقلب على دمشق فسار الدهيقين الى مصر وطلب الامان . وقال ابن ميسر : في حوادث سنة ٣٨٧ انه كانت وقعة بين منجوتكين وبين ابن فلاح في الرملة تمل فيها نحو مئة الف من اصحاب منجوتكين وانهمزم ابن الجراح . وفي سنة (٣٨٨) وقعت النار في افامية واحترق ما كان فيها من القوت فسار ابو النضائل بن سعد الدوزي صاحب حلب في عسكر الحلبين وقاتلها مدة ثم رجع عنها لما سار اليها دوقس انطاكية وحاصرها هذا اشد حصار فاستجد الملايطي المنيم بها بجيش ابن الصمصامة بدمشق فسار اليه في عساكر ضخمة وانتشبت الحرب بينهم واستغفر عليه الدوقس وتل منهم مقلّة عظيمة واخذت البادية سواد عسكر المغاربة وبلغت الهزيمة الى بعلبك وقتل الدوقس فعادت الهزيمة على الروم فقتل منهم زهاء ستة آلاف واسر ابناء الدوقس وجماعة من رؤساء عسكره وحملوا الى مصر واقاموا بها عشرين سنين ثم فودى بهم الى بلاد الروم . وسار جيش محمد بن صمصامة الى شيرز فنجف ملك الروم بنفسه ففتحها وشحنها بالارمن وسار عنها الى حصن ابي قبيس فأخذه بالامان وسار الى حصن مصيات فملكه ايضاً واخر به وسار الى رافية فاحرقها وسبي اهلها وتوجه يحرق ويسبي الى ان بلغ حمص فنزلها وتخص منها نفر في كنيسة مار قسطنطين التي فيها تحرمها بها فلما علم الرؤوس من اهل عسكره احرقوها وكانت كنيسة معجزة وحمل نحاسها ورصاصها وسار الملك الى قرب بعلبك واستصرخ جيش من دمشق الى مصر بكتبه ووصف كثرة الجموع التي للروم فجردت اليه العساكر وكوب كل وال بالشام بالمسير معه فسار جميعهم حتى اجتمع بدمشق من العساكر كما قال الانطاكي : لا اظن انه اجتمع فيها للاسلام مثله ورجع الملك عن طريق الساحل واحرق عرقة وهدم حصنها ثم نزل على طرابلس (٣٨٩) وحاربها براً وبحراً ثم رحل الى انطاكية . وافتتح حصن ابي قبيس بالامان .

وامتدت ولاية منجوتكين التركي امرة الجيوش الشامية الى ما بعد سنة ٣٨٦ وكان هذا الامير ظالماً جباراً ساءت سيرته في ولايته دمشق وحمص وكثير ظلمه .

وولي إمارة دمشق بشارة الإرخشيدي من قبل برجوان الخادم الحاكمي (٣٨٨) وكان ولي طبرية قبل ان يلي دمشق مدة سنين .
 وكان أهل صور قد عصوا (٣٨٢) وأمروا عليهم رجلاً ملاحاً يعرف بالعلاقة .
 ضرب السكة باسمه وكتب عليها « عن بعد فاقة لامير علاقة » فأرسلت عليه حكومة الفاطميين اسطولاً فاستبحار علاقة بملك الروم فأنفذ اليه عدة سراكب مشحونة بالرجال والمقاتلة ، والنقت هذه المراكب بمراكب المسلمين فاقنتلوا فظفر المسلمون وملكوا مراكباً من سراكبهم ، وقتلوا من فيه وانهمزت بقية المراكب . وهكذا استنجد بالروم في هذه الحقبة اميران على بني جنسها ودينها ليستمتا بالملك وهما ابو الفضائل في حلب وعلاقة بصور .

وكان المخرج بن دغفل بن الجراح قد نزل على الرملة وعاث في البلاد ، وانضاف الى حادثه وحادثه علاقة نزول الدوقس صاحب الروم في عسكر كثيف على حصن أفامية ، فاصطنع برجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدمه ، وجهاز معه عسكرياً وسيره الى دمشق ، وبسط يده في الاموال ونفذ أمره في الاعمال ، وسار جيش بن الصمصامة ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالي والياً فتلقاه طائفاً وصادف ابا تميم بها فقبض عليه قبضاً جميلاً وندب ابا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر الى صور بعد ان كان أنفذ اليها سراكب في البحر مشحونة بالرجال فأحاطت العساكر بها برأً وبحراً وضعف اهل صور عن القتال وأخذ علاقة فجعل الى مصر فسلبها واصلب بها وأقام ابن حمدان والياً عليها .

وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا
 والناس كالتبت فمنهم رائق غضض نصير عوده مرء الجنى

وسار جيش لقصد مفرج بن دغفل بن الجراح فهرب من بين يديه وعاذ بالصنع فكف جيش عنه واستخلصه على ما قرره معه ، و عاد سائراً الى عساكر الروم النازل على حصن أفامية ، فلما وصل الى دمشق تلقاه أهلها في أشرافها ووجوه أحداثها مذعنين له بالانقياد ، راغبين في استصحابهم للجهاد ، فجزاهم خيراً فأقبل جيش على رؤساء الاحداث بدمشق وبذل لهم الجميل ، ونادى في البلد برفع المؤمن ، وإباحة دم كل

مغربي يتعرض لفساد ، فاجتمعت الرعية وشكروه ، وسألوه دخول البلد والنزول بينهم فلم يفعل ، ثم سار ونزل بمحصر واجتمعت عساكر الشام وتوجه الى حصن أفامية ، فوجد أهلها وقد اشتد بهم الحصار ، فنزل بازاء عسكر الروم وبينه وبينهم نهر العاصي . ثم التقى الفريقان من بعد ونازعا الحرب ، وكان المسلمون يومئذ في عشرة آلاف من الطوائف والوف فارس من بني كلاب فحملت الروم على المسلمين فزحزحهم عن مصافهم ، وانهمزت اليمينه والميسرة ، واستولى الروم على كراعهم وعطفت بنو كلاب على اكثر ذلك فنهبوه ، وثبت بشارة الاخشيدى في خمسمائة فارس ، ورأى من في حصن أفامية من المسلمين ما أصاب اخوانهم فإيسوا من نفوسهم .

قالوا وكان الدوقس عظيم الروم في هذه الوقعة بعد ان تراجع المسلمون على رأسه راية وبين يديه ولداه وعشرة خيالة ، فقصده احمد بن الفخاك الكردي على فرس جواد فظنه عظيم الروم مستأمنًا ، فلما قارب طعنه الكردي فقتله فانهمزت الروم وتراجع المسلمون فركبوا أقفيتهم قتلًا واسرًا وألجأوهم الى مضيق في الجبل وأسروا ولد الدوقس ، وحمل الى مصر من رؤوسهم عشرون الف رأس والف أسير .

وعاد جيش الى دمشق فاستقبله اهلسا ، فخلع على وجوه الاحداث وحملهم على الخيل والبغال ، ووهب لهم الجوارى والغلمان ، وعسكر بظاهر البلد وأخلوا له قرية بيت لهيا على باب دمشق ليكون مقامه بها ، وتوفر على استعمال العدل وتخفيف الثقل ، فاستنحس رؤساء الاحداث واستنحج جماعة منهم ، ثم أوقع بهم كلهم ، ودخل البلد وثلم السور من كل جانب ، ونزلت المغاربة دور دمشق ، وركب جيش فدخل دمشق وطافها ، واستغاث الناس به ولاذوا ببعقوه (?) ، فكف عنهم واستدعى الاشراف استدعاء حسن ظنهم فيه ، فلما حضروا أخرج رؤساء الاحداث وامر بضرب رقابهم بين أيديهم ، ثم صلب كل واحد في محلته . وجرى الى المريج والغوطة قائداً وامره بوضع السيف فين بها من الاحداث فقال انه قتل الف رجل منهم ، حتى اذا فرغ من ذلك كله قبض على الاشراف وحملهم الى مصر واستأصل اموالهم ونعمهم ، ووظف على البلد خمسمائة الف دينار . وكان عدد من قتلهم ثلاثة آلاف رجل ثم هلك نخله ولده . وجيش بن محمد بن صمصامة ابو الفتح القائد المغربي هو ابن

اخت ابي محمود الكافي امير امراء جيوش المغرب ومصر والشام المتوفى سنة ٣٩١
تولى نيابة دمشق غير مرة وكان ظالماً سفاكاً للدماء ظلم الناس كثيراً . قالوا : وعم
الناس في ولايته البلاء من القتل وأخذ المال حتى لم يبق بيت في دمشق ولا بظاها
الا امتلاً من جوره خلا من كان ظالماً بعينه على ظلمه . ومن ولي دمشق للمصر بين
وساءت سيرته ختكين القائد ثم القائد طرملة بن بكار البربري وكان عبداً اسود
لوالي القيروان ، فجار على اهلها كما جار ختكين وظلمهم واخذ اموالهم ، وفر الى مصر
وحمل بعض ما كان معه الى الحاكم ، فتمكنت حاله عنده وولاه دمشق فأقام والياً
عليها الى سنة ٣٩٤ ثم صرف عنها بجادم من خدم الحضرة .



تتمة دور الفاطميين

« من سنة ٣٩٤ — ٤٦٣ »



خوارج ومذاهب } ظهر في اعمال حلب سنة ٣٩٥ رجل اسمه احمد بن الحسين
جديدة وقتن } ويعرف بالاصفر فتزيا بزي الفقراء وتبعه خلق من العرب
وسكان القرى وصحبه رجل من وجوه العرب يعرف بالجملي ، ونازل شيزر واسرى في
جماعة من العرب وغيرهم ممن اجتمع اليه ولقي عسكر الروم وكبس والي أرتاح وسار
نحو جسر الجديد يريد أنطاكية فلقبه في مهروية على فرسخين من انطاكية بطريق يقال له
ببغاس في عسكر كان معه فقتل الجملي وانهمزم الـاصفر إلى سروج ، ونزل قرية كفر
عزرون وكانت حصينة ففتحها العامل الرومي واسر منها اثني عشر الف اسير واخذ غنائم
كثيرة وكان قد اجتمع عرب بني نمير وبني كلاب مع وئاب بن جعفر صاحب سروج في
زهاء ستة آلاف فارس على الرومي فلقيهم وهزمهم وتوسط لؤلؤ صاحب حلب ان يعقل
الاصفر بقلعة حلب فاخذوا عتقل وبقي فيها معتقلا الى ان دخلت حلب في حكم
الفاطميين (٤٠٦) .

وأمر الحاكم (٤٠٤) بـاروح التركي الملقب علم الدولة على جيوشه ولقبه امير
الامراء وولاه الشام وسيره اليها وحمل باروح معه زوجته وهي ابنة الوزير يعقوب
ابن يوسف بن كلس وحمل معها اموالها في قافلة مع التجار ، فاعترضهم ظاهر غزاة المنرج بن
دخفل بن الجراح واولاده فأوقع بهم وحاز جميع ما كان معهم واخذ باروح اسيراً وقلعه

وسار ابن الجراح الى الرملة ودخلها ، وابعح للعرب نهبها وصادر الاموال وافنقر جماعة هناك . واقام الدعوة لابي الفتوح الحسن بن جعفر الحسيني امير مكة يومئذ ، واسماه امير المؤمنين ولقبه الراشد لدين الله ، وضرب له السكة واستمذت العرب على جنوب الشام وملكوه من الفَرَمَا الى طبرية وحاصروا حصون السواحل مدة طويلة ولم يمكنهم اخذ شيء منها .

واستدعى ابن الجراح ابا الفتوح الحسيني من مكة فسار الى الشام ووصل الى الرملة ودخلها راكباً فرساً ونزل في دار الامارة بها ، وانشأ كتاباً قرياً على الناس بان لا يقبل له احد الارض وان هذا شيء ينفرد به الله عز وجل ، وجلب معه اموالاً كثيرة من الحجاز فاكلها العرب وحجزوا عليه واشرف على ضعف امره . وقد كان الحاكم بذل فيه اموالاً جسيمة لحسان بن المفرج فاشار على ابي الفتوح بالرجوع الى طاعة الخليفة العلوي واوصلوه الى مأمنه فلما عاد الى مكة اقام الدعوة الى الحاكم على الرسم السالف بعد ان كان اقامها لنفسه ، وكتب الى الحاكم يعتذر فقبل عذره ووصله واحسن اليه . وحصل الشام في ايدي بني الجراح واقاموا متغلبين عليه الى المحرم سنة اربع واربعائة وعظمت مصادرتهم للناس مرة بعد اخرى وعسفهم ايام فهرب من نصارى الشام خلق كثير توجهوا الى بلاد الروم وقصد اكثرهم اللاذقية وانطاكية وقطنوهما . اسنقل المفرج بن دغفل بن الجراح سنين وخمسة اشهر في الشام ولم يرسل الحاكم عليه عسكرياً وفي المحرم (٤٠٤) سير القائد علي بن فلاح الملقب قطب الدولة في جيش كبير جمع فيه معظم رجال مملكته ، وكوتبت الجيوش في دمشق والسواحل بلقائه ، وسارت العساكر من الجهتين نحوه فانفق في الحال ان مات المفرج بن دغفل واتصل باولاده قصد العساكر اليهم فذهبوا مع العرب الى البرية وتخلوا عن الرملة وغيرها من البلاد التي غلبوا عليها .

ولى الحاكم عهده لابي القاسم عبد الرحمن بن الياس بن احمد بن المهدي بالله وجعله الخليفة بعده (٤٠٤) ودعى له على المنابر ونقش اسمه على السكة ، وحصل بدمشق وفتح لاهلها في شرب القهوة وسماع الاغاني فاحبه اهل دمشق ومقته الجند لشحه ، ولذاع بعض الدرزية دعوته في قوم من المسلمين في وادي التيم فقباهم الذين استجابوا

لدعوته بمذهبيهم فغزاهم امير الاكراد ابن تالشيل فقتل منهم وسبي واحرق واهلك خلقاً . واستشعر ولي العهد بعد ما جرى في امرهم انكار الحاكم ما فعل بهم ، وحذر ان يحنق عليه بسببهم ، فانفذ صاحباً له يعرف بابن الخرقاني الى حسان بن المرزج بن الجراح ليقرر له معه ان يكون من جهته فشغب عليه الجند وقتلوا الخرقاني بدمشق ونهبوا دار ولي العهد فاستغاث بالدمشقيين والغوطين فاحاطوا بالقصر الذي ينزله بظاهر دمشق فانشب الحرب بينهم وبين الجند واندفع الدمشقيون عنه ونهب الجند القصر وكان عند تواصل الاخبار الى الحاكم بعصيان ولي العهد ندب صاعد بن عيسى ابن نسطورس للخروج الى الشام ، وأعطاه من العدد السلطانية والآلات الجليلة ما لم يعط لغيره ، وتقدمت مكاتبة الحاكم الى ولي العهد يأمره بالحضور الى مصر فبادر بالرحيل وسار العسكر معه الى الزملة ولما يقن الحاكم امثاله امره زالت الشبهة عنه من نفسه ، وكتب يرسم له بالرجوع الى دمشق وقلد ثقليداً ثانياً .

وثار بمشق بعد مسير ولي العهد عنها رجل من اهله يعرف بمحمد بن ابي طالب الجزائر واجتمع اليه جمع كثير من احداثها ومن رعاها اهل حوران امتعاضاً لولي العهد وثاروا الجند ، وطرح الجند النار في المدينة فاحرقت منها قطعة كبيرة ، ولما عرف محمد بن ابي طالب الجزائر عودة ولي العهد سار للقائه واجتمعوا في لُدّ وسار محمد بن ابي طالب الى دمشق وقد اجتمع اليه خلق كثير ودخل دمشق بغتة ، وراجع الحرب واستظهر على الجند واخرجهم من المدينة ، وارسل اليه ولي العهد في تسكين الفئنة فلم يطعه وقتل قاضي دمشق وتسلط هو والاحداث عليها ، وقتل ايضاً جماعة من الناس ونهبهم ، وتوفاه اهل السلامة وخافوا منه ، وغلت الاسعار بقيام الفئنة فاجتمع على الناس بدمشق الجوع والحريق والنهب والقتل . وكان محمد بن ابي طالب قد سدّ الباب الشرقي فوجد الدمشقيون فرصة وفتحوه وقبضوا عليه وقتلوه وصلبوه على باب الجابية وقتلوا جمعاً ممن كان على رأيه ، واستنقام امر دمشق وصلح حال ولي العهد واطلق يده في مصادرة جماعة من الدمشقيين والمتهمين بقيام الفئنة فنكروا عليه وابغضوه واجتمع اهل البلد والجند على كراهيته — خلصت كل هذا من تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي .

نقسم البلاد بين القبائل { كان لؤلؤ غلام ابن حمدان وولده منصور بن لؤلؤ
 ودولة بني مرداس } قد استوليا على حلب بعد موت ابي الفضائل بن
 سعد الدولة بن حمدان ، وضيق منصور بن لؤلؤ على ابني ابي الفضائل فقصد
 الحاكم في مصر ، وهرب ابو الهيثم بن سعد الدولة من حلب ايضاً في زي النساء
 والتجأ الى بسيل ملك الروم ومات لؤلؤ في المحرم سنة ٣٩٩ وآلت الامارة لولده
 الصغير منصور بن لؤلؤ ، وكرهه كثير من الحلبيين ورغبوا في ابي الهيثم ، وكذلك
 امراء بني كلاب المديرين بلد حلب ، وسار ابو الهيثم الى ميفارقين فانفذ معه حموه
 ابن مروان صاحباً له في دون المائتي فارس وسار الى الجزيرة ولقيه جماعة امراء بني
 كلاب وضمنوا له ان يعاضده ، وخافه منصور بن لؤلؤ فاستصلح بني كلاب وشرط لم
 ان يعطيهم الاقطاعات الكثيرة ويجعلهم مساهمين له في الضياع والاعمال التي في
 ظاهر حلب ، واستنجد بالمغاربة جيش الناطميين فأمرع اليه علي بن عبد الواحد بن
 حيدرة قاضي طرابلس في عسكر منيع ، وكان اليه النظر في طرابلس وسائر الحصون ،
 فانفقت موافاته حلب مع نزول ابي الهيثم فانهزم هذا وذهب الى القسطنطينية ومات
 فيها عند صاحب الروم وعاد ابن حيدرة الى طرابلس واقام منصور بن لؤلؤ يخطب
 لصاحب مصر ولقبه الحاكم مرتضى الدولة ثم فسد ما بينه وبين الحاكم وعاد الكلابيون
 يلمسون من منصور بن لؤلؤ ما شرط لم فحضر منهم زهاء سبعمائة رجل فيهم جميع
 امراء بني كلاب وذوي الرئاسة والشجاعة فقبض عليهم جميعاً وامر ببذل السيف فيهم
 وحبس منهم جماعة وكان في جملة المحبوسين صالح بن مرداس فتوصل في الحبس الى
 ان سعد من السور وألقى نفسه من اعلى القلعة الى تها ، فسار الى اهله وجمع التي فارس
 واسر ابن لؤلؤ وقيده بقيده الذي كان في رجله ولبته الحديد .

واحزم الناس من ان فرصة عرضت لم يجعل السبب الموصول مقتضياً
 وانصف الناس في كل المواطن من سقي المعادين بالكساح الذي شربا
 وليس يظلم من راح يضربهم بحد سيف به من قبلهم ضربا
 وكان لابن لؤلؤ اخ فنجنا وحفظ المدينة ، وبذل ابن لؤلؤ الى صالح بن مرداس
 مائتي الف دينار فأطلقه على شرط ان يطلق كل أسير عند ابن لؤلؤ من بني كلاب .

وبنو كلاب بطن من عامر بن صعصعة ملكوا حلب ونواحيها ، واول من ملك منهم صالح بن مرداس هذا وكان لم في ايام سيف الدولة بن حمدان شأن وغرام غير مرة وبعد ان اصطنعهم واصطفاهم من بين قبائل العرب .

انقرضت دولة بني حمدان سنة ٤٠٦ و آخرهم في حلب المنصور ، وقد دامت حكومتهم في حلب وحماة وحمص والمرة وانطاكية زهاء سبعين سنة عزيزة مستقلة في اولها ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها في آخرها . وفي شوال (٤١١) سلم محمد بن خليد النهراي الى الروم الحصن المعروف بالخوابي في جبل نهران ومدينة مرقبة على ساحل البحر وكانت خراباً فأحسن اليه بسيل الملك . وتسلم نواب الفاطميين الشام حتى موت الحاكم بامر الله (٤١١ هـ ١٠٢١ م) وعندها اجتمع حسان امير بني طيء ، وصالح بن مرداس امير بني كلاب ، وسنان بن عليان امير بني كلب ، فتحالفوا وانفقوا على ان يكون من حلب الى عانة لصالح بن مرداس ، ومن الرملة الى مصر لحسان ، ودمشق لسنان ، فقصده صالح حلب وبها رجل يقال له ابن ثعبان يتولى امرها للمصريين ، فسلم أهل البلد لصالح لاحسانه اليهم ولسوء سيرة المصريين معهم، وسلمت القلعة اليه سنة ٤١٤ وملك من بعلبك الى عانة وأقام بحلب ست سنين .

افتتح حسان بن المفرج بن الجراح امير الطائبين مدينة الرملة (٤١٥) واتى عليها حريقاً ونهباً واسراً . وحاصر سنان بن عليان مدينة دمشق (٤١٦) وجرت بينه وبين أهلها حرب شديدة وخرب داريا واعمالها . وبقيت حال الشام على هذا الى سنة ٤١٩ وقد مات سنان بن عليان امير الكلبيين ، ودخل ابن اخيه رافع بن ابي الليل بن عليان الى الظاهر فاصطنعه وعقد له الامارة على الكلبيين وسير معه عسكرياً وانضافت اليه العساكر المقيمة في الشام ، واجتذب اليه جماعة من العرب ، وقصدوا باجمعهم حرب حسان بن المفرج بن الجراح وورد اليه صالح بن مرداس وبنو كلاب لمعاونه ، وانفقا على لقاءهم وتضافوا للحرب في بلد طبرية على نهر الأردن في موضع يعرف بالأخوانة (٤٢٠) وقتل صالح ومع علم حسان والعرب بقتله انهزموا باسراهم الى الجبال وقتل منهم جماعة ولما عرف اصحاب صالح المقيمون في بعلبك وحمص وصيدا ورفنية وحصن

ابن عكار قتله تخلوا عن جميعها واستعادها اصحاب السلطان . واستولى نصر وثمان ابنا صالح على حلب واعمالها وعلى الرحبة وبالس ومنبج .

وكان بانطاكية عامل للروم فجمع جيشاً وسار قاصداً حلب بغير امر ملك الروم فتلطف معه ابنا صالح بعد ان كبست العرب معسكره وقتلت منه جماعة ، ثم سار ملك الروم بنفسه (٤٢١) الى غزوة حلب واتصل بحسان بن الجراح ما عزم عليه ملك الروم من غزوة الشام ، فانفذ اليه جماعة من أهله برسالة يقوي بها عزمه على ما هم به وببذل له الخدمة في غزواته والمسير بين يدي جيوشه بهيئته واصحابه ، وانفذ ايضاً نصر وثمان ابنا صالح بن مرداس مع آل جراح ابن عمها مقلد بن كامل بن مرداس ببسذلان مثل ذلك عن نفوسها وعشيرتها واصحابها وان يعطي جميعهم رهائنهم على مناصحتهم اياه وصحة وفائهم بما بذلوه ووفد جميعهم الى الملك فنزل هذا بجيشه على نابل من بلد اعزاز فطاردهم العرب وانهمز اكثر المقاتلة وثبت بعضهم وقتل من الفريقين جماعة وأسرت العرب من الروم المنهزمين عدداً كبيراً وعاد الباقون الى معسكرهم ، ثم اضطر الملك الى العودة الى بلاده وكان معه جماعة كثيرة من الارمن فوضعوا ايديهم في النهب وزادت الفتنة ، ثم كتب نصر بن صالح الى ملك الروم يستعطفه ويعتذر اليه وبلتمس منه ان يجره على ما كان ابوه عليه وغيره ممن ملك حلب مع من تقدمه من اسلافه الملكين الماضيين بسيل وقسطنطين .

من لم نفعده عبراً أيامه كان الهمي اولى به من الهدى

قال ابن الاثير : لما خرج ملك الروم بنفسه من القسطنطينية الى الشام هذه المرة كان في ثلاثمائة الف مقاتل ، فلما بلغ قريب حلب نزل على يوم منها ولحقه عطش شديد فهلك كثير من جيشه عطشاً فعاد وجماعته ادراجهم . وقيل في عوده ان جمعاً من العرب ليس بالكثير عبر على عسكره وظن الروم انها كبسة فانهمزوا لايلون على شيء .

وذكر ابن المهذب المعري ان خروج أرمانيوس ملك الروم الى حلب في سنة حدى وعشرين واربعائة وكانوا ستمائة الف ومعه ملك البلغار وملك الروس والامان والحزر والارمن والبلجيك والفرنج وغنم المسلمون منهم مالا يحصى وأسرت

جماعة من اولاد ملوكهم . وفي قول ابن المهذب نظر لان هذا الجيش العظيم وهذه الام التي عدها يستحيل ان تسير مع ملك الروم الا اذا كان دعاهم باسم حماية النصرانية في الارض المقدسة ويستحيل ان تقترب منها ولا تفتحها وفي الشام امامها دول وامارات . وملك الروم (٤٢٢) قلعة أفامية وسبب ملكها ان الظاهر الفاطمي سير الى الشام اللز بري وزيره فملكه وقصد حسان بن المفرج الطائي فألح في طلبه فهرب منه ودخل بلد الروم ولبس خلع ملكهم وخرج من عنده وعلى رأسه علم فيه صليب و معه عسكر كثير فسار الى أفامية فكبسها وغنم ما فيها وسبى أهلها وأمرهم .

وفي سنة ٤٢٣ اجتمع في جبل السماق من بلد الروم جماعة من الدرزية وجاهروا بذهابهم وأخربوا ما عندهم من المساجد ، وتحصن دعاتهم ، وكثير من عوامهم في مغاور شاهقة منيعة ، وقصدهم وانضوى اليهم خلق كثير من اهل نخلتهم ، وتوفر عددهم واستضاموا السلمين انجاورين لهم من اهل بلدان حلب والذين هم بينهم ، ووعدوا أنفسهم وأطمعوا عوامهم بقوة أيديهم وكثرة استيلائهم على البلاد والاعمال القريبة والبعيدة . فرأى قطبان انطاكية مبادرتهم قبل نفاذ أمرهم وتخطيهم الى الفساد والعيث ، ورسم لمن يجاورهم من طراخته ^(١) قصدهم برجاله واصحابهم ، فتلطفوا في ان قبضوا على دعاتهم وامثالهم وقتلهم ، وحاصروا باقيهم في تلك المغاور ، فنصبوا عليها القتال اثنين وعشرين يوماً الى ان التمسوا الامان وخرجوا منها هاربين وتبع الروم السلمين في أعمالهم واخذوهم واضمحلوا ودثروا . وهذه ثاني وقعة للدروز في الشام والوقعة الاولى في وادي التيم بعد قيام دعوتهم على عهد الحاكم بامر الله الفاطمي .

وكان الحاكم هذا في جملة تحكياته الباردة على سكان مملكته في مصر والشام ان امر بهدم الكنائس فهدم كنيسة في دمشق وكنيسة القيامة بالقدس وغيرها من الكنائس العظمى فنفذ امره ونقض بعض الكنائس بيده وامر بان تهرم مساجد للمسلمين وامر بالبدء من أراد الاسلام فليسلم ومن اراد الانتقال الى بلاد الروم كان آمناً الى ان يخرج ومن أراد المقام على ان يلتزم ما شرط عليه فليقم وفي سنة ٤٠٠

(١) طرخان اسم للرئيس الشريف في قومه والذي لا يؤخذ منه الخراج ومن

يكون تحت يده خمسة آلاف رجل وهو دون البطريق والجمع طراخنة .

انشأ دار العلم بالقاهرة وأحضر فيها الفقهاء والمحدثين وبعد ثلاث سنين امر بقتل العلماء وأغلق دار العلم وبعد ان مضى لسبيله اشترط ملك الروم على الظاهر (٤٢٤) في المدينة التي عقدها معه ان يعمر الملك كنيسة القيامة ببيت المقدس ويمجددها من ماله و يصير بطريركاً على بيت المقدس وان يعمر النصارى جميع الكنائس الخراب التي في بلاد الظاهر .

بقي شبل الدولة مالكاً لحلب الى سنة ٤٢٩ فأرسل اليه أنوشتكين الذري قسيم الدولة العساكر المصرية وصاحب مصر يومئذ المستنصر بالله . فلقبهم عند حماة فقتل في المعركة ، وملك الذري حلب ووصف له بلاد الشام باجمعها ، وأباد المفسدين ومهد الامور ، حتى أمنت السبل في ايامه ، وعظم امره وكثر ماله ، وارسل يستدعي الجند الاتراك من البلاد فبلغ المصر بين انه عازم على العصيان فنقدموا الى اهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فقصد حماة فعصى عليه اهلها فكاتب محمد بن منقذ الكفرطابي فحضر اليه في نحو التي رجل فاحتفى به وسار الى حلب (٤٣٣) وتوفي بعد شهر واحد . وكان انوشتكين نائب الشام للمستنصر ، شجاعاً مقداماً ، عظيم الهبة ، حسن السياسة ، طرد العرب من الشام وأباد المفسدين ومهد احوال القطر وفسد بموته الشام وزال النظام وخرجت العرب في نواحي القطر ، فخرج ابو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة وجاء حلب فلما تسليماً من اهلها وسار (٤٤٠) ناصر الدولة الحسن بن حمدان امير دمشق وشجاع الدولة جعفر بن كلشيد والي حمص بجيئة من الجند وقبائل العربان من الكلابيين وغيرهم الى حلب لقتال متوليها ثمال بن صالح بن مرداس فخرج اهل حلب فهزمهم واخنق بالنار منهم جماعة فرجع بغير طائل ثم قلد قطز الصقالي دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعنقله بصور ثم بالرملة وقبض على راشد بن سنان امير بني كلاب وحمله الى صور فاعتنقه بها وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة الف دينار يريد الشام ومحاربة بني مرداس فخاربه الحلبيون فانهمز المصريون واسر رفق ومات في حلب . قال ابن ميسر : ونقدم المستنصر الى جميع ولاة الشام بالانتقاد لرفق فوفى بالرملة رسول ملك القسطنطينية واصلاً بالصلح

بين المستنصر وبني مرداس فقتل رفق وانخرقت الخدمة ، وجرت بالرملة ودمشق امور آلت الى حرب بين العسكر مدة ايام بباب توما من دمشق .

وجيز ثمال الي معرة النعمان واليا اساء التدبير فانخرط عنه الناس وآل امره الي الحرب ، فبادر جعفر امير حمص وتيجز الي المعرة بنفسه ولقيه . مقلد بن كامل بن مرداس فاقع به وقتله وشهر رأسه بجلب . وحصر ثمال امرأة الدزبري واصحابه بالقلعة احد عشر شهراً وملكها سنة ٤٣٤ فبقي بها الي سنة اربعين . وكان معز الدولة ثمال جمع للمصريين خمسة آلاف فارس . راحل فقاتلهم ثلاثة ايام ، فلما رأى المصريون صبر ثمال وكانوا ظنوا ان احداً لا يقوم بين ايديهم رحلوا عن المدينة . والسبب في قتال المصريين لثمال ابن صالح انه كان قرر على نفسه ان يحمل كل سنة عشرين الف دينار عمماً في يده ويد عشيرته الي صاحب مصر فتأخر الحمل سنتين . ثم ان معز الدولة ارسل الهدايا الي المصريين واصلح امره معهم ونزل لهم عن حلب فانقذوا اليها ابا علي الحسن بن علي ابن ملهم ولقبوه مكين الدولة فسلمها من ثمال سنة ٤٩ بعد حروب طويلة .

وفي سنة ٤٤٦ تقض الروم الهدنة مع صاحب مصر وكانوا تعهدوا بان يطمقوا له اربعماية الف اردب من الغلال بسبب الغلاء في مصر ولم يوفوا بالهد فجز المستنصر عسكراً قدم عليه مكين الدولة ابن ملهم لقصد اللاذقية ، فخرج في عسكرة وحاصرها واتبعهم بعسكر ثمان وعسكر ثالث ونودي في سائر بلاد الشام بالفرزوا الي بلاد الروم ، وحاصر ابن ملهم قسطنون بالقرب من فامية وضيق على اهله ، وجال في اعمال انطاكية ونهبها وسبي منها فبلغ ذلك ملكة القسطنطينية فسيرت ثمانين قطعة في البحر فامرت ملكهم ومن معه من اعيان العرب .

وفي سنة ٤٤٧ سير المستنصر فقبض على جميع ما في كنيسة القيامة بالقدس ، لان صاحب الروم اذن لرسول طغرلبيك السلجوقي ان يصلي في جامع القسطنطينية فخطب للقائم العباسي ، فغضب الخليفة الفاطمي . قال ابن ميسرة وكان هذا من الاسباب الموجبة لفساد ما بين المصريين والروم وفي هذه السنة تجتمع كثير من التركمان بجلب وغيرها فافسدوا في اعمال الشام .

وحدثت فتنة بين بعض السودان واحداث حلب ، فسمع ابن ملهم ان بعض الاحداث في حلب قد كاتب محمود بن شبل الدولة لیسلموا اليه البلد ، فقبض على جماعة منهم فاجتمع اهل البلد ، وراسلوا محموداً وهو منهم على مسيرة يوم يستدعونه ، وحصروا ابن ملهم وحصروه معهم فسيرت مصر ناصر الدولة بن حمدان امير دمشق لقتال من بها لاجل قطع خطبة المستنصر فيها فلما قارب البلد خرج محمود عن حلب الي البرية ، واخفى الاحداث جميعهم ، ولم يمكن ناصر الدولة اصحابه من دخول حلب ونهبها ، وسار في طلب محمود فالتقيا بالفنيدق فانهمزم اصحاب ابن حمدان وثبت هو فخرج وحمل الي محمود اسيراً فأخذه وسار الي حلب فملكها وملك القلعة في سنة ٤٥٢ فجهز المصريون معز الدولة ثمال بن صالح الي ابن اخيه فحصره في حلب فاستنجد بمجود خاله منيع بن شبيب النميري صاحب حران فجاء اليه فلما بلغ ثمالاً بجيئه سار عن حلب الي البرية (٥٣) وعاد منيع الي حران فعاد ثمال الي حلب وخرج اليه محمود ابن اخيه فاقتلوا وقاتل محمود قتالاً شديداً ثم انهزم محمود فمضى الي اخوانه بني أنمير بجران وتسلم ثمال حلب وخرج الي الروم فغزاهم . وذكر ابن ميسر : ان اليازوري أوزير مصر سير اموال الدولة جميعها لفتح بغداد وكان ذلك سبباً لخروج الغزالي الشام وملكهم اياه وقال في حوادث سنة ٤٥١ ان حادثة قتل البساسيري وقطع خطبة المستنصر من بغداد واعادتها للقائم ، كانت آخر سعادة الدولة المصرية ، فان الشام خرجت من ايديهم بعدها بقليل ولم يبق لهم سوى ملك مصر .

ولما توفي ثمال (٤٥٤) اوصى بحلب لابن اخيه عطية بن صالح فملكها ، ونزل به قوم من التركان فقوي بهم ، فاشار اصحابه بقتلهم فامر اهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون ، فقصدوا محموداً بجران واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها . وفي سنة ٤٥٥ نذب امير الجيوش بدر الجمالي لولاية دمشق على حرهبها وندب معه على الخراج الشريف ابو الحسين الزبيدي ، ولم يلبث امير الجيوش ان انصرف عن ولاية دمشق هرباً من اهلها فولى المستنصر عليها حصن الدولة حيدرة ثم ولاه الشام باسره (٤٥٨)

وفي سنة ٤٥٩ بعث المستنصر الي محمود بن الروقيلة المتقلب على حلب يطالبه

بجمل المال وغزرو الروم وصرف ابن خاقان ومن معه من الغز فلم يجبه وقال : انه لامال له وانه هادن الروم واعطى ولده رهينة على مال اقترضه منهم فندب المستنصر بداراً الجمالي امير الجيوش الى محاربه فدخل ابن عمار صاحب طرابلس بينها واصلح الحال . وفي سنة ٤٦٠ كانت حرب بدمشق بين امير الجيوش وبين عسكريته وكانت الحرب في مصر بين الاتراك في الجيش مع الفاطميين .

وفي سنة ٤٦١ وقع الخلف بدمشق بين العسكرية وبين اهلها وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت النار منه بالمسجد الجامع من غربيه فاحترق ولم يبق منه الا حيطانه الاربعة . واستولى في هذه السنة على دمشق معلى بن حيدرة الكتامي من غير ان يؤمر له بذلك عند خلو دمشق من متولي بعد ما هرب امير الجيوش بدر الارمني ، فأساء السيرة في اهلها وصادروهم وبسط العقوبة عليهم ، الى ان خربت اعمال البلد وانجلا كثير من اهلها ، ووقعت بينه وبين عسكر البلد وحشة خاف منهم على نفسه فهرب الى بانياس فصور فطرابلس فأخذ واعقل ومات من الضرب .

وفي سنة ٤٦٣ استولى القفي مختص بن ابي الحسين على دمشق وطرده نواب امير الجيوش واستولى على صور ابن ابي عقيل وعلى طرابلس فاضياها ابو طالب ابن عمار وعلى الرملة والساحل ابن حمدان ولم يبق لامير الجيوش غير عكا وصور ، ونزل هذه السنة امير الجيوش في العسكر المصري على صور محاصراً لعين الدولة بن ابي عقيل القاضي الغالب عليه فاستنجد هذا الامير تروم مقدم الاتراك بالشام فانجده بستة آلاف فارس فرحل عنها امير الجيوش ثم عاودها وحاصرها من البر والبحر سنة بدون طائل . وفتح الروم منبج واحرقوها وبقيت معهم سبع سنين .

* * *

كان على حلب عند هلاك الحاكم عزيز الدولة فاتك } آخره الفاطميين
الوحيدى ، وقد استنحل امره وعظم شأنه وحدث نفسه
بالعصيان ، فلاطفته ست الملك عمه الظاهر لامعزاز دين الله وكفيلته ، وهي التي
قامت بتدبير مملكة الفاطميين بعد مهلك الحاكم أحسن قيام وبذلت العطاء في الجند ،
وساست الناس احسن سياسة اربع سنين ، اعادت الملك فيها الى غضارته وعمرت

الخزائن بالاموال واصطنعت الرجال — فلاطفته وبعثت اليه بالخيل والخليل بمراكب الذهب وغيرها ، ولم تزل تعمل عليه حتى أفسدت غلاماً له يقال له بدر فقتله وحفظ الخزائن ووهبت له جميع ما خلفه وقلدته حلب . ولولم يقبض الله الملك الفاطميين مثل هذه السيدة بعد الاحوال التي تمت على عهد الحاكم لكان الانقراض الى دولتهم قريباً جداً . ثم جاء ابنه الظاهر لاعزاز دين الله وكان حسن السيرة فرفع ابدي المتغلبين على الملك المتوثبين على سلطان الفواطم ، واستنقام له الامر مدة . اما ايام الخليفة المستنصر بالله خامس خلفائهم الذي بقي في الخلافة ستين سنة واربعة اشهر فقد كانت على هذا المتوال من التسرع في نصب العمال وصرفهم والشام تشكو وتئن ، والبؤس اكثر من السعادة ، والمتغلبة منذ الثلث الاول من القرن الرابع كل يوم في شأن ، تارة يقوم فيها مثل سيف الدولة الذي كان يلبس على علاته ، وتارة يقوم ابنه ومملوكه الذين يستنجدون بالروم على المسلمين و يرضون باعطاء الجزية لهم ويدلونهم على عورات جيرانهم ، بعد ان كان مؤسس دولتهم سيف الدولة يقاتلهم ولا يتساهل معهم و يظهر لهم من الشتم حتى يوم هزيمته ما يببض وجه العرب والمسلمين .

كان الفاطميون زمن المعز والعزیز على جانب من القوة ففخ المعز مصر فدخلها من الغرب في مئة وقيل في مئة واربعين الف مقاتل والف وخمسمائة جمل يحمل الذهب فقط ، وقد استكثر من العساكر بمصر فكانوا ما بين كنانة وروم وصقالية و بربر ومغاربة لا يحصون في العدة ، حتى قيل لم يظأ الارض بعد جيوش الاسكندر بن فيلبس الرومي الكبير اكثر من جيوش المعز الفاطمي وربما فاقت بعددها الجيوش التي جمعها ابو الجليش خمارويه بن احمد بن طولون صاحب مصر والشام في القرن الثالث .

فبمثل هذه الجيوش استنقام الامر للفاطميين لاول عهدهم في مصر والشام ، فحكوا الى الفرات ومكة والمدينة والقدس والخليل وصارت مصر وبلاد المغرب مملكة واحدة ، والخلفاء من بني العباس يحكمون من الفرات الى بغداد واعمالها الى سائر بلاد المشرق و يخطب لكل خليفة منها في الجهات التي تحت حكمه باسمه فقط ، ولما ضعف امرهم اصبح يحكم دمشق حمال التراب و يحكم صوراً الملاح وفلان البدوي يستطيل على الحضري وثلاثة من اهل البداوة يتقاسمون ملك الشام والعباسيون في الشرق

والفاطميون في الجنوب لا يبدون ولا يعيدون وعندهم القواد والاجناد ، وللأحداث اي فتبان العامة في حلب ودمشق القول الفصل ، يرفعون ويضعون ، ويحكمون ويعثون بالناس واموالهم ، ويا بؤس بلاد يكون القول الفصل فيها لفوضى العامة .

كان حكام الشام يأتونها من الحجاز والعراق ، فأصبحوا يكتسحونها في هذه الاعصار من مصر وبلاد الشمال ، وكان العمال والقواد عرباً من بني أمية وبني هاشم ومن الادم فصاروا مزيجاً من العجم والترک والترکين ، وكلهم سواء في ارتكاب المظالم والمغارة الا قليلاً ، متى قوي سلطان الجار يهاجم جاره ، فنطل دماء الابرياء على غير طائل . ولم تستقر البلاد على حالة معينة بضع سنين فكانت العوامل الجنسية والمذهبية تتنازعها واهلها ، وبعد ان كانت الشام في القرن الاول وثلث القرن الثاني مصدر الحياة العربية ، ومنبعث القوة الحربية ، أمست في القرون التالية ألوبة اهواء الذخلاء وطمعة الطامعين من أهل البوادي ومن جرت عليهم احكام الرقيق من العبيد والبرابرة ، وبعد ان كان للعصبيات فيها شأن واي شأن في القرنين الأولين أصبحت في القرون الثلاثة التالية ضعيفة ضئيلة ، لا يتعدى تأثيرها المصالح الخاصة ولا يفكر القائمون بها في غير السلب والاعتداء .

إن تسامح العباسيين بادخال أهل غير عصبيتهم فيهم أدى الى انتشار كلمتهم ، وتمزيق جامعتهم ، وما كل القواد والعمال كإبراهيم المهدي وجمعة بن يحيى وظاهر بن الحسين وعبد الله بن ظاهر ، ولا كل المتونبيين على الملک في عقلمهم وسياستهم كاحمد ابن طولون وسيف الدولة بن حمدان . دثرت تلك الطبقة الممتازة المختارة ، وخلف من بعدها خلف من القواد والرجال ليسوا في الاكثر على شيء من حسن السياسة والادارة . اذا كان لم جيش عظيم رهيبهم الناس والا فالحكم للصعاليك والزواقل ، وهم اول الطامعين في السلطان ، العاملين على نقض بنيان الاوطان ، والناس بين مظلوم وظالم ، ومخوف ومخيف . والمنافسة بين الامراء على أشد حالاتها والشام مقسم الاجزاء بين كثيرين في سياسته الداخلية والخارجية ، مصر من الجنوب تشده ، وبغداد من الشرق تريد ان تسترده ، والطامعون فيه من الترتک والترکين والرهوم والقرامطة والعبيد والخدم والماليك يسطون عليه فيدمرون عمرانه ، ويهلكون أهله

وسكانه ، والناس في الواقع لا يعرفون لم سيداً معيناً لانهم متفرقة قلوبهم ، متباينة منازلهم . وصاحب حمص غير صاحب حلب ، وصاحب دمشق غير صاحب صور او الرملة ، مملكة هذا حالها تموت بحكم الطبيعة ، ولا تستريح من الفوائل بحال . والجسم يعيش بروح واحد وتعدد الارواح يستلزم تعدد الاجسام .

بعد ان قتل القرامطة الباطنية أهل مدن برمتها من هذا القطر استنجد اهل اعظم مدينة فيه بهم ، فوافروا بجوسون خلال ديارهم لينتقذوها من دولة الفاطميين المسلمين وبعد ان ثبت ان الروم هم اعداء الشام بلا مرأ ، اصبح امرأه يستغثون بهم على ابناء ملتهم ليصفو لهم ملكهم الذي يريدون ان يعيشوا فيه قيد الأسر لعدوهم الخارجي ، ويستكثروا من القصور والجواري والماليك والحاشية والغاشية ليكون كل صاحب مقاطعة في أهنته كخليفة الوقت وزيادة . يسلبون نعمة الرعية لينعموا بما سلبوا ، كمن يحاول نقض أساس بيته ، يجعل خارجه بإطار جميل ، او ليذهب شرفته وجدرانه . وبيننا كان العزيز الفاطمي يبت دعائه لنشر التشيع في الاقطار التي انضوت الى علمه ويقتل وآله علماء المالكية لتشددهم في السنن كان جمهور المسلمين غاضبين في مصر والشام لانه وسد الامر بمصر لرجل من الاقباط اسمه نسطورس وقلد اموال الشام لاسرائيلي اسمه منشا يجمعان الاموال ، ويوليان ابناء نخلتها الاعمال ، وبعدلان عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين فعهد بعض الناس في القاهرة الى مجبرة من حديد وألبسها ثياب النساء وزينها بازار وشعيرة وجعل في يدها قصة على جريدة ، وكتب فيها رقعة ليراها العزيز عند مروره وهي : « بالذي أعز جميع النصارى بنسطورس وأعز جميع اليهود بمنشا وأذل جميع المسلمين بك الامارحتهم وازحت عنهم هذه المظالم » فتوسطت ست الملك ابنة العزيز لنسطورس بالعمو فحمل الى الخزانة ثلاثمائة الف دينار وأعادته الى ما كانت ناظراً فيه وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه واعماله . اما منشا فقتل اذ لم يستشفع فيه احد . نناقض في التسامح غريب في بابه . واصول في الادارة لم يلاحظ فيها نزع العلة التي يشكي منها بل كان ينظر فيها لمنفعة الخزانة اما الرعايا فأمرهم لله ، وحسابهم عليه لاعلى سواء . ولقد جاء في الفاطميين وزراء عقلاء . مثل الوزير بن كلس المتوفى سنة ٣٨٠

الذي نصح للعزير في مرض موته بقوله : « سالم يا امير المؤمنين الروم ما سالموك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تبق على المخرج بن دغفل بن الجراح متى عرضت لك فيه فرصة » وكان ذلك غاية الغاية في سياسة الملك لان الروم أمة قوية عزيزة لا تخضع لجيرانها خلفاء مصر ولا خلفاء بغداد وهي تراهم مختلفة كلتهم جد الاختلاف متعبين في داخلتهم ، مشتغلين بالمنقضين على سلطانهم ، فقد أجاب العزير الروم سنة ٣٢٢ الى الصلح واشترط شروطاً شديدة التزموا فيها كلها . منها انهم يحلفون انه لا يبقى في مملكتهم اسير الا اطلقوه ، وان يخاطب للعزير في جامع قسطنطينية كل جمعة ، وهدانهم سبع سنين . اما الدولة الحمدانية فانه على ما يظهر لم يعجل انقراضها الا اعتصامها في آخر امرها بالروم ونفضها يديها من طاعة العباسيين وطاعة الفاطميين معاً ، فاستهان بها عدوها وديقتها ، ودب الفساد ودخلت الدسائس وكان في ذلك زوالها ، واما المخرج بن دغفل امير بني طي و سائر العرب بارض فلسطين فانه كان عدواً لدوداً للفاطميين قريباً من دار ملكهم يهددهم كل يوم وربما استطاع ان يستنجد بملوك الشرق على نقض عرى الملك الفاطمي . فانه بدوي والاعراب اي البادية ما دخلوا بلداً الا اسرع اليه الحراب وقيام الملك يحتاج الى حسن تدبير وتقدير اكثر من قوة البطش ولذلك لم تتم لامراء بني طي في الجنوب والالبي مرداس الكلابيين في الشمال دولة تعاقبت عليها بطون كثيرة في الشام وكيف كان حال هذه الدول فان قاعدة الحكيم ابن خلدون في ان الدول اعماراً طبيعية كالأشخاص لا تنتقض في الدول التي يحكمها الافراد حكماً استبدادياً ، وسعادة الدولة لا تدوم كالأفراد اكثر من اربعة بطون : الاول يفتح ويجمع ، والثاني ينظم ويرتب ، والثالث ينعم ويتمتع ، والرابع يفرق ويحزب تعالى الله .



دور السلجوقيين

« من سنة ٤٦٣ — ٤٩٠ »



اصل السلجوقيين والتركمان) كانت البلاد في معظم دور الفاطميين ككرة الصوالجة
والفتح السلجوقي () نتقاذها القوات المختلفة ، وقد قام الفاطميين على اثر
انقراض الدولة الاخشيدية في مصر وورثوا تراثهم في قسم من الشام ، ثم انقرضت
دولة الحمدانيين في الشمال وكانت في آخر امرها تفزع الى دولة الروم البيزنطية لتحميها
باس خافاء المصريين من بني بَيْد . وقامت دولة بني مرداس ودولة بني الجراح ودولة
بني سنان اي دول بني كلاب والطائين وبنو كلب ، غيرهم من الدول الجديرات
بان يطلق على القائميين بها خوارج على الفاطميين ، وكلهم امراء عرب البادية اخضعوا
المدن لسלטانهم مدة ، وكان قيامهم دليلاً على ضعف الدولة الفاطمية وسوء سياسة
عمالها في هذه الديار .

انقضى عهد الفاطميين او كاد وكانت معظم ايامهم فتوحاً وفتناً ، ولم يخفق علمهم على الشام
كله مدة طويلة بل كانت اذا خضع الساحل خاصم الداخل ، واذا اطاع الجنوب
نشز الشمال . وهكذا كان الشقاء في ايامهم اكثر من السعادة ، والاهواء مشتتة ،
والآراء مجزقة ، ولئن كان اول خلفائهم عن ملك الشام المعز ثم العزيز يجبان العدل
والانصاف ولهما من الحزم قسط وافر الا ان الولاة الذين تولوا الشام على عهدهما ايضاً
كانوا في الاكثر ظلاماً يسفكون الدماء ويستحلون اموال الرعية . فغرب القطر في

في ايامها وضعف اهله وغلت الاسعار ولا سيما على عهد العزيز وكانا يبادران حالاً الى ابدال العمال مخافة ان ينزعوا الى العصيان .

اما في عهد الحاكم فان البلاد كانت الى اللخل المطلق ، لخلل في عقله وخرق في سياسته ، وكانت بعده تختلف باختلاف العامل الذي ترسله مصر . وبيننا القطر . منقلقل في ادارته وسياسته اقبلت من الشرق قوة عظيمة لا قبل له بدفعها . قوة الدولة السلجوقية التركمانية الجديدة جاءت لتقضي على الدولة الفاطمية العربية التي نزل بها الهرم او كاد .

والسلجوقيون نسبة لسلجوق من صفار امراء الترك في ارجاء بخارى يقسمون الى ثلاثة فروع فرع الهيم وهذا الذي استولى على العراق والجزيرة ثم على الشام والحجاز واليمن وفرع الروم اي آسيا الصغرى وفرع كرمان . والتركمان قبائل كانت لاول امرها تنزل بين بحيرة آرال وبحر الخزر وهم من اول الاتراك الذين دانوا بالاسلام وخدموا الخوارج من بني العباس ، هاجروا من بلادهم الى فارس والعراق وآسيا الصغرى . وهم اصل الترك العثمانيين سكان الاناضول واعظم الشعوب التركية . والفرق طفيف بين لسانهم ولسان اويغوراي الجغتاي . ونقسم الالسنه التركية الى خمسة اقسام وهي الجغتاي او ايغور والتوغاي اي التتري والقرغيز والياقوت واللسان العثماني . فاذا اطلق اسم الترك فالمقصود منه الجنس الجامع لهذه الشعوب الخمسة ، واذا قيل التركمان اريد به اعظم شعب في الترك ، وكلا الاطلاقين جائز . والتركمان على جانب عظيم من الشجاعة والفروسية اظهروا من الجلادة منذ وطئوا هذا القطر ما خلدوا به اعظم المفاخر ، واسسوا في الشام حكومة بل حكومات منها المحمود ومنها دون ذلك .

لما سار السلطان آلب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثاني ملوك السلجوقيين بجيوشه الى الشام ، كانت مملكته تمتد الى الصين شرقاً ومن اقصى بلاد الاسلام شمالاً الى اقصى اليمن جنوباً ، وجاء الى حلب واقام الحصار عليها وعظم القتال بين عساكره وحامية حلب لصاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ثم استسلم هذا وبخلع عليه السلطان الب ارسلان واعاده الى بلده فبعث اليه مالاً جزيلاً وفي تلك ١١ (٤٦٣١٢٠) قطعت خطة المستنصر العلوي وخطب للقاثم العباسي وبدأ ظل الدولة

الفاطمية يتقلص وكان الحامل لآلب ارسلان على فتح الشام ان ناصر الدولة بن حمدان الحاكم المتحكم في الدولة المصرية ارسل يسأله ان يسير له عسكرياً من قبله ليقم الدعوة العباسية وتكون مصر له فجهز آلب ارسلان من خراسان في عسكرة حجة وكان جيشه فيما قيل لا يقل عن اربعائة الف .

وخاف آلب ارسلان في بلاد الشام طائفة من عسكره فجمع اتسز بن اوق الحوارزمي من امراء السلجوقيين الاتراك الفز وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة ، وسار منها الى بيت المقدس وحصره ، وفيه عسكر المصر بين فتحه ، وملك ما يجاوره من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع نهب اعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاقت الامر بنساسة فصدوا ولم يكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد اعماله وتخربها كل سنة حتى قلت الاقوات عندهم فكان يأخذ الغلات عند ادراكها فيقوى بها وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها .

ولما ملك السلطان ملكشاه ابن آلب ارسلان (٤٦٥) سير اخاه تاج الدولة نئش الى الشام وقرر معه فتح ديار مصر والمغرب واستخلاصها من العلويين ، وامر مملوكيه بزانت صاحب الرثما واق سنقر صاحب حلب ان يطيعاه على هذا الغرض . وكان ملكشاه الملقب بالسلطان العادل وابوه آلب ارسلان من قبل المثل السائر في آل سلجوق بعدلها ، ولم يكن للخليفة العباسي معها سلطان في الحقيقة على نحو ما كان العباسيون في الدهر السالف مع سلاطين بني بويه الاعاجم . عرفت الشام ذلك وكان مما يفتح القلوب لحكم السلجوقيين انهم من اهل السنة يحطبون باسم بني العباس . وجميع هذه المزايا كانت مفقودة في الدولة العلوية المصرية .

فتح دمشق) وفي سنة ٤٦٧ حاصر شكلي التركي من قواد السلاجقة ثغر عكا واخذها بالسيف وقتل واليها وسار عنها الى طبرية وسار اتسز الى دمشق فحصرها واهيرها المولى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها وهرب اهيرها المولى ، وكانت أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم ، فكثير الداء عليه وثار به العسكر ، وأعانهم العامة فهرب منها ، فخربت

دمشق واعمالها وجلا عنها اهله ، وهان عليهم مفارقة املاكهم وسلوهم عن اوطانهم ، بما عانوه من ظلمه : وخت الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيتها . ولما رحل المعلى عن دمشق اجتمعت المصامدة الفاطميون وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودي المعروف برزين الدولة ، وخت بها الاسعار حتى اكل الناس بعضهم بعضاً ، ووقع الخلاف بين المصامدة واحداث البلد ، وعرف اتسز ذلك فعاد الى دمشق فحصرها ، فعدمت الاقوات وبعث غرارة القمح اذا وجدت باكثر من عشرين ديناراً ، فسلوها اليه بالامان وخطب بها للخليفة العباسي ، وكان آخر ما خطب فيها للعلو بين المصريين . وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بجي على خير العمل ، ففرح اهلهما فرحاً عظيماً وظلم اهلهما وأساء السيرة فيهم .

قال ابن عساكر : ان اتسز التركاني لما دخل دمشق وكان حاصرها دفعات ، انزل جنوده دور الدمشقيين ، واعقل من وجوههم جماعة وشتمهم بمرج راطح حتى افتدوا نفوسهم بال ادوه له ، ورحل جماعة منهم عن البلد الى طرابلس الى ان اريحوا منه بعد . وقال ابن الاكفاني : نزل اتسز محاصراً لدمشق ثم انصرف عنها ثم عاد الى منازلها ثم رحل عنها ثم رجع اليها فحاصرها ثم انه فتح البلد صلحاً ، ودخلها هو وعسكره سنة ٤٦٨ وسكن دار الامارة وخطب بها للمقتدي العباسي وكتب اليه يذكر له تسليمها اليه وغلو الاسعار بها وموت اهلهما وان غرارة القمح بيعت بمائتي دينار مما لم يعد مثله في سالف الاعصار ، وان اتسز نظر في امور دمشق بما يعود بصلاح اعمالها واطاق لفلاحي المريج والغوطة الغلات للزراعات فصلحت الاحوال ورخصت الاسعار . وفي تاريخ الدر المنقطة : في ذي الحجة سنة ٤٦٧ خرجت دمشق من ايدي المصريين بدخول الاخشيدي اليها وعلى ايام المستعلي بالله ضعفت دولة الفاطميين وانقطعت من اكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت بين الاتراوك والافرنجيه . ولما فتح اتسز دمشق واقام الخطبة العباسية ولم يخطب بعدها في دمشق للعلو بين وفت له البلاد طمعت نفسه في ملك مصر فسار (٤٦٩) من دمشق فيمن استطاع من الاحداث والجند ورجع خائباً بعد ان قتل من جنده جملة كثيرة جداً ثم اقام بدمشق وجاءه التركان من الروم ولم يستخدم غيرهم وعصى عليه الشام واعيدت خطبة

صاحب مصر في جميع الشام وقام بذلك المصامدة والسودان . وكان اتسز واصحابه تركوا أموالهم بالقدس فوثب القاضي والشهود ومن بالقدس على أموالهم ونسائهم فنهبوها واستبدوا الاحرار ، فخرج من دمشق فين انضوى اليه ، ودخل القدس فقتل ثلاثة آلاف انسان ، واحتجى قوم بالصخرة والجامع فقرر عليهم الاموال لانه لم يقتلهم واخذ مالا كثيراً ، وسار الى الرملة فلم يرفيها من أهلها احداً ، فجاء الى غزة وقتل كل من فيها فلم يدع بها عيناً تطرف ، وجاء الى العريش فأقام فيه وبعث سرية فنهبت الريف وعادت ثم مضى الى يافا فحصرها وعسدهم سورها ثم ساد الى دمشق ولم يبق من أهلها عشر العشر من الجوع والفاقة بل لم يبق من أهلها سوى ثلاثة آلاف انسان بعد خمسمائة الف أفنهم الفقر والغلاء والجللاء . وكان بها مائتان واربعون خبازاً فصار بها خبازان والاسواق خالية والدار التي كانت تساري ثلاثة آلاف دينار ينادى عليه بعشرة دنانير فلا يشتريها احد والبيت كان الذي كان يساري الف دينار ما يشتري بدينار ، وأكلت الكلاب والسنانير والفيران وكان الناس يقفون في الازقة النيقة فيأخذون الخنازين فيذبحونهم ويشوونهم .

وعاد الناظميون يحاولون فتح دمشق وتأييم ناصر الدولة الجبوني فحاصروها مدة (٤٧١) وترحلوا ثم حاصروها مرة ثانية واستولوا على أعمالها وأعمال فلسطين فاضطر صاحبها اتسز الى مراسلة تاج الدولة يستعصر خ به فلما عرف ناصر الدولة الخبر رحل عن دمشق وقصد الساحل . وكان تغرا صور وطرابلس في أيدي فاضيهما قد تغلبا عليها ، ولا طاعة عندهما لامير الجيوش الفاطمي ويصانعات الاتراك بالهدايا والملاطفات . ووصل تاج الدولة الى عذراء في عسكره لانجاد دمشق فخرج اتسز اليه وخدمه ثم قبض عليه وقتله وملك تاج الدولة دمشق واستقام له الامر وأحسن السيرة في أهلها بالصد من فعل اتسز وملك أعمال فلسطين ثم قصد حلب وملك حصن بزاعة (٤٧٠) وقتل جميع من فيه وملك البيرة وأحرق ربض عزاز وغيرها من الحصون مع ما غالب عليه من الحصون المجاورة .

اول جمهورية عربية (وفي سنة ٤٧٢ انقضت دولة بني مرداس بجلب وكان
 ومقتل آخر امير عربي) قصدها نثس بن آلب ارسلان فحاصرها اربعة اشهر
 ونصفا ثم رحل عنها فنازلها شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وتمهد لملكشاه
 السلجوقي ابن يحمى اليه كل سنة ثلاثمائة الف دينار فكتب له تقليداً ، وعادت
 رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش . ومعنى ابن حلب أصبحت
 رياستها شورى في مشيختها ان الحلبيين لما نفضوا أيديهم من حام يحيى بلدهم ألفوا
 جمهورية من شيوخهم ادارت شؤونهم الداخلية زمناً ، وجعلوا ملكهم صاحب الموصل .
 وذكر المؤرخون ان الحلبيين أحسنوا في هذه الحكومة ولم يختلفوا وأمنت قواعد العدل
 واستقر الأمن في نصابه . وسبب ميل الحلبيين الى شرف الدولة مسلم بن قريش
 ان نثس بن آلب ارسلان حصر مدينتهم المرة بعد المرة واشتد عليها الحصار ، فكان
 شرف الدولة يواصلهم بالقلات وغيرها ولما دخلها حصر القلعة واستنزل منها سابقاً
 ووثاباً ابني محمود بن مرداس وانفذ الى السلطان يخبره بملك البلد وانفذ مع الرسول
 شهادة فيها خطوط المعدلين بجلب بضمائها وسأل ان يقرر عليه الضمان فأجابها السلطان
 الى ما طلب . وفي سنة ٤٧٣ ملك جلال الملك ابو الحسن بن عمار قاضي طرابلس
 وصاحبها حصن جبلة . وكان ابن عمار غلب على تلك البلاد سنين وعجز بدر الجمالي
 امير الجيوش عن مقاومته .

وفي سنة ٤٧٥ توجه تاج الدولة في عسكر دمشق ووصل شرف الدولة صاحب
 الموصل (٤٧٦) فقاتلهم شرف الدولة ، وخرج اليه عسكر تاج الدولة من دمشق وحمل
 على عسكره حملة صادقة فتضع عسكره ، وعاد عليهم بحملة أخرى وانهزمت العرب
 وثبت شرف الدولة ثم رحل عنها منهزماً فخرجت به الطريق الى وادي بني حصين قرب
 سلمية ، فأرسل وزيره الى خلف بن ملاعب المقيم بجهص ليجمعه بين دمشق وتاج
 الدولة لما يعلمه من نكايته في الاتراك فقرره معه حفظ الشام ، وسار تاج الدولة الى طرابلس
 وفتح انطرطوس وبعض الحصون وجاء ملكشاه بن آلب ارسلان وملك حلب .
 ولما قصد تاج الدولة نثس بلاد انطاكية جمع شرف الدولة العرب وعقيل والاكراد
 فاجتمع معه خلق كثير ، فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر

دمشق فوعده بذلك . فلما سمع تاج الدولة الخبر عاد الى دمشق وحصر المدينة وقاتله اهلها ، وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه ، وحملوا على عسكره حملة صادقة فأنكسروا وتضعضعوا ، وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة وأشرف على الاسر وتراجع اليه أصحابه . فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى ان مصر لم يصل اليه منها عسكر أتاه من بلاده الخبر ان أهل حران عصوا عليه ، فرحل من دمشق الى بلاده وأظفر انه يريد بلاد فلسطين . رحل اولاً الى مرج الصفر فارتاع أهل دمشق وتاج الدولة واضطربوا ، ثم سار من مرج الصفر شرقاً في البرية ، وجدفي مسيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره واقطع خلق .

وكان مسلم بن قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل الذي حبه أهل حلب وأطاعوه من جملة عمال آب أرسلان ، وكان سليمان بن قتمش السلجوقي صاحب قونية واقصرا وملاطية ومن عمال السلجوقيين وانسبائهم أشار اليه ملك السلجوقيين الاكبر السلطان ملكشاه ان يستولي على أنطاكية (٤٧٧) ففعل ، ولما استقر فيها بعث اليه مسلم بن قريش يطلب منه المال الذي كان يحمله صاحب أنطاكية الرومي اليه فأبى وقال : انا لا أدفع الجزية لاني مسلم ، فنهب شرف الدولة بلد أنطاكية ، ونهب سليمان بن قتمش بلد حلب ، ثم جمع شرف الدولة الجموع من العرب والتركمان ومعه أمير التركمان جبق في أصحابه وسار الى أنطاكية ليحصرها ، فسار اليه سليمان بن قتمش فاللقيا على نهر سبعين في موضع يقال له قرزاحل واقننلا ، فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزماً ، فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه أربعمائة غلام من أحداث حلب ، وسار سليمان الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ٤٧٨ فلم يبلغ منها غرضاً فرحل عنها .

وفي هذه الواقعة التي قتل فيها سليمان بن قتمش التركي مسلم بن قريش العربي انتقل ملك الشام من ايدي العرب الى الترك ولم يحكم في الشام بعده الا امراء وملوك من التركمان والأتراك والشراكسة والاكراذ . وكان الأتراك يأتون الشام منذ أوائل القرن الثالث عمالاً للعباسيين ، فلم تكن مقاتلتهم بادية للعيان لانهم كانوا يحكمون باسم الدولة التي يمولون لها ، وكان أكثرهم على جانب من حسن الادب

والادارة تربوا تربة عربية ، وها قد جاء دور يعمل الاتراك فيه أحراراً لحساب أنفسهم ، بعد ان ختم الحكم العربي بمقتل مسلم بن قريش العبلي .

وعاد سليمان بن قتلش في السنة التالية وقصد حلب فبلغه ان تاج الدولة نتش بن آلب أرسلان قد تأهب لقصده فرحل عنها ، والنقي عسكريه وعسكر تاج الدولة في موضع يعرف بعين سينم على ثلاثة أميال من حلب فكسر جيش تاج الدولة عسكر سليمان وقتل هذا في الهزيمة وملك تاج الدولة عسكره وسواده ونزل على حلب فتسلمها . ثم وصل ملكشاه وانهمز أخوه تاج الدولة من حلب وملكها ملكشاه مع أنطاكية .

اي ان سليمان بن قتلش احد عمال السلطان ملكشاه السلجوقي ، قتل بامر مولاة مسلم بن قريش ليأخذ بلاده ، فقام نتش اخو ملكشاه فقتل سليمان ، ثم قام نتش يريد الاستئثار بالملك دون أخيه ، وقد فاته ان ملكشاه تهبز الدنيا من جيوشه ، واخوه في الشام لا يخرج عن كونه والياً من ولاته يحيط به الفاطميون من البحر ومن البر .

والغالب ان تاج الدولة عرف هذا من نفسه فلم يسهه الا ان يخدم أخاه .

ولما نزل ملكشاه بحلب دخل ابن منقذ صاحب شيزر في طاعته ، وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب وأفامية فأقره السلطان على شيزر وسلم حلب الي قسيم الدولة آق سنقر جد البيت الاتابكي اصحاب الموصل والشام ووالد عماد الدين زنكي وجد نور الدين محمود بن زنكي . ولما استقر آق سنقر في حلب واعمالها بسط العدل في أهلها وحمى السابلة وتبع المفسدين وأبادهم . وكان ملكشاه في سنة ٤٧٩ ملك حران وقلعة جعبر على الفرات ثم ملك منبج وحلب اما دمشق فكانت بيد تاج الدولة نتش منذ سنة ٤٧١ أقطعه اياها أخوه السلطان ملكشاه مع مايفتحه من بلاد الخليفة العلوي .

وكانت جيوش الفاطميين تغزو بعض المدن الساحلية وتستردها من التركان احياناً ، وسلطة الفاطميين تنقلص الهم الامن فلسطين ، فانهم بعد اتسز الخوارزمي ، اخذوا يستردونها وخرج (٤٧٨) امير الجيوش بدر الجمالي بجيوش مصر فحصر دمشق وبها تاج الدولة نتش وضيق عليه فلم يظفر بشيء فارتحل عائداً الى مصر .

ثنازع السلجوقيين والفاطميين } لم ينقطع أمل الفاطميين من ملك الشام بعد
 وانشاء السلجوقيين } ان قطعت خطبتهم من أمم مدنها مرات ثم
 عادت اليها ، بل بعثت سنة ٤٨٢ جيشاً قصد الساحل وفتح ثغر صور وكان تغلب
 عليها عين الدولة بن ابي عقيل وامنع على الفاطميين ومات فولها أولاده ودخلوا تحت
 راية تاج الدولة نئش ، فلما حصرهم عسكر المصر بين سلموها اليهم ثم فتح الجيش الفاطمي
 صيدا وعكا وجبيل .

ونزل تاج الدولة (٤٨٣) على حمص ومعه آق سنقر ويزان وفيها خلف بن ملاعب
 الكناني ، فضايقوها الى ان ملكوها بالامان . وخرج ابن ملاعب وسافر الى مصر ثم
 عاد واعمل الحيلة حتى ملك حصن افامية (قلعة المضيق) واستخلصه منه قسيم الدولة
 آق سنقر في السنة التالية . وقيل ان القتال كان على بعلبك وان من حاربوا خلف
 ابن ملاعب قالوا له : انت خطبت للمستنصر العلوي فلما اخافوه طلب الامان وفي سنة
 ٤٨٤ فتح تاج الدولة عرفة وقلعة افامية ثم سار الى طرابلس فحصرها وبها صاحبها
 جلال الملك بن عمار ابن اخي القاضي ابي طالب بن عمار قاضي طرابلس والمتغلب عليها
 وكان معه آق سنقر ويزان ونصب عليها الجانيق . فاحتج عليهم ابن عمار بان معه
 منشور السلطان ملكشاه باقراره على طرابلس فلم يقبل منه نئش ذلك وتوقف
 آق سنقر عن قتاله فقال له نئش : انت تبع لي فكيف تخالفني فقال : انا تبع لك
 الا في عصيان السلطان . فغضب نئش ورجع الى دمشق وذكر ابن الاثير : ان ابن
 عمار لما رأى جيشاً لايدفع الا بحيلة ارسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة نئش
 واطعمهم ليصلحوا حاله ، فلم يرفههم مطعماً ، وكان مع قسيم الدولة آق سنقر وزير له
 اسمه زر بن كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينة ، فاتحفه واعطاه فسعى مع صاحبه
 قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه ، وحمل له ثلاثين الف ديناراً وتحفاً بمثلها وعرض
 عليه المناشير التي يده من السلطان بالبلد .

وفي سنة ٤٨٦ خرج من مصر عسكر كثير الى صور لما عصى واليها منير الدولة
 وكان اهل صور انكروا عصيانه فحين اشتد القتال نادوا بشعار المستنصر بالله العلوي
 فهجم العسكر المصري على البلد واخذها . وفرض على اهلها ستين الف دينار وفي هذه

السنة تحرك نثش من دمشق لطلب السلطنة بعد موت اخيه ملكشاه الذي توفي في السنة الماضية ، وانفق معه آق سنقر صاحب حلب ، وباغي سيان صاحب انطاكية ويزان صاحب الرها وسار معه آق سنقر فافتتح نصيبين والموصل وديار بكر وسار الى أذربيجان ، وكان بركيارق بن ملكشاه قد استولى على جانب كثير منها فلما رأى آق سنقر ذلك تخلف عن معاونته نثش وقال : نحن انما اطعنا نثش لعدم قيام احد من اولاد السلطان ملكشاه ، اما اذا كان بركيارق بن السلطان قد تملك فلا نكون مع غيره . وخلق آق سنقر نثش ولحق ببركيارق فضعف نثش لذلك وعاد من أذربيجان الى الشام واخذ في جمع العساكر وكثرت جموعه (٤٨٧) وجمع آق سنقر العساكر بحلب وامده الامير بركيارق بالامير كريفنا صاحب الموصل ، فاجتمع كريفنا مع آق سنقر والنقوا مع نثش عند نهر سبعمين قرباً من تل السلطان على ستة فراسخ من حلب واقبلوا ، فحاصر بعض عساكر آق سنقر مع نثش وانهمز بالاقون ، وثبت آق سنقر فاخذ اسيراً واحضر الى نثش فقال نثش لآق سنقر : لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال : كنت اقتلك قال نثش : فانا احكم عليك بما تحكم علي به . فقتل آق سنقر وسائر اصحابه صبراً وسار نثش الى حلب فملكها . ورحل تاج الدولة عن حلب بعد ان ملكها وحصونها الى الفرات ، واستولى على حران وسروج والرها وكتب ولده نخر الملوك رضوان بدمشق بأمره بالمسير اليه في من بقي من الاجناد في الشام ، فسار الى حلب ومنها الى العراق فالري ، واستحب معه جماعة من امراء العرب وانزاع حلب القسيمي ، نسبة لقسيم الدولة آق سنقر ، فجرت وقعة بين السلطان بركيارق بن ملكشاه وبين عمه تاج الدولة نثش على عانة من عمل الجزيرة ، فانقل عسكر هذا ونفرق ونهب سواده ، وأسرا كثير جنده وقتل منه خلق كثير . واغتال بعض اصحاب آق سنقر تاج الدولة نثش فقتل عليه . ولما بلغ الخبر نخر الملوك رضوان في دمشق ماتم على ابيه تاج الدولة اغدأ السير الى حلب ففتحت له ابوابها ، ووصل اليه اخوه شمس الملوك دقاق من ديار بكر ، ورائله الامير ساوتكين الخادم المستناب في قلعة حلب والبلد وقرر له ملك دمشق سرّاً ، فخرج في الحال من حلب وجلس على سريرا يبه في دمشق ، واستنقم له الامر واستمرت على السداد الاحوال . وفي سنة ٤٩٠ قدم على الافضل بمصر الرسل من عند نخر الملوك

رضوان بن نئش صاحب انطاكية يبذل له الطاعة في اقامة خطبة المستعلي بالشام فاجيب بالشكر والثناء وخطب للمستعلي .

تطالب نئش الى اخيه ملكشاه فصدّه عنه ابنه بركيارق وقتله . وقتل نئش آق سنقر لانه لم يوافقّه على رثائه من نزع الملك السلجوقي من ابن ملكشاه وقد حنق نئش على آق سنقر منذ قال له يوم طرابلس وهو يريد على قتال صاحبها : نحن نطيعك الا في عصيان السلطان . فقتل آق سنقر وجوزي نئش بان قام من صنائع قتيله من يأخذ بثاره فقتله ايضاً . واستراح آل ملكشاه من تصدي نئش للملك وهو الذي لم يقنع بملك الشام وكان فيه الملك الاعظم بعد مقتل قسيم الدولة آق سنقر . وتصرفت الاقدار بان تستلم زمام الامر في هذا القطر ذرية تاج الدولة نئش ، ريثا ينقل منها الحكم الى مملوك آخر اسمه طغتكين ، وهو بسلمه الى حفيد آق سنقر نور الدين محمود بن زنكي .

الدولة الاتابكية وطغتكين) كان آق سنقر وُوزان صاحباً حلب وانطاكية
وبنوا رُتق) من ممالك السلطان ملكشاه ، وكان من امرهما
في الغناء والوفاء ما كان في الشام حتى مضيا لسبيلهما . ثم قام مملوك آخر طالت مدته
اكثر منها وكان له في الدولة بالشام اليد الطولى والكعب المعلى ونعني به ابا منصور
ظهير الدين اتابك طغتكين ، من ممالك تاج الدولة نئش بن آتبارسلان ملك الشام ،
ومعنى اتابك مرابي اولاد الملك او قائد الجيوش قال ابن القلانسي : حظي هذا الامير
وهو في حداثته سنة عند السلطان تاج الدولة فقدمه على ابناء جنسه من خواصه
وبطانته ، وسكن الى شهامته وصرامته ، وسداد طريقته ، فجعله مقدم عسكره ، واستنابه في
في تدبير امر دمشق ، وحفظها ايام غيبته ، فاحسن السيرة فيها ، وانصف الرعية
من اهلها ، وبسط المعدلة في كافة من بها ، فكثرت الدعاء له والثناء عليه ، فعلت منزلته
وامتثلت اوامره ، ولم يلبث ان شاع ذكره بنبجائه ، واشفقت النفوس من هيبته ، فولاه
ميافارقين وديار بكر وهي اول ولايته ، وسلم اليه ولده شمس الملوك دقاق واعتمد
عليه في تربيته وكفالاته ، فساس امرها بالهبة والتدبير ، واصلح فاسدها وقوم مآدأها .

قال : ونقلت به الاحوال الى ان توجه مع تاج الدولة الى الري وشهد الواقعة التي استشهد فيها تاج الدولة ، وحصل في قبضة الاعنقال مع من أسر من المقدمين ، وأقام مدة الى ان أفرج عنه هذه السنة (٤٨٨) فتلقاه شمس الدولة دُقاق (بدمشق) وعسكره وارباب دولته ، وبولغ في اكرامه واحترامه ، ورد اليه النظر في قيادة الجند، واعتمد عليه في تدبير المملكة ، وسياسة البيضة ، واقتضت الحال فيما بينه وبين الملك وامراء الدولة العمل على الامير ساوتكين والايقاع به ، وتم عليه الامر وقتل ، وعقدت الوصلة بينه وبين ظهير الدين أتابك وبين الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك دقاق ودخل بها ، واسنقمت له الحال بدمشق واحسن السيرة فيها ، واجمل في تدبيراهلها ، وسكنت نفس شمس الملوك اليه .

فانظر الى غرائب التوفيق في الارض كيف ينشأ مملوك ، ربما كانت يد الخناس مرت على رأسه ، يكفل ابن السلطان ويرببه ويتزوج بامه ويتصرف في ملكه ويدبر امره ، ثم يصبح بجاربه وعقله ملكاً ترغب الملوك في القرب منه ، ويخاف العدى بأسه وسطوته ، ويطور في مظهر من طيب الاخلاق لا يضاهيه من تسلسل فيهم الحكم والملك ، ونقلوا في السلطان كبراً عن كابر ، لكن هي التربة اذا حسنت اتى صاحبها بالعجائب ، والنفوس اذا صفت جبل الخلق على حبها ، والارادات متى سلمت استمات الناس دونها ، وبهذا كان الناس ولا يزالون يحكم كبارهم صغارهم ، ويصبح المملوك ملكاً مطاعاً والمسود الخامل سيداً ناهياً ، وكم من عصامي اطلع ، ومن عظيمي أخفق ، وكم كان العلم الكسبي ، اكثر غناء من العلم اللدني :

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خَلَقَ وجيب قميصه مرقوع

ومن الممالك الذين حكوا في الشام فأصبحوا ملوكاً في هذا الدور ايضاً ، بنو أرئق نسبةً لجدهم أرئق بن اكسك وقيل اكسب التركماني من ممالك ملكشاه ابن آلب ارسلان تغلب أرئق على حلوان والجبل وكان منصوراً لم يشهد حرباً الا وكان الظفر له ثم امره مولاه ملكشاه سنة ٤٧٧ ان يذهب مع نجر الدولة بن جهير لضبط الموصل وبينما كان مسلم بن قريش محصوراً في آمد ، راسله أرئق واخذ منه مالا وافراً وفتح له طريقاً سار منه ، فانهى ابن جهير ذلك الى ملكشاه فخاف أرئق وذهب الى دمشق

والتحق بصاحبها تاج الدولة نئش وعاونه على الاستيلاء على حلب ، وساعده في كثير من المواقف ، فاقطعه فلسطين اخذها من اصحاب اتسر أرتق الحوارزمي (٥٨٤) . فلما توفي صارت القدس وعملمها لولديه ايلغازي وسقمان ابني أرتق حتى خرج عسكر خليفة مصر فاستولوا على القدس بالامان في سنة ٤٨٩ بعد ان بقيت في حكم الأرتقية ثلاث عشرة سنة واياماً . وسار سقمان واخوه ايلغازي من القدس فاجتاز سقمان بدهشق وكان صاحبها متفهباً عنها فقاتله اهلها ومن فيها من الاجناد ولما بلغه مسير صاحبها اليه سار عنها الى حلب ثم اقام في الرها وقد استولى ، هو واخوه على آمد وماردين وحصن كيفاً وأبلياً بعد البلاء الحسن في الحروب .

وأفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجما

وفي سنة ٤٩٠ برز الملك رضوان صاحب حلب وياغي سيان صاحب انطاكية الى ناحية شيزر وعزما على معاودة دمشق لفتحها ، فوقع الخائف بين مقدمي العسكر فرجع ملك حلب ، وورد عليه كتاب المستعلي بالله الفاطمي يريد به على الدخول في طاعته ، واقامة الدعوة لدولته ، وكذلك كتاب الافضل يتضمن مثل ذلك ، فاجابها الي ما اتسماه وامر ان يدعى للمستعلي على المنبر وللافضل بعده ، ثم يدعى له بعدهما ، ودامت الخطبة على ذلك اربع جمع . وكان الملك رضوان قد بنى الامر في ذلك على الاجتماع مع العسكر المصري والنزول على دمشق لاخذها من اخيه الملك دقاق . فانكر سقمان بن أرتق وياغي سيان على الملك الدخول في الامر ، واستبدعاه من فعله واثارا عليه بابطاله واضراح العمل به ، فقبل ما أشير عليه واعاد الخطب الي ما كانت عليه اي للعباسيين . وجرى الاتفاق على ان يحطب في دمشق لرضوان قبل اخيه دقاق . وذلك بعد ان يحطب للخليفة ثم للسلطان وفي هذه السنة خرج العسكر المصري من مصر ونزل على ثغر صور بعضيان واليه المعروف بالكتيلة ولم يزل ينازلهما الى ان فتحها بالسيف قهراً وقتل فيها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل واخذ الوالي فقتل .

الحروب الصليبية

« من سنة ٤٩٠ — ٥٠٠ »



الحملة الصليبية الأولى } لم يخل الجولموك التركان السلاجقة وأتباعهم في الشام
مقتله وورود الاخبار بمخروج عسكر الصليبيين الى الارض المقدسة ثلاث عشرة سنة
كما مضى مثل هذا العدد من السنين بين استيلاء اول تركي واستيلاء اول أفرنجي .
وكانت البلاد خلال ذلك في هرج ومرج يتطاحن امراؤها فيمزق بعضهم بعضاً .
والقطر نهب أبدي ملكشاه واخيه نتش بن آلب أرسلان ثم أولاده رضوان ودُقاق
والماليك آق سنقر ويزان وطغتكين واولاد أرئق اليفغزي وسقمان ، والسلاجقة
هنا يميلون الى الخلافة العباسية ، واذا رأى بعضهم القوة لاصحاب الخلافة العلوية
المصرية يغمضون الطرف عنهم ، والنساطميون لا يملكون غير بعض الساحل ، والبلاد
أصبحت للتركان يصعب على عرب الجزيرة انجادها لبعده المسافات ، وبعناد مهاد العرب
مشغلة بنفسها .

ربما كان في استيلاء التركان على الشام خير لم تعرف حكمته الا بعد حين ،
وهو قيام دولة فنية لها جيش جرار اشتهر بالشجاعة حتى قيل ان آلب أرسلان لما جاء المرة
الاولى الى شمالي الشام كان في اربعمائة الف مقاتل ، ومثل هذا الجيش لا تستطيع
العراق والشام والجزيرة ان تجنده لدفع جيوش الفرنج الجرارة ، هذا على فرض ان
قواها موحدة ، وروحها في الدفاع واحد ، فالشام اذا اعزز بالتركان . ثم ان

السلجوقيين كانت بأيديهم الدروب او المنافذ الى آسيا الصغرى او طريق الافرنج من اوربا الى الشام على طريق البر، فنولي دولة التركان القيادة العامة جمع الطبيعة حولهم العرب من سكان هذه الديار وما اليها، هذا اذا لم نقل ان حكم التركان الشديد عجل في خروج الصليبيين الى هذه الديار . واليك البيان :

أنخن بنو سلجوق أصحاب آسيا الصغرى في جيش صاحب قسطنطينية بايعاز السلطان ملكشاه وضايق الامير برستق الروم ، حتى قرر على قسطنطينية في كل سنة حمل ثلاثمائة الف دينار للسلطان وثلاثين الف دينار له ، جزية يؤديها ، يخاف ملك القسطنطينية كثيراً على مملكته من هجوم المسلمين فكتب يستنهض ملوك اوربا ان يأتوا لمساعدته بل رضي بطريك القسطنطينية بان يقدم خضوعه لباپا رومية ، اذا كانت ممالك اوربا تجهز جيشاً لتخليص المملكة اليونانية مما يتهددها من هجوم التركان المسلمين فكتب ملوك اوربا بذلك .

وقال صالح بن يحيى : ان سبب استيلاء الصليبيين على بلاد المسلمين انه لما قويت دولة بى سلجوق ضعفت حال الخلافة ببغداد ، فلما مات ملكشاه السلجوقي سنة خمس وثمانين واربعمائة وقع الخلاف بين ولديه محمد وبركيارق ، ودام الحرب بينهما نحو اثني عشرة سنة فاضطربت ممالك الشرق لذلك ، ووافق هذا خلافة الامر باحكام الله بمصر وكان صغيراً ولما كبر كان مستهتراً بالمملكة فغلا للصليبيين الجو . وفي التاريخ العام ان حجاج النصرارى كانوا يرمون الى أخذ القبر المقدس من أيدي المسلمين ، وان كان هؤلاء يتركونهم وشأنهم يقومون بعبادتهم بسلام ، ولكن كان يترامى للحسيبيين ان سيدم المسيح يرضى عن عملهم اذا أتقنوا قبره من غير المؤمنين بدينه . وروى بعض المؤرخين ان الفاطميين هم الذين فاضوا الصليبيين وأرادوهم على غزو الشام ابغوا من السلجوقيين الذين كانت قويت دولتهم . وهذا مما يستبعد وان كان العقل لا يستبعد شيئاً في السياسة ، ولكن ظهر ان الفاطميين حاولوا غير مرة رد الصليبيين عن الساحل وعن فلسطين .

وانفق ان بعض زوار الاوربيين في الارض المقدسة شاهدوا شيئاً من العنف في بيت المقدس لم يكن لهم عهد به في أدوار الحكومات العربية القوية ، وانقلب سماحة

العرب يجفأ من خوفهم من التركمان ، فعاد الزوار الى بلادهم يقصون ما لقوا من الشدة في الشام ، ويعظمون الامر ، وكان التعصب الديني يومئذ على أشد حالاته في الغرب ، ومعظم حكوماته تدين بدين البابا وتخضع لسلطانة القاهر ، ولم يكن ظهر اذ ذلك المذهب الانجلي ، وكان مذهب الروم الارثوذكس آخذاً بالضعف ليس له روابط الكنيسة البابوية ولا سلطتها على الارواح والاشباح . فأوعز البابا الى ام النصرانية في الغرب ليهوا كلهم الى انقاذ القبر المقدس من أيدي المسلمين . وقد ذكر اهل الاخبار من الاوربيين في تعلييل الحروب الصليبية ان المسيحين والمسلمين كانوا حتى القرن الحادي عشر ليلاد على صلوات سلمية الا قليلاً ، يحمل العرب الى مصر والقسطنطينية حاصلات مختلفة من بلاد الهند والشرق الاقصى ، قستبضعها من المدن الايطالية باري وبيزة وجنوة ولا سيما امالني والبندقية فيبيعونها في اوربا . وكان العرب يسحون للزوار ان يأتوا زرافات الى فلسطين ، فيشخص اليها جماهير عظيمة من عامة نصارى بلاد الغرب يسجدون امام القبر المقدس . وتضاعفت الحماسة الدينية في ذلك الزمن وتداعى الحكيم العربي القائم على التسامح في قارة آسيا ، وقام مقامه المحاربون من الترك المعروفين بتعصبهم وبسالتهم . فاستولى السلجوقيون على ارمينية والشام وزيقية ودانت لهم في سنة (٤٦٩ هـ ١٠٧٦ م) القدس فاختلف العلائق الاقتصادية بين آسيا واوربا ، وخافت المدن التجارية في البحر المتوسط ان يغلغ الاتراك أمامها أسواق الشرق .

نم نشأت الحملة الصليبية الاولى من الحماسة الدينية بصنع البابوية التي كانت اذ ذلك الحاكمة المتحكمة في كل شيء . ولقد تأثر البابا اوربانوس الثاني بشكلاوي ازوار القادمين من فلسطين وفاق للارنقاء الخوف الذي بلغه المسلمون في الاندلس ولا سيما عقي وقعة الزلاقة سنة (٤٨٠ هـ ١٠٨٧ م) وقد أثبت العرب فيها كفاءتهم الحربية كما أثبتوا من قبل ومن بعد كفاءتهم المدنية ، واغذمت فرصة اجتماع الجمع الديني العظيم الذي البأ في مدينة كلرمون وحضره الوف من الفرسان ، ليجرض المؤمنين من المسيحين على حمل الصليب ليفتحوا القبر المقدس . فوجد جمهور كبير من جميع طبقات الشعوب ان يرحلوا الى فلسطين . واتخذوا شعار الحملة الصليبية صليبا

من القماش الاحمر يجمل على الكتف الايمن . وكثير المشتركون بهذه الحملة في ايطاليا وانكلترا ولا سيما في فرنسا . ومنهم البابا غفراناً عن جميع خطاياهم ، وشجبت كل من عيس أموالهم مدة سفرهم . ولم ينتظر العامة ريثما تجتمع الجيوش المتحددة التي أبطأ تنظيمها ، بل سافروا بدون سلاح غير آخذين بالحزم في التأهب للرحلة . وكان هذا شأن عصابات البائسين الذين جمعهم بطرس الراهب وغوته المدمم (سانزافور) ومن لم يهلك من هذه العصابات في الطريق أهلكه الترك .

وفي اواخر سنة (١٠٩٦ هـ ١٠٩٦ م) اجتمع في القسطنطينية اربعة جيوش متحالفة من اللورين والالمان بقيادة بودوين دي هينو ، وفرنسيس من الشمال بقيادة القومس فرماندوا ودوق نورمنديا ، وفرنسيون بقيادة قومس طولوز ، ونورمانديون من ايطاليا بزعامة بوهيموندي ترانت وئتكري^(١) ، ولم يكن مع هذه الامم ملك من ملوكهم ، ولم يفتق رأي الغزاة على نصب ملك يرتضونه ويرجعون اليه . وكان الامير الكسيس كومنين (ملك الروم) يرجو استخدام الجيوش الصليبية لفتح آسيا الصغرى واسترجاعها من ايدي المسلمين ، فصانعهه ولكن ما لبث البيزنطيون واللاتين ان تباعضوا واحتقر بعضهم بعضاً . وبعد سنتين ونصف مضت في المصائب المهائلة والجدال العنيف استولى الصليبيون في حرقهم على نيقية لحساب الامبراطور و كسروا جيش ساجان في دوريليوم (اسكيشير) واستولوا على الرها (١٠٩٧) وعلى انطاكية (١٠٩٨) وبلغوا القدس واستولوا عليها (١٠٩٢ هـ ١٠٩٢ م) . وربما هلك في هذه الحملة نصف مليون من الرجال حتى تهباً للصليبيين ان بنشوا اربع امارات : امارة القدس و امارة انطاكية و امارة الرها و امارة طرابلس . قسمت اقطاعاً على الفرسان الغربيين . اما المدن الكبرى في الساحل الشامي قسمت مستعمرات اوربية انشأت فيها مرساليا والمدن الابطالية احياء بومتها ه .

وبذا رأينا انه دعا الى الحملات الصليبية تعصب اوربا الدينية وحب الثارة والتجارة

(١) اخذنا بمصطلح مؤرخي العرب في اعلام الصليبيين فنقول بغدوين بدلاً من

بودوين (Baudouin) وئتكري عوضاً عن ئتكريد (Tancrede) وكدفري بدلاً من كودفروا (Godfrey) .

والاسباب التي دعت اليها واهية لامحالة^(١) قال احد كتاب روسيا : كان في الامكان اجتناب وقوع الحروب الصليبية ، وساعد على حدوثها الجهل والادهام الدينية والسياسية ومصالحة البابوية . وكم من احزان وآلام وجرائم جديدة كان يمكن ان تتوفر على الانسانية لو لم يوقف شارل مارتل العرب سنة ١١٠ للهجرة فان المدينة الزاهرة التي كان يحملها اولئك الذين دعاهم الصليبيون في حال سخطهم وبغضهم بانباء اسماعيل (Sarrasins) عبدة الاصنام والكفار والوثنيين ، كانت هذه المدينة تؤثر في اوربا الغربية وتعمل نملها في المدينة الفرنجية والرومانية .

الصليبيون في / هذاما كان من جهة الغرب وسر الحملة الصليبية الاولى على هذا الجزء شمالي الشام | الصغير من الشرق . لو كانت كلمة القابضين اذ ذاك على زمام الامر في آسيا الصغرى واراض الشام متحدة ، وحكوماتهم قوية منظمة ، لتعذر كل التعذر على الصليبيين ان يزحفوا على انطاكية ، ثم يسير جيشهم حتى يأخذ الساحل وبلغ البيت المقدس على كثرة عدده ، فقد قيل ان الحملة الاولى كانت مليون محارب ومহারبة لان بعض الصليبيين كانوا يصحبون معهم ازواجهم واولادهم . وفي رواية ميسو ان الحملة الاولى كانت ستمائة الف محارب على حين كان جيش الاسكندر الذي فتح به آسيا ثلاثين الفاً فقط . ومع هذا فان الشام في ذاك العهد بجالة من تجزء الحكم بحيث لا تستطيع ان تجيز نصف جيش الفرنج وهي تحتاج الى هاميات عظيمة في الثغور والحصون والمدن الكثيرة . وكان المسلمون اذ ذاك كالمسيحيين الاوربيين مشتة اهواؤهم غير منظمة قواهم . ومع هذا فقد روى مؤرخونا ان الاخبار لما وصلت سنة ٤٩٠ هـ الى الشام بظهور عسكر الفرنج من بحر القسطنطينية في عالم لا يحصى عدده كثرة ، شرع لملك داود بن سليمان بن قنلش وكان اقرب اليهم داراً في الجمع والاحتشاد ، استمدعى الترك وكان فوافاه منهم مع عسكر اخيه العدد الكثير وعادوا اليه ، واستظهروا عليه ، وكسروا عسكره فقتلوا منهم واسروا ، ونهبوا وسبوا ، وانهمز الترك ان واشترى

(١) تاريخ روسيا لمارك سمنوف المطبوع سنة ١٩٢٢ م بباريز .

(Marc Semenov : Histoire de Russie.)

ملك الروم من السبي خلقاً كثيراً وحملهم الى القسطنطينية .
ولما اتصلت هذه الانباء بامراء الشام ، قرأ رأي اصحاب انطاكية وحلب ودمشق
وغيرهم من صفار الامراء على الاستصراخ والاستنجاد ، وتحصين انطاكية واخراج
النصارى منها ، ولم تلبث عساكر الفرنج ان نزلت على حصن بغراس (بيلان) واعادوا
الكرة على اعمال انطاكية فعصى من كان في الحصون والمعاقل المجاورة لها وقتلوا
من كان فيها وهرب من هرب منها وفعل اهل حصن ارتاح مثل ذلك واستدعوا المدد
من الفرنج . وكان نهض من عسكر الفرنج فريق يناهز الثلاثين الفاً فعاثوا في
الاطراف ، ووصلوا الى حصن البارة وفتكوا باهله ، وكان عسكر دمشق وصل الى
ناحية شيزر لانجاد ياغي سيان ، وقتل الفرنج منهم جماعة وعاد الفرنج الى الروج بين
حلب والمرة وتوجهوا الى انطاكية وجعلوا بينهم وبينها خندقاً لكثرة الغارات عليهم
من عسكرها .

وكان الفرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بان يسلموا اليه اول بلد
يفتقونه ففتقوا نيقية فلم يسلموها اليه على الشروط المقررة ، وافتتحوا في طريقهم بعض
الثغور والدروب وفتحوا الزها وما اليها وجاؤا انطاكية فحاصروها تسعة أشهر حتى
واطأهم قوم من الزرادين ومنهم أرمن على تسليم انطاكية اليهم ، وذلك لاساءة
صدرت من صاحبها ياغي سيان الى الارمن فصادروهم وارهقهم ، ووجدوا الفرصة في
برج من ابراج البلد مما يلي الجبل فباعوه من الفرنج واطلعوهم الى البلد منه . فانهمز
ياغي سيان بعد ان ظهر من شجاعته وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من
غيره وخرج في خلق عظيم فلم يسلم منهم شخص ولما حصل بالقرب من ارمناز قرب
معة مصرين سقط عن فرسه فمات . وقد قتل في انطاكية وأسر وسي من الرجال
والنساء والاطفال خلق كثير .

ولما سقطت انطاكية عادت عساكر الشام فجمعت وحاصر المسلمون انطاكية حتى
عدم القوات منها واكل الفرنج الميتة فزحفوا وهم على غاية من الضعف ، الى عساكر
الاسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة ، فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم . والسبب
في هذه الهزيمة ان كربوغا صاحب الموصل كان في عسكره على حصار انطاكية مع

صاحب دمشق وصاحب حلب وصاحب حمص وغيرهم من الامراء فأساء السيرة فمِن اجتمع معه من الملوك والامراء وتكبر عليهم ، فخبثت نياتهم على كربوغا فزعمهم عدوم وهو في ضعف وهم في قوة . قال صاحب التاريخ العام : وكان الجيش الاسلامي الذي دافع عن انطاكية وانجند صاحبها مؤلفاً من مائتي الف محارب ولو استطاع هذا الجيش ان يصل كله الى انطاكية لقضى على الصليبيين جملة ولم تلبث الحرب ان نشبت بين الصليبيين فاختلف البروفنسيون والنورمانديون ، حتى ان الفرسان هددوا التحاربين من الفرنج ان يخرّبوا المدينة التي كانوا يتنازعون ملكها . وظلت الحرب على انطاكية اربعة اشهر ففتحت بعد مذبحه هائلة قتل فيها من الفريقين الوف .

ولما انهزم المسلمون امام الفرنج على انطاكية سار هؤلاء بجملتهم الى المعرة وضموا اليهم الارمن الذين كانوا في طاعتهم وبعض نصارى البلاد فاستولوا عليها ووضعوا السيف في اهلها فقتلوا منها ما يزيد على مائة الف انسان في اكثر الروايات وسبوا مثلهم واقاموا بالمعرة اربعين يوماً ثم زحفوا عنها بعد ان قتلوا اهلها وقطعوا اشجارها . قال ميشو : ان الفرنج قتلوا جميع من كان في المعرة من المسلمين الذين اعتصموا بالجوامع واختبأوا في السرايب ، فأصبحت خاوية على عروشها ، وفقد الفاتحون كل زاد وسات حالم ، ثم وقع الخلاف بينهم وصاروا في رواية يأكلون جثث الموتى ، وهدموا أسوارها وأبراجها وأحرقوا المساجد وكسروا المنابر وهدموا الدور ، ثم ساروا الى عرقه وحصروها اربعة اشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم يقدرها عليها ثم ساروا الى حمص فصالحهم أهلها وراسلهم صاحب شيزر فصالحهم عليها . اما طرابلس فتعاصت عليهم لما بدا من شتم صاحبها جلال الملك بن عمار واستنجاهه بالملك فصالحه صاحب انطاكية وهاداه على ان يكون للفرنج ظاهر طرابلس ولا يقطع الميرة والمسافرين عنها وبهذا تيسر للفرنج ان يحفظوا خط رجعتهم في طريقهم براً الى القدس . وخرجوا على طريق التواقير الى عكا فلم يقدرها عليها .

فتح الصليبيين القدس) وبعد فتح الفرنج للمعرة وغدرهم باهلها ومن أختفى فيها ،
والساحل) وقطعهم على أهل البلد القطائع التي لم يفوا بشيء مما قرروه

فيها ، ومطالبتهم الناس بما لا طاقة لهم به ، رحلوا الى بيت المقدس على طريق الساحل فأجفل الناس من أماكنهم ، وكانت حنبل على قيد غلوة من خطر استيلاء الفرنج ، ولكنهم أعلنوا يوم وصولهم انهم لا يقصدون الا الاستيلاء على ما كان للروم من المدن ، ليصرفوا فكر حكام الشام عن نجدة اهل أنطاكية ، ولكن امراء البلاد لم يصفوا لهذه الدعوة ، ونزل الفرنج بعد ان اجتازوا معظم الثغور على الرملة فمكثوا ، وانقلوا الى بيت المقدس فضيقوا عليه ، فجاءهم الافضل في المسكر الدثر من مصر الايقاع بهم وانجاد البلد ، فشدوا في قتاله ولازموا حربه ، فانزمت الناس فملك الزنجي البلد « ولبت الفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس أسبوعاً وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين الف نفس ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم من جاور في ذلك الموضع الشريف ، وغنموا ما لا يقع عليه الاحصاء » . وجمع الفرنج اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم ، وهدموا المساجد وقبر اشيليل وأحرقوا المصاحف .

قال ميشو : وقد ارتكب الصليبيون في فتح القدس انواع التعصب الاعمى الذي لم يسبق له نظير ، حتى شكوا من ذلك المنصفون من مؤرخيهم ، فكانوا يكرهون العرب على إلقاء انفسهم من أعالي البروج والبيوت ويجعلونهم طعاماً للنار ، ويخرجونهم من الاقبية وأعماق الارض ويبرونهم في الساحات ، ويقتلونهم فوق جثث الادهيين . ودام الذبح في المسلمين اسبوعاً حتى قتلوا منهم كما انفق على ذلك مؤرخو الشرق والعرب سبعين الف نسمة ولم ينجح الاسرائيليون من الذبح كالعرب فوضع الصليبيون النار في المذبح الذي لجأ اليه أبناء اسرائيل وأهلكوهم كلهم بالنار . ذكر ابن خلدون ان الافضل كان تسلّم القدس من سقمان بن أرئق وولى فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلّمه منه ولو كانت في يد الأرثقية لكان أصلح للمسلمين . وكان الافضل راسل الامير سقمان وابغازي ابني أرئق ليسلماه بيت المقدس بدون حرب فلم يجباه فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانباً فلم يجدها بدأ من الاذعان له فسلماه اليه ، وكان الامير اتسز بن اوق الخوارزمي التركي انتزع القدس من يد المصرين سنة نيف وستين واربعمائة قبل ماكه دهشقي ثم لما كسر بصر سنة ٤٦٩

قام على اصحابه فئة فأخرجهم ثم أعاد الدعوة العباسية ولم يزل القدس بيده الى ان قتله تاج الدولة نتش بن أرسلان سنة ٤٧٢ ثم انتزعه تاج الدولة سنة ٧٤ ثم سلمه الى الامير ظهير الدين أرئق واخر سنة ٧٨ فعمره وأسكن به ولده ولم يزالوا به الى سنة ٤٩١ حتى تسلمه المصريون . وجاء الافضل وقد فات الامر فانضاف اليه عساكر الساحل ، ونزل بظاهر عسقلان منتظراً وصول الاسطول في البحر ، فنهض عسكر الفرنج اليه وهجموا عليه في خاق عظيم ، فانزله العسكر المصري الى ناحية عسقلان ودخل الفرنج اليها ، وتمكنت سيوفهم من المسلمين ، فأتى القتل على الراجل والخطوة وأهل البلد ، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ونهب العسكر الاسلامي ، وتوجه الافضل في خواصه الى مصر ، وضايقوا عسقلان فقتل من اهلها وغیره سوى اجنادها الفان وخمسمائة نفس .

ولما توغل الصليبيون في البلاد ، وكانوا في كل بلد يدخلونه يقتلون اهلها ، ويحربون عمرانه ، ويحرقون كتبه ومناعه واناره ، هام الناس على وجودهم في البراري ومنهم من قصد الى داخلية الشام ومنهم من فر الى مصر على حالة رثة . وفي سنة ٤٩٢ ملك الفرنج ما حول بيت المقدس من صور وعكة والزملة وبافا ، اما بقية الساحل كطرابلس وبيروت واللاذقية فبقيت نقايم الى حدود سنة ٥٠٠ معتصمة وراء أسوارها محصورة في بقعة ضيقة من ارباضها ، متمدة على معاينة الداطميين لها من البحر . وكان الفرنج اول ما ملكوا من هذه الارزاء وما حولها من الحصون الفرانية قبل ملكهم انطاكية والمرة ضلت بيروت في أيدي المسلمين الى سنة ٥٠٣ حتى فتحها بغدوين بعد ان حاصرها حصاراً شديداً وقتل من أهلها عالماً كثيراً . ودام ملوك الفاطميين ينجذون الساحل والداخل ينجذوهم ، ولولاهم لتيسر للفرنج اكنساح جميع البلاد بمجرد سير جيوشهم الجواراة ، وحالت اسوار المدن بينهم وبين ما كانوا يؤملون ، وصحت نيات القائمين بالامر فيها ولا سيما في المذب الداخلية على الدفاع ، فكنت هجمات العدو يبددها في الغالب دفاع اصحاب البلاد على ضعف قواهم وتشتت اهوائهم وموقف المدافع أسهل من موقف المهاجم . ومن أم الاحداث بعد دخول الفرنج الى انطاكية خروج صاحبها يميند سنة ٤٩٣

الى حصن أفامية فوصل الخبر الى الدائشمند التركياني صاحب ملاطية وسيواس وعسكر فلج أرسلان بن سليمان بن قتلش صاحب قونية واقصرا ، فقتل من عسكر الفرنج عدد عظيم ، وحصل يميند في قبضة الاسر مع نذر من أصحابه وتذت الرسل الى نوابه في أنطاكية بيلمسون تسليماً . قال صاحب الكامل : انه لم يفلت احد من الفرنج في هذه الواقعة وكانوا ثلاثمائة الف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا بحر وحين . وفي سنة ٤٩٤ جمع سقمان بن أرئق صاحب ديار بكر خلقاً كثيراً من التركان ، وزحف بهم الى فرنج الرها وسروج وتسلم سروج ثم هرب بعض التركان ، فضعفت نفسه وانهمزم فسلم الفرنج سروج وقتلوا أهلها وسبوه الامن أفلت منهم هرباً . ووصل كدفري صاحب بيت المقدس الى ثغر عكا ، وأغار عليها فأصابه سهم فقتله ، وكان قد عمر يافا وسلمها الى طنكري فلما قتل كدفري سار اخوه بغدوين القمص صاحب الرها الى بيت المقدس في خمسمائة فارس وراجل فجمع صاحباً دمشق وحصن الجوع ولقياه بالقرب من ثغر بيروت ، فسارع نحوه صاحب حصن في عسكره فظفر به وقتل بعض أصحابه . وفيها افتتح الفرنج حيفا على ساحل البحر بالسيف وأرسوف بالأمان وأخرجوا أهلها منها وفتحوا قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها وابعثوا الجنويون عليها . وكان الجنويون والبيزيون يبعثون كل سنة براكب الى ثغر الشام . وارسل القاضي عبد الله بن صليحة المتغلب على ثغر جبلة الى صاحب دمشق ، يلتمس منه انفاذ من يراه من ثقاته ليسلم اليه جبلة ، فانندب ولده تاج الملوك فسلمها ، وأساء هو وأصحابه الى أهلها وظلمهم ، فشكوا حالم الى ابن عمار صاحب طرابلس فأنهض اليهم عدة وافرة من عسكره ، فدخلت الثغر واجتمعت مع أهله على التركان فقهرهم واخرجهم منه وملكوه ، وحملوا تاج الملوك الى طرابلس فدمشق معزراً . وفي رواية ان الفرنج استولوا على جبلة هذه السنة . وفيها خرج من مصر عسكر كثيف مع سعد الدولة المعروف بالقوامسي ووصل الى عسقلان لجهاد الفرنج ورحل عنها ، فنهض من الفرنج الف فارس وعشرة آلاف راجل والنبي الفريقان فكسرت ميمنة المسلمين واستشهد سعد الدولة وعاد المسلمون على الفرنج وتذاصروا عليهم وتحاضوا على تدهالهم ، وبدلوا النفوس في الكرة عليهم فبوزوهم الى يافا وقتلوا منهم

وأسمروا . وفيها نزل ابن صنجيل على طرابلس وكان جاءه اربعون مركباً مشحونة بالرجال والمال ، فعطب بالرياح أكثرها ، فكتب صاحبها الى دمشق يستصرخ فسار عسكرها مع صاحب حمص الى انظرطوس والنقوا بالفرنج فانهمزم صاحب حمص وعاد الفرنج الى مفاداة طرابلس القتال فعاد ابن عمار الى الاستصراخ بصاحبي حمص ودمشق فدفعوا الفرنج عنه بعد ان قتل من اهل طرابلس سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها واتاه اهل الجبل فأعانوه على حصارها وكذلك اهل السواد واكثرهم نصارى ثم هادنهم على مال حمله اهل طرابلس الى صنجيل ، فسار الى انظرطوس ففتحها وقتل من بها من المسلمين ، ثم رحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رافية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه اهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارساً من اكابر فرسانه ، فبذل صنجيل في فدائه عشرة آلاف دينار والفاسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك . ثم سار صنجيل وحصر حصن الاكراد فجمع تاج الدولة صاحب حمص العسكر ليسير اليه فوثب به باطني واغتاله ، ولما بلغ صنجيل ذلك رحل عن حصن الاكراد الى حمص ونازلها وملك اعمالها . وفي هذه السنة أطلق الدانشمند صاحب سيواس بيئند الفرنجي صاحب انطاكية من الاسر وأخذ منه مائة الف دينار ، ولما خلاص من الامر عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ، ولم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها بطالبيهم بالانابة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التي بناها الدانشمند (ابن الاثير) ان الدليل من ذلك في سلطانه .

تخاضل امراء المسلمين { جهز ملك مصر في سنة ٤٩٦ عسكراً بقيادة ابنه وبلاط طنتكين وابن عمار } شرف المعالي ، وسير الاسطول في البحر فاجتمع بالعسكر الذي خرج سنة ٤٩٥ وعليه سعد الدولة القوامسي بيازور بساحل الرملة ، والبقيا مع عسكر الفرنج فهزموم ، وحاصر شرف المعالي قهراً كان الافشين قد بناء قرباً من الرملة وملكه قهراً ، وقتل من كان به من الفرنج فحضر في البحر عدة مراكب نجدة للفرنج وحاصروا عسقلان ، فرحل شرف المعالي من الرملة الى عسقلان ، فارتحل

الفرنج عنها ، وكتب الافضل الى شمس الملوك دُفاق صاحب دمشق يستجده على
الفرنج فاعتذر عن ذلك .

وفي سنة ٤٩٧ وصلت مراكب الفرنج في البحر من بلادهم الى ظاهر اللاذقية
مشعونة بالتجار والاجناد والحجاج وغير ذلك ، فاستنجد بهم صنجيل المنازل لطرابلس
في مضايقتها والمعونة على ملكها ، فاجتمعوا معه على منازلها فقاتلوا أياماً ورحلوا عنها
وزلوا على تفر جيبيل فقاتلوه وضايقوه وملكوه بالامان ثم غدروا باهله وصادروهم ،
واستنفدوا اموالهم بالعقوبات وأنواع العذاب . وفيها التقى عسكر الاميرين سقمان بن
أرتق صاحب آمد وجكرمش صاحب الموصل بعسكر يميند وطنكري في عسكريهما
من ناحية أنطاكية فانصر المسلمون .

ونزل بغدوين صاحب بيت المقدس على تفر عكا ومعه الجنويون والمراكب في
البحر والبر وهم الذين كانوا ملكوا تفر جيبيل في نيف وتسعين مركباً فحصره من
جهانه ، ولازموه بالقتال الى ان عجز واليه ورحاله عن حربهم ، وضعف أهله عن
المقاتلة وملكوه بالسيف قيراً . وكان والي عكا زهر الدولة الجيوثي من قبل المصر بين .
ونزل الفرنج على حصن بسر فوفت ورموه بالنساجيق ففتحوه بالامان . أطلقوا من كان
فيه وكان من أمتع حصون جبل بني غليم من عمل حلب . وظهر ابن عمار صاحب
طرابلس في عسكره وأهل البلد وقصد الحصن الذي بناه صنجيل عليهم ، وهم على
غرة من فيه فقتل من به ونهب ما فيه وأحرق وأخرب ، وأخذ منه السلاح والمال
والديباج والفضة ، هذا وملوك الاسلاء اذ ذلك مشتغلون بقتال بعضهم بعضاً وقد
أفرقت الآراء وتمزقت الاموال . وقصد الفرنج حران فانفق صاحب الموصل
وصاحب حصن كيفا وماردين ومعهم العرب والتركمان واجتمعوا بالفرنج على الخابور
على نهر البليخ فهزم الفرنج وأسر ملكهم القومص .

وفي سنة ٤٩٨ خرج صاحب حلب عازماً على قصد طرابلس لمعاونة صاحبها ابن
عمار على الفرنج النازلين عليه ، وكان الارمن في حصن أرتاح قد سلموا اليه الحصن
لما شملهم من جور الفرنج ونزل عليها فوقع المصافح بين المسلمين والفرنج عند شيزر ،
فثبت رجال المسلمين وانهمزمت الخيل ، ووقع القتل في الرجالة ولم يسلم منهم الا القليل

ووصل الفلّ إلى حلب ، وحين عرف ذلك من كان في أرتاح من المسلمين هربوا بأسرهم منها فملكها الفرنج ، ثم قصدوا بلد حلب فاجفل أهله منهم واضطربت أحوال من بالشام .

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة آلاف فارس وراجل مع شرف المعالي ولد الأفاضل و كوتب صاحب دمشق بالاستدعاء للمعونة فنزل هذا على بصرى ثم قصد ظاهر عسقلان فجمع الفرنج وقصدوا عسقلان فالنقى الفريقان بين يافا وعسقلان واستظهر الفرنج على المسلمين وقتلوا والى عسقلان ، وانهمزم عسكر مصر إلى عسقلان ، وعسكر دمشق إلى بصرى وكان صاحبها يتكهن الحلبي راسل بغداد بن ملك الفرنج للاستجداد به وتوجه يتكهن وارتاش بن تاج الدولة نحو بغداد بن وأقاما عنده مدة يحرضانه وقومه على المسير إلى دمشق ، وبعثانه على الإفساد في أعمالها فلم يجيبهما ، فلما يشا توجهوا إلى ناحية الرحبة .

وأما المرء حديث بعده فكان حديثا حسنا مان وعى

وتوجه صاحب دمشق إلى بعلبك وقرر أمورها وكف الأذى عن واليها فمشتكين الحادء التاجي ، وتوجه إلى حمص وقصد رمنية ونزل عليها ووفد عليه خلق كثير من جبل بهراء في عمل حمص فهاجموا رمنية على حين غفلة من أهلها ، وغرة من منظرها ، وقتلوا من بها وبأعمالها وأحرق ما أمكن احراقه من الحصن المحدث إليها من الفرنج وغيره ، وملكك أبراج رمنية وهدم الحصن وقتل من كان فيه .

وفي سنة ٤٩٩ سار الفرنج إلى أفامية وحاصروها وملكوا البلد والقلعة وقتلوا القاضي المتقلب عليها ، وكان هذا كتب إلى صاحب حلب لاتخاذ البلاد من المستبد بها خلف بن ملاعب الكلابي الذي كان دأبه قطع الطريق على الناس وإخافة السبل فقتله والتجأ ابنه مصبح إلى طنطوري صاحب انطاكية وحرضه على العود إلى أفامية وأظمعه في أخذها لقلعة القوت بها فنهض إليها ونزل عليها وضايقها إلى ان تسلمها بالأمان . والغالب ان الاسماعيلية هم الذين ملكوا حصن أفامية باسم الملك رضوان صاحب حلب ، وكان بنى لهم بحلب دار دعوة وهو اول من عملها . وكان بأفامية رجل من دعائهم يقال له ابو الفتح السرميني فقرر ذلك لمنع أهلها ، فنقبوا السور ومجموعوا على ملاعب

وقتلوه ونادوا بشعار الملك رضوان . وبقي الحصن في أيديهم حتى أخذه الفرنج منهم في سنة ٥٠٠ .

وفي سنة ٤٩٩ م ملك صنجيل مدينة جبلة ، ثم سار وأقام على طرابلس فحصرها وبني بالقرب منها حصناً ، وبني تحتها ريفاً وهو المعروف بحصن صنجيل فخرج صاحب طرابلس فأحرق الرضض وملك صنجيل على أثر حرق مجسده « ودام الحرب بين أهل طرابلس والفرنج خمس سنين وظهر من صاحبها ابن عمار صبر عظيم وقتل الاقوات بها وجلا الفقراء وافنقرت الاغنياء » . قال ابن الاثير : وكانت طرابلس من أعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملًا وثروة فباع أهلها من الحلي والاواني الفريفة ما لا حد عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرةً بدينار .

* * *

حرب طغتكين } خرج الفرنج الى سواد طبرية (٤٩٩) وشرعوا في عمارة
للصليبيين } حصن علعال بين السواد والبثنية او بين الغور وجبل الشراة
وكان من الحصون الموصوفة بالمتعة ، فلما عرف صاحب دمشق هذا العزم منهم نهض فملك الحصن وقتلهم وأسره . قال ابن الاثير : وقد قال طغتكين للقتال يومئذ : من أحسن قتال الفرنج وطلب مني امراً فعلته معه ، ومن أتاني بججر من حجارة الحصن أعطيته خمسة دنانير ، فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخرّبوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم ، وأمر بلقاء الحجارة في الوادي وأسروا من الحصن فأمر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان ، ثم سار الى حصن ريفية فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

وفي السنة التالية (٥٠٠) زاد عيث الفرنج في اعمال السواد وحوران وجبل عوف (مجلون) ، فنهض صاحب دمشق بالعسكر وخيم في السواد . وهجم عز الملك والي صور على ربض حصن تبنين في جبل عامل من عمل الفرنج وقتل من كان فيه ، فنهض بغدوين من طبرية وسار صاحب دمشق الى حصن بالقرب من طبرية فيه جماعة من فرسان الفرنج فقاتله وملكه وقتل من كان فيه . وأقطع صاحب دمشق الامير الاصفهيد التركاني وادي موسي ومآب والشراة والجبال والبلقاء ، وكان

الفرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال وقتلوا من فيها وسبوا ونهبوا ، فلما وصل اليها وجد اهلها على غاية الخوف من الفرنج ونهض هؤلاء لما عرفوا خبره من ناحية الرية وكبسوه على غرة ، فانهزم واستولى الفرنج على سواده .

وثابعت المكاتبات من صاحبي دمشق وطرابلس الى محمد بن ملكشاه السلجوقي بعظيم ما ارتكبه الفرنج في البلاد ، وتملك الحصون من المعامل بالشام والساحل ، والفتك بالمسلمين ومضايقه ثغر طرابلس ، والحض على تدارك الناس بالمعونة ، فوقع خلاف بين الامراء الذين اتندبهم صاحب حلب ودمشق وغيرها في جهات الرحبة ، والتقوا مع عسكر قلع أرسلان في اراضي الموصل ونسوا الغرض الذي ندبوا اليه . وقلج أرسلان الترككاني هو الذي أعان ملك الروم في قسطنطينية على يميند ملك الفرنج فاستطير الروم والترككان على الفرنج وكسره هم كسرة شنيعة اتت على اكثرهم بالقتل والاسر وئفرق الباقي منهم عاندين الى بلادهم .

حروب الصليبيين

« ودولة طغتكين وبقايا السلاجقة من سنة ٥٠٠ الى ٥٢٢ »

— ١٠٠ —

هدنة طغتكين للصليبيين (انسخ القرن الخامس ، وأهم ما دم البلاد فأوقع
وشدته عليهم) الاضطراب فيها ، انهيار جيوش الصليبيين عليها ،
وتبلغ القرن السادس والصليبيون في الشام منذ عشر سنين ، استصفوا الساحل
وبعض الداخل ، والحرب بين امراء البلاد وبين الفرنج على أشد حالاتها ، وشعر
امراء المسلمين بالخطر المدام لكن القوى لم توحد ، وكيف يخضع صاحب آمد لصاحب
دمشق او صاحب حلب لصاحب الموصل ، وكل منهم يدعي النفوق و يود لو ينال
من جاره ليكون له الامر كله ، وكان ضغتكين صاحب دمشق يحمل العبء الثقيل
لانه أول أمير لناخم بلاده ارض فلسطين ، وملوك الاطراف أبعد دياراً ، وكان
همه قتال الاعداء من الجنوب والغرب ، وحفظ الموازنة مع صاحب حلب حتى
لا يستغذي فتسقط دمشق بل الشام بأسره لا محالة .

وأهم الاحداث في العقد الاول من هذا القرن اقامة صاحب القدس على تل
المشوفة في صور (٥٠١) بناء ، ومصانعة واليه على سبعة آلاف دينار ، واشتداد
الامر ببن عمارة في طرابلس لحصار الفرنج ومضيه الى بغداد مستنجداً ، وقد استناب
ابن عمه ابا المناقب فنادى بشعار الافضل صاحب مصر فقبض عليه وهمل الى حصن
لخوابي . وطل مقام ابن عمارة في دار السلام على غير طائل ، وانفذ الافضل من

مصر الى طرابلس في البحر الغلة والميرة وواليا من قبله فتسلم البلد . وأمري صاحب دمشق الى طبرية وفرق عسكره فرقتين ، نددت احدهما الى فلسطين وأغار بالثانية على طبرية ، وأحاطت الخليل بصاحب طبرية وباصحابه فقتل اكثرهم . ونهض صاحب القدس الى صيدا برآ وبحراً ونصب برج الخشب عليه ووصل الاسطول المصري فظهر على المراكب الجنوبية وعسكر البر واتصل بهم نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا فرحلوا عنها .

وتسلم الفرنج عرقة بالامان (٥٠٢) ، وكان أنجدها صاحب دمشق ففاته اثولوج والامطار عن الوصول اليها ، فرجع الى حصن الأكمة مقاتلاً ثم رحل عنه شبه المنهزم الى حمص . ونزل الفرنج على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة أهلها زهاء اربعة أشهر فشمّل اليأس أهلها لتأخر وصول الاسطول المصري في البحر ، فلما ساء الفرنج بالسيف « ونهبوا ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها ودفاتر دار علمها وما كان منها في خزائن اربابها ما لا يمد عدده ولا يحصر ، ونزل بأهلها اشد البلاء وتقرر بين الفرنج والجنوبين على ان يكون للجنوبين الثلث من البسلة وما نهب منه ، والثلاث لرئيد بن صنجيل وافردوا للملك بغدوين من الوسط ما رضى به » . وذكر التويري ان السبب الذي دعا اهل طرابلس الى التسليم انهم بينا كانوا ينتظرون وصول النجدة بحراً من مصر جاءهم رسول منها على مركب يطلب منهم لاسم الخليفة الفاطمي جارية جميلة كانت في طرابلس وخشب مشمش يصلح لعمل عود وغيره من آلات الطرب . واذا اقبلت الدولة كما قال افلاطون: خدمت الشهوات العقول ، واذا ادبرت خدعت العقول الشهوات .

وبعد فتح طرابلس سار الفرنج الى جبلة وسار جاوي الى بالس فبرب من بها من اصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة ايام وملكها بعد ان تقب برجاً من ابراجها . وافتتح السرداني المتقلب على عرقة حصن بانياس ، ونزل على ثغر جبيل وفيه ابن عمار فخرج منه بالامان ، ووصل الاسطول المصري بعد اخذ طرابلس فأقام بالساحل مدة وفرقت الغلة في جهاتها ، وتمسك به اهل صور وصيدا وبيروت وشكوا ضعفهم عن مقاومة الفرنج . وفيها كان المصاف بين جاوي وسقاو وبين طنكري صاحب

انطاكية وسبب ذلك على ما رواه ابن الاثير ان الملك رضوان كتب الى طنكري صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولي من الفدر والمكر والخداع ويحذره منه ويطلب منه انه على قصد حلب ، وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام ، وطاب منه النصره والانفاق على منعه ، فأجابه طنكري الى منعه وبرز من انطاكية فأرسل اليه رضوان ستمائة فارس الى ان قال : ولما وقعت الحرب لم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية ثم انهزم جاولي وبقية عسكره وقتل من المسلمين خلق كثير ، ونهب صاحب انطاكية امواله واثقاله وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر ، والتجأ اليها خلق كثير من المسلمين فعلا معهم الجليل ودأوا بالجرحي وكسوا العراة وسيرام الى بلادهم .

وفيهما كانت حرب شديدة بين طغتكين والفرنج على طبرية واشتد القتال فانهزم المسلمون ، ثم نادى طغتكين بالمسلمين وشجعهم ، فعاودوا الحرب وكسروا الفرنج وامسروا ابن اخذت ملك القدس وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع وبذل في فداء نفسه ثلاثين الف دينار واملاق خمسمائة اسير فليقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده . ثم اصطلح طغتكين وبندسدين ملك الفرنج على وضع الحرب اربع سنين . ولما انهزم طغتكين على طرابلس ووصل الى حص بصره على افيج حال ارسل اليه ملك القدس يقول له : لا تظن انني انقض المدة للذي تم عليك من الهزيمة ، فالملوك ينالهم اكثر مما نالك ثم تعود امورهم الى الانتظام والاستقامة ، وكان طغتكين خائفاً ان يقصده بمد هذه الكسرة فينال من بلده كل ما اراد .

وهادن صاحب دمشق ملك بيت المقدس على ان يكون السواد وجبل عوف اثلاثاً للتركيان الثلث وللفرنج والفلان - بين الثمانين . وجاء ابن عمار الى دمشق فأقطعها صاحبها الزيداني واعمالها (٥٠٣) . وكان لابن عمار البلاء الحسن بل الاحسن في دفع عادية الصليبيين عن بلده ، لم يترك باباً من ابوابه الا لاص ليهدم عن طرابلس الا طرفه ، حتى دفعهم بعقله وحسن ادارته عن تملكها عشر سنين . وكان في طريق رجعتهم كالحسكة في الحلق وفي معاملته ملوك الاطراف نموذج الدهاء السياسي ، وهو

على صفر جرم مملكته يطاول ويحاول وينازل ويصاول ويلين ويقسو « ان مع الكثرة نخاذلاً ، ومع القلة تماسكاً » .

ونهب الفرنج (٥٠٣) الى رمنية وترددت بينهم وبين امراء البلاد مراسلات افضت الى تقرر المواعدة على ان يكون للفرنج ثلث مغل البقاع ويسلم اليهم حصن المنيطرة وحصن عكار وان لا يتعرض لحصن مصياف والخواجي وحصن الاكراد وحصن الطوبان وان يحمل اليهم مال عنها وعن حصن الطوبان من عمل حصن وأقاموا على ذلك مدة ثم عادوا الى الفساد في البلاد . وخرج صاحب انطاكية واستولى على طرطوس وقرر على شيزر عشرة آلاف دينار وتسلم حصن الاكراد وعاد الى انطاكية ، ونزل بغدو بن صاحب القدس وابن صنجيل صاحب طرابلس الى بيروت وسار اليهم جوسلين صاحب تل باشر لمعاونتهم واستنجادهم على الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل . وجاء الاسطول المصري في ١٩ مركباً وفيه الرجال والميرة فدخلوا ثغر بيروت فقويت نفوس اهلها ، فبعث بغدو بن الى الجنوبية في ثغر السويدية فجاءوا في اربعين مركباً ، وزحفوا برأً وبحراً وفعالوا ما فعلوه في طرابلس من القتل والحرق والنهب وملكوا بيروت ، ثم نزل بغدو بن على صيدا فسلمها اهلها واستمهلوه مدة عينوها فأجابهم واخذ منهم اتاوة . وراسل والي بعلبك كمشتكين الخادم الفرنج بالتماس المصافاة ، وبعثهم على شن الغارات على الاطراف فزحف صاحب دمشق عليه فنجح المقاومة الى الدخول في الطاعة ، واستولى على البلد وعضو واليهما عن بعلبك بحصن صرخد .

اجتماع كلمة امراء المسلمين / اجتمع صاحب ارمينية وميافارقين وصاحب وانجاد بغداد للشام) الموصل وغيرهم على جهاد الفرنج ، وقصدوا الرها وضايقوها فاشرف من بها على الهلاك لقلعة القوت ، فشرع اصحاب انطاكية وطرابلس والقدس بالذود عنها ، ونهب صاحب دمشق في عسكره وخيم على سلمية ، وظهر الفرنج في رمنية فقاتلهم واليهما شمس الخواص ، ورحل الفرنج الى قصد الرها فخف ، احب دمشق الى الرقة وقلعة جعبر وقطع الفرات ، وتلوّم هناك الى ان عرف خبر الفرنج

وانهم قد اجمعوا عن العبور لفرق سرايا العساكر الاسلامية وطلائهم في عامة المسالك الى الفرات . ولما ادرك المسلمون قرب الفرنج منهم انفتحت الآراء على الافراج لم يتمكنوا من لقاءهم في الفضاء من شرقي الفرات ، ورحلوا عن الرها ونزلوا ارض حراف مكرراً وخذيمة ، ففطن الفرنج لهذا التدبير فاجفلوا ناكصين على الاعقاب الى شاطيء الفرات ، فنهض المسلمون في اثرهم فغنموا سواد الفرنج واثقالهم ، واتوا على العدد الدثر من اتباعهم قتلاً ونزيراً في الفرات . وفي هذه الايام تأكدت اسباب الألفة بين صاحب دمشق وملوك الشمال -

لما نفرقت العساكر الاسلامية اغار بغدوين على الرها ، وكانوا رتبوا فيها جماعة من الارمن لحفظها ، وبلغ ذلك صاحب حلب وما اصاب الفرنج من الهزيمة فاستعاد ما كان غلب الفرنج عليه وَاغار على انطاكية . ثم جاء الفرنج عقيب ذلك فافسدوا في اعمال حلب وقتلوا واسروا خلقاً كثيراً . وعاد طنكري على الاثارب وملكها بعد طول حصارها كما ملك زردنا بالسيف ، واستقرت المودعة بعد ذلك بين صاحب حلب وطنكري على ان يحمل اليه الاول من مال حلب كل سنة عشرين الف دينار وان يفك الأسرى ، وتقررت المودعة بين صاحب بيت المقدس وصاحب دمشق على ان يكون الثلث من غلات البقاع للفرنج والثلثان للمسلمين والفلاخين .

ووصل بعض ملوك الفرنج في البحر ومعه نيف وستون مراكباً مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام ، فاجتمع مع صاحب بيت المقدس ونزلا على نغر صيدا وضايقاه برأً وبحراً ، فلما عين من بصيدا هذا الامر ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم ما اصاب بيروت وقد قتل الفرنج يوم اخذوها واليها واعيانها ، فخرج اليهم قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا الامان ، فأمنهم فاستخلفوه على ذلك ، وخرجت الخامية وخاتي من اهلها الى دمشق ، وقرر بغدوين على من اقام بها نيفاً وعشرين الف دينار فأفقرهم واستغرق اموالهم .

واغار بغدوين على عسقلان (٥٠٤) وكان صاحبها شمس الخلافة يراسله فاستقرت الحبال بينها على مال يحمله اليه ويرحل عنه ، وانتهى الخبر الى الافضل بمصر فانكر ذلك وجهز عسكرياً كثيفاً الى عسقلان ، فلما قرب منها اظهر شمس الخلافة

الخلاف على الافضل فغالطه الافضل ، وخاف شمس الخلافة من اهل البلد فاستدعى جماعة من الارمن فاثبتهم في عسقلان ، ثم وثب به قوم من كثامة وقتلوه . وسار الى بغداد رجل من اشراف الهاشميين في حلب وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء ، وانزلوا الخطيب في جامع السلطان عن المنبر وكسروه ، وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الفرنج ، ومنعوا الناس من الصلاة ، وعملوا في الجمعة التالية مثل ذلك في جامع الخليفة ، فاوعز السلطان الى الامراء المقدمين بالتأهب للسير الى الجهاد .

ووصل رسول ملك الروم بمراسلات للبعث على قصد الفرنج والاجتماع على طردهم قبل افضال خطبهم ، ويقول انه منعهم من العبور الى بلاد المسلمين وحاربهم واذا ضعفت عزائم قومه عن المقاومة ، اضطر الى مداراتهم واطلاق عبورهم الى البلاد الاسلامية ، وبالغ في الحث على حربهم ، وفيها نقض بغدوين الهدنة المستقرة بينه وبين صاحب دمشق ، فخرج هذا الى اللجاة ونهض الفرنج في اثره الى الصنمين ففرق صاحب دمشق العسكر من عدة جهات وبث في المعابر والمسالك خيلاً يمنعهم من حمل الميرة اليهم حتى الجأهم الى المسالمة ، على ان يكون لبغدوين النصف من ارتضاع جبل عوف والسواد والجبانية مضافاً الى ما في يده من هذه الاعمال التي تليها في ايدي العرب من آل جراح .

لما قرر ملك بغداد انهض العسكر عقيب استغاثة الشاهمين بالخليفة والسلطان تقدم من الامراء لانجادهم على قتال الصليبيين صاحب الموصل ، فافتتح تل مراد وعدة حصون هناك بالسيف والامان . ووصل اليه الامير احمد ديل الكردي في عسكر كثيف ، والامير قطب الدين سقمان من بلاد ارمينية وديار بكر وصاحب همذان فنزلوا على تل باشر وتقبوه فانفذ جوسلين صاحب تل باشر الى الامير احمد ديل بلاطفه وبياديه وبيذل له الكون معه والميل اليه ، وكان اكثر العسكر مع احمد ديل وسأله الرجول عن الحصن فاجابه الى ذلك على كراهية من باقي الامراء ، وعادوا عن تل باشر الى حلب وعاثوا في اعمالها وفعلوا اقبح من فعل الفرنج ، ووصل اليهم في حلب صاحب دمشق ومعه رجال حمص وحماة ورفنية وسائر المعامل الشامية ، فلم ير منهم عزيمة صادقة في جهاد ولا حماية بلاد ، واستجروهم الى المعرة فظهور له من سوء نية المتقدمين فيه

ما اوحشه منهم ، وجعل يحرضهم على قصد طرابلس فلم يفعلوا ونفروا أيديهم سباً ، فلما علم الفرنج برحيل العساكر نزلوا اقامية وفي رأسهم اصحاب القدس وطرابلس وانطاكية ، وقد صاروا بعد التباين والمنافرة والخلف بدأ واحدة على المسلمين ، وكانت خيل هؤلاء مثل الفرنج الا ان راجلهم اكثر وناوشوا الفرنج على غير طائل .

* * *

غارات المسلمين / وملك فرنج انطاكية حصن الانارب بالسيف وقتلوا منه وغارات الصليبيين) التي رجل واسرها الباقين ، ثم ملكوا زردنا ففعلوا كذلك وقصدوا منبج وبنلس فوجدوها خاليتين فعادوا . ووقع الخوف في قلوب اهل الشام من الفرنج ، فبذلت لهم اصحاب البلاد اموالا والحووم ، فصالحهم صاحب حلب على اثنين وثلاثين الف دينار ، واهل صور على سبعة آلاف دينار ، وصاحب شيزر على اربعة آلاف دينار وعلى الكردي صاحب حماة على التي دينار . وذلك لان الفرنج اذبحوا من مهادنة ملوك الشام الا على قطعة يأخذونها الى مدة يسيرة . ولو كانت ملوك الشام اذ ذلك على نبي من الوحدة في الرأي « واذا نصر الرأي بطل الهوى » لما اقطعوا الفرنج القطائع ، ولما هادنوهم خصوصاً وقد خرق الفرنج مرات قانون الهادنات والموادنات وبعض المنكرين يعذرونهم على عملهم الفطيع في تلك العصور لانهم كانوا دون المسلمين في كل امر من امورهم العلمية والحربية والاجتماعية .

وفي هذا العقد (٥٠٥) جيز السلطان محمد عسكرياً فيه صاحب الموصل وغيره من اصحاب الاطراف الى قتال الزنج بالشام فساروا ونزلوا على الرها فلم يملكوها ، ووصلوا الى حلب فخافهم صاحبها ولم يفتح لهم ابوابها ثم ساروا الى المعرة ونفروا . وفيها انجد صاحب دمشق اهل صور ، وكان اغار عليهم بغدوين ، وسار وخيم ببانياس وبث سراياه ورجاله في اعمال الفرنج ، ونهض الى حصن الحبيس في السواد فملكه بالسيف واغار على صيدا واحرق عشرين مركباً من مركب الفرنج ، وبعد ان عمل الفرنج كباشاً كبيرة لتعلق على السور رماها اهل صور بالنفط والزيت مرات ، واقاموا على محاصرة صور اربعة اشهر ونصف ثم قصدوا عكا ونفروا في اعمالهم .

نزل اهل صور (٥٠٦) عن بلدهم لصاحب دمشق لما اعيتهم الخيل في الدفاع

نفسها ، واقام الدعوة والسكوة على ما كانت عليه لصاحب مصر ولم يغير لهم رسماً ، مع ان سائر الشام كانت طاعتها للمباسين ودعوتها لهم ، وذلك حباً بدوام الصلات مع صاحب مصر حتى لا يقطع مدده عن الساحل . وضبط صاحب القدس القافلة الدمشقية بنا كانت سائرة الى مصر بدلالة اناس من العرب البدو ، واشتمل الفرنج على ما فيها من الامتعة والبضائع ، وحصل لبغديوين منها خمسون الف دينار وثلاثمائة اسير ، ولم يبق بلد من بلاد الشام الا واصيب بعض تجارها واهله باموالهم .

وتواترت غارات بغديوين على عمل البنية من اعمال دمشق ، وجمع صاحب الموصل عسكريه من الاتراك والاكراد وقطع الفرات الى الشام ، وكذلك صاحب سنجار وصاحب ديار بكر ، وكان الصليبيون يكتوبون صاحب دمشق على ان يتركوا حصن تبنين وجبل عامل ويعوضوا عن ذلك بحصن الحبيس حبيس جلدك الذي في لسواد ونصف السواد . والسواد نواح قرب البلقاء — ويتركوا التعرض لشيء من اعمال دمشق ، ولا يعرض هو لشيء من اعمال الفرنج ، فلم يجب الى ذلك ، ونهض من دمشق في جيشه للقاء صاحب الموصل والاجتماع به على الجهاد ، فاجتمعا بمرج مليه وانفق رأبها على قصد بغديوين ، وسارا وقد استنصب صاحب دمشق جميع المسكر ومن كان بحمص وحماة ورفنية ونزلا بقدس فمين الجر بالبقاع فوادي التيم ثم نزلا على بانياس ، ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية تبنين فلم يظفروا منها راد ، ووصل اليها بغديوين ، وقد كان لما يش من اجابة صاحب دمشق الى الموادة اصل الغارات والفساد في الشام ، ثم نهض صاحب دمشق ونزل على الأخوانة على ناطلي ببحيرة طبرية ، فنشب الحرب بين المسلمين والفرنج غربي جسر الصنبرة . مقابل عقبة أفيق ، فانصر المسلمون بعد ثلاث كرات وغرق من الفرنج خلق كثير في بحيرة ، وقتل نحو التي رجل من أعيانهم وأبطالهم ، وأقام المسلمون على الجبل وطلع لفرنج اليه وتحصنوا به وهو من غربي طبرية ، واستنفر ملك دمشق العرب الطائفين الكلابيين والخفاجيين فوصلوا بخيقت كثير بالزادات والروايا والابل لحمل الماء ، بصعدت الطلائع الى الجبل من شماله وعلم المسلمون ان الظفر قد لاحت دلالة ، والعدو قد ذلت ، وانارت بعض سرايا المسلمين على اراضي القدس وبافا ونهبت

يُبان ولم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة . ثم نمرق المسلمون وعادوا الى بلادهم . وأرسل ملك القدس الى والي صور (٥٠٧) يريد على المهادنة والموادعة لتخمس اسباب الاذية عن الجانبين فأجابته الى ذلك ، وأمنت السابلة والتجار والسفار ، واستقرت الحال بينها على المهادنة لتعمر الاعمال بعد خرابها فأمنت المسالك وصلحت الاحوال ، بعد ان ذاق الفرنج بأس ملوك الشام والجزيرة على الأتقوانة . وكان صاحب القدس من أعظم ملوك الفرنج بالشام جيشاً ومكانة . وكان من جملة من حضر في هذه الواقعة عند طبرية الامير . ودود بن التوت تكش صاحب الموصل . وفي سنة ٥٠٨ قُتل أب أرسلان بن رضوان صاحب قلعة حلب قتله غلمانة بقلعتها وأقاموا بعده أخاه سلطان شاه بن رضوان ، وكان لما ملك حلب جرى على قاعدة ابيه في امر الاسماعيلية لانه كان قد بنى لم يجلب دار دعوة فطلبوا منه ان يعطيهم القلعة فأجابهم الى ذلك فقبض عليه القضاي ابن اخشاب فعله فأخرجهم بعد ان قتل منهم ثلاثمائة نفس وأسرا مائتين وطيغ برؤوسهم في البلد وكان ذلك في سنة وفاته .

رأس السلطان محمد بن ملكشاه (٥٠٨) الامراء وأصحاب الاطراف بالمسير صحبة آق سنقر البرسي لقتال الفرنج بالشام ، وجرى بين البرسي وايلغازي بن أرتق صاحب ماردين قتال انصر فيه ايلغازي دهرت البرسي ، ثم خاف ايلغازي من السلطان فسار الى صاحب دمشق فانفق معه وكاتب الفرنج واعتضدا بهم . قال ابن الاثير : وكان طغتكين قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود ، فانفقا على الامتناع والاتجاء الى الفرنج والاحتياك بهم فراسلوا صاحب انطاكية وحالفاه ، فحصر عندهما على بحيرة تدمس ستة احمص وجددوا العهد وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق .

وأرسل السلطان محمد ملكشاه (٥٠٩) عسكرياً ضخماً لقتال صاحب دمشق وصاحب ماردين فمهرها الثرات من الرقة وقصدوا حلب فعمست عليهم ثم فتحوا حماة عنوة ونهبوها ثلاثة ايام ثم سلطوا الى قيرخان بن قواجه صاحب حمص واجتمع بافامية طغتكين وايلغازي وملوك الفرنج صاحب انطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم وأقاموا

بإفامية ينتظرون نفرق المسلمين ثم نفرق الفرنج وسار طغتكين الى دمشق وابلغازي الى ماردين .

وفتح المسلمون كفرطاب وقتلوا من بها من الفرنج وساروا الى المعرة ثم الى حلب فكبسهم صاحب انطاكية في الطريق فالتزموا وقتلت الفرنج في المسلمين فهرب من سلم منهم الى بلاده . واستولى الفرنج على رفية فاسترجعها منهم صاحب دمشق وقتل من بها من الفرنج ، وهاديت الافضل امير الجيوش مدير مملكة الآمر الناظمي بغدوين صاحب القدس وكانت قد أخذ قافلة عظيمة من المسلمين بالسبخة على ما مر فرأى الافضل مهادنته لعجزه عنه . وجمع صاحب طرابلس (٥١٠) جموعه ونهض الى البقاع لاجرا به نخف الى صاحب الموصل وصاحب دمشق في بعض عسكرهم ، وسارا الى البقاع والفرنج غارتون في نعيمهم ، فأطلق السيف فيهم قتلاً وأسراً ففقد منهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وعاد صاحب الموصل الى بلده بعد استحكام المودة بينه وبين صاحب دمشق ، والموافقة على الاعتضاد في الجهاد ، متى حدث امر او حزب خطب .

وفي العهد الثاني من القرن السادس هادن (٥١١) المتولي بقية الغارات أعمال حلب الفرنج ووادعهم وسلم اليهم حصن القبة ، وهجم الفرنج على ربض حماة وقتلوا من أعابها ، وخاف أهل حلب من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ابلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالاً ولا ذخيرة لان الخادم لؤلؤء الذي كان مستولياً على صاحبها سلطانشاه بن رضوان كان فرق الجميع . وسار طغتكين (٥١٢) عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير ايوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين ملك القدس حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوماً وبينهم نحو يومين فأثنه رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والحنيانية والصلت والغور فلما يجب الى ذلك واظهر القوة ، فسار طغتكين الى طبرية فنهبا وما حولها وسار منها نحو عسقلان وسلم بنو اخي القاضي

شرف الملك بن الصليبة حصن بلاطُوس لروجار صاحب انطاكية فأقطعهم في اعمال اللاذقية عوضاً منه وسكنوا تحت يده .

وبرز (٥١٣) صاحب انطاكية فيمن حشده من طوائف الفرنج ورجالة الارمن في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل سوى الاتباع الى سرمد وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب وقيل تل عفرين ، فطار اليهم المسلمون بقيادة صاحبي حلب والموصل في عساكر التركان والاكراد والعرب في عشرين الفا ، فقتلوا الفرنج بحيث لم يفلت منهم غير من ينهب خبرهم ، وقتل ملكهم روجار وبقيت انطاكية شاغرة من حمايتها ، ثم فتح المسلمون الانارب وزردنا .

وعاد ابلغازي الى حلب وقرر أمرها وأصلح حلما بعد ان أخربها الفرنج ونازلوها ، وكان في جملة الاسرى نيف وسبعون فارساً من مقدميهم حملوا الى حلب فيبدلوا في نفوسهم ثلاثمائة الف دينار فلم يقبل منهم . قال ابن الاثير في وقعة الفرنج في تل عفرين : وكانوا يظنون ان احداً لا يسلك اليهم لضيق الطريق فأخذوا الى المطاولة ، وكانت عادة لهم اذا رأوا قوة من المسلمين .

وسار جوسلين صاحب تل باشر ليكنيس بني ربيعة ، وأميرهم مرت بن ربيعة ، فوقع بينهم قتال انتصر فيه امير بني ربيعة ، وأمر من الفرنج عدة كثيرة . وجمع صاحب ماردين التركان وغيرهم والتي مع الفرنج عند دانيث البقل من بلد سرمد وجرى بينهم قتال شديد انتصر فيه صاحب ماردين وانهمز الفرنج . ووصل كندهري ملك الفرنج في المراكب ، وملك اكثر المعافل ، ووقعت الهدنة بين صاحب حلب وبين الفرنج ونقررت المسالمة ، وقيل ان جوسلين أغار على العرب والتركانيين النازلين بصفين قرب قرية جعبر على الفرات وغنم منهم وفي عوده خرب حصن بزاعة .

وأغار كندهري على أذرعات وأطراف دمشق وكان صاحبها بالثنية فبعث بولده بورني مع الجيش واقام هو موضعه رده آله فالتقوا فظهر الفرنج على بورني ، فعاد الى ابيه ودخل دمشق ، ومنفى طفتكين الى حلب مستصرخا بنجم الدين ابلغازي وكان اول مملكها فأقام عنده وشرع بجمع المساكر ، واعتصم الفرنج غيبته فقصدوا دمشق ، ووصلوا الى حوران فالتجأ اهلها الى الحماة ، فتأثرهم الفرنج الى وعرة الحماة

فقتلوا واسروا ، ولما بلغ اهل انطاكية هذا جمعوا وحشدوا وقصدوا حلب في خمسة آلاف فارس وثمانية آلاف راجل فخرج ايلغازي وعمل كميناً ، فلما التقى الفريقان ظهر الكمين وضربوا البوقات والطبول فظنوه صاحب دمشق قادم من ورائهم ، وكان نجم الدين ايلغازي اشاع ان طفتكين واصل من دمشق وما كان الا جريدة عنده فانهمز الفرنج وعمل فيهم السيف قتلاً واسراً .

وفي سنة ٥١٤ نهض الامير معن من البقاع بعشيرته ورهطه ونزل سيف جبل الشوف ، وكان قفراً خالياً من السكان ، وجعل له مودة مع آل نئوخ امراء عرب جبل لبنان ، وكان اميرهم اذ ذلك الامير بجتر الذنوشي فبنى له وبخاصته دوراً ليستعيض بها الامير معن عن المضارب واخذ يقصد بلاده اهل كل ديار استولت عليها الفرنج وبقي اميراً فيه نحو ثلاثين سنة وهو اصل الامراء آل معن واليه ينسبون . وصار الجبل ينسب اليهم فيقال جبل بيت معن كما يقال جبل بني عوف وجبل بني هلال .

وكان بين نور الدين ملك بن ارتق (٥١٥) وبين جوسلين على الرها حرب انحصر فيها ملك وقتل من الفرنج ، وأسر جوسلين وأمر معه ابن خالته وامر جماعة من فرسانه المشهورين عند سروج وبذل جوسلين في نفسه اموالاً كثيرة فلم يقبلها ملك وسجنه واصحابه في قلعة خرزبرت وفي سنة ٥١٥ عصى سليمان بن ايلغازي بن ارتق على ابيه مجلب ، حسن له ذلك انسان من حماة من بني قرناص ، وكان قدمه ايلغازي على اهل حلب ، وبلغ ايلغازي ذلك فسار مجداً من ماردين وهجم حلب وقطع يديه ابن قرناص ورجليه وسمل عينيه ، وهرب ابنه الى طفتكين بدمشق واستناب ابن اخيه عبد الجبار وخرج صاحب حلب (٥١٦) في عسكره وقطع الفرات وصادف الفرنج فاتفق ما ظفر به في اعمالهم . وتوفي ايلغازي بن ارتق وكان مجلب ابن اخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار فبقي فيها الى ان اخذها ابن عمه ، فسلم بدر الدولة قلعة الانارب الى الفرنج ، فعظم ذلك على ملك بن بهرام وعلم مجزه عن حفظ بلاده فقوي طمعه في ملكها ، فسار اليها ونازلها وضايقها ومنع الميرة عنها واحرق زروعها ، فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان سنة ٥١٧ .

ووصل الاسطول المصري الى صور وحمل والي صور سيف الدين مسعود الى

مصر وكانت عاقبة خروجه منها خروجها بالامان من ايدي المسلمين الى الفرنج بعد سنين . ونهض بغدوين (٥١٧) في عسكره الى ناحية حلب وصاحبها منازل حصن كركر فالتقيا بالقرب من منظره فكسره وامره مع جماعة من وجوه عسكره واعنقله في جب قلعة خرتبرت مع جوسلين ومقدمي الفرنج الذين كانت أسرهم قبل عامين واستنجد صاحبها دمشق وحلب بالخلينة الأمر في مصر فجهز اسطولا . ولفاً من اربعين شينياً فيها عشرون اميراً وهدايا فصار العسكر الى يافا وأقام عليها ستة ايام ورحل عنها ، وقد تخاذل عنه ملوك الشرق ورجع الى مصر ، فوافاه الفرنج على يبنى ، فانكسر العسكر المصري من غير مصاف . وملك الامير بلك حصن البسارة وأمر أسقفها . وهرب بغدوين وجوسلين وغيرهما من مقدمي الفرنج من أسر الامير بلك في خرتبرت وملكوا القلعة فاستمادها الامير من الفرنج الواثبين عليها . وهزم جيش الفرنج جيش المسلمين ، وفيهم جيش دمشق على قلعة عزاز ونفرق المسلمون بعد قتل من قتل وأسروا من أسر .

وملك الفرنج مدينة صور (٥١٨) بالامان بعد حصار طويل وكانت للخلفاء العلويين اصحاب مصر بعد ان ثبتوا نحو خمس وعشرين سنة على قتال الفرنج مع قلعة المنجد لم من مصر قال ابن تغري بردي : ان سبب سقوط صور خروج سيف الدين مسعود منها ، وكان قد حمل الى مصر واقام الوالي الذي بها في البلد ، وهذه زيادة في النكاية للمسلمين من صاحب مصر فان سيف الدين المذكور كان قائماً بمداخل المسلمين ، وفعل ما فعل على الفرنج من قتالهم وحفظ سور المدينة هذه المدة الطويلة ، فاخذوه منها غضباً دخلوا البلد مع من لا قبل له بمحاربة الفرنج ، فكان حال المصر بين في اول الامر انهم تقاعدوا عن نصرة المسلمين والآن بأخذهم سيف الدين من صور صاروا نجدة للفرنج . وكانت صور آخر ما ملكه الفرنج من بلاد الساحل .

وفي سنة ٥١٨ ملك آق سنقر البرسقي حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور ، طمعوا وقويت نفوسهم ، وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام ، واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم ديس بن صدقة صاحب الحلة فأطعمهم طمعاً ثانياً لا سيما في حلب وقال لهم : ان اهلها شيعة وهم يميلون اليّ لاجل المذهب ، فنتى رأوني

سلموا البلد اليّ ، وبذل لهم على مساعدته بذولاً كثيرة ، وقال : انني اكون ههنا نائباً
عكم ومطيعاً لكم ، فساروا معه اليها وحصروها وقتلوا قتالاً شديداً ، ووطنوا نفوسهم
على المقام الطويل .

واخذ الفرنج سيفه ببناء بيوت لهم ظاهر حلب فعظم الامر على اهلها ، ولم يجدهم
صاحبها تمرناش بن ايلغازي بن أرتق لا يشاره الدعة والرفاهة ، فكاتب اهل حلب
آق سنقر البرسقي صاحب الموصل فسار اليها ، فاجفل الفرنج منهزمين ، ثم صلحت احوال
حلب وعمرت اعمالها بعد ان حاصرت مدة ولقي اهلها شدة ، واكوا الميثة ولم يكن
عندهم امير وانما تولوا حفظ البلاد بانفسهم وابلوا بلاءاً حسناً حسنت به العاقبة . واخذ
البرسقي (٥١٩) كفرطاب من الفرنج وسار الى عزاز ، فاجتمعت الفرنج لقتاله فاقتتلوا ،
فانهزم البرسقي وقتل من المسلمين خلق كثير وانهزموا راجعين ادراجهم . وقصد
صاحب بيت المقدس حوران للعيث فيها فخرج اليه صاحب دمشق في التركات
واحداث دمشق والغوطة والمرج واهدات الباطنية فانهزم المسلمون وتبع الفرنج المنهزمين
حتى وصلوا الى عقبة سمحورا وقربوا من البلد من شرحوب مع بعد المدى . وقصدت
الفرنج رغبة واستعادوها من المسلمين . واجتمع المسلمون والفرنج في مرج الصفر
عند قرية رفبية من عمل دمشق واشتد القتال فانهزم صاحب دمشق والحيلة وتبعهم
الفرنج ونهب بعض الجند مخيم الفرنج وانهزم ورجع الفرنج من اثر المنهزمين ورأوا
رجالهم قتلى واموالهم منهوبة وظلوا منهزمين لا يلوي الاخ على اخيه ، وكان هذا من
الغريب ان طائفتين ننهزما كل واحدة منهما من صاحبتها .

* * *

مزايا حكم } كان الفرنج منذ وطئوا تراب الشام اوائل العقد الاخير من
طفتكين } القرن الخامس الى اواخر العقد الثاني من القرن السادس يتساندون
وقل ان يقع شغب بينهم ، وربما نقاتلوا ثم اجتمعوا على سلام ، وتواكلوا وتآسوا
لان موقفهم يدعوهم الى التضامن ولئن ألفوا اربع امارات متضامنة فهي امارة واحدة
في الواقع ، والتجديدات تأتيهم بجرأ على مراكب اهل بيضة وجنوة مرة ومرتين في السنة ،
لتعذر قطع البحار في تلك الاعصار الا في فصل الصيف غالباً . فرجال الحملة الصليبية

الاولى هي التي كانت افتتحت البلاد ومادتها القليلة من الزوار والتجار من البحر . وملوك الشام يأتيهم المدد من مصر والعراق والجزيرة وديار بكر وديار مصر . ولو كتب لبلاد الشمال ان يكون في عاصمتها حلب رجل عاقل مثلاً كتب ادمشق ان يكون فيها مثل ظهير الدين الانابك طفتكين ، لتيسر انقاذ البلاد والاجهاز على اعدائها ، ولما استطاع الفرنج ان يجيؤا اتاوة من حلب وحماة وحمص ولنجت كما نجحت دمشق من ارضاء الفرنج بالمال على عهد طفتكين .

حكم طفتكين دمشق منذ سنة ٤٩٧ ، وحكمه كان في الحقيقة قبل عشر سنين من تاريخ حكومته بحسب التقاليد المعروفة ، حكمها بصورة شرعية بعد وفاة الملك دقاق بن نئش بن آاب أرسلان سنة ٤٩٧ وكان خطب اولاً لابن دقاق وكان دقاق خلف طفلاً له سنة واحدة ، فقطع طفتكين خطبته وخطب لبكتاش بن نئش عم هذا الطفل ، ثم قطع خطبة بكتاش وأعاد خطبة الطفل وهو آخر من خطب له بدمشق من بني سلجوق ، واستوحش بكتاش من طفتكين خوفاً منه والدته منه وقالت : انه زوج والده دقاق وهي لا تتركه حتى يقتلك ويسقيم الملك لولدها ، فغساف وحسن له من كان يحسد طفتكين مفارقة دمشق وقصد بلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج ، وكان بكتاش في الثانية عشرة من عمره .ومعه ايتكين الحلبي صاحب بصرى .

استمر طفتكين في ملك دمشق خمساً وعشرين سنة حتى مضى سبيله سنة ٥٢٢ وكان على غاية العدل والبعد عن الظلم ، أعاد الى الرعية كثيراً من املاكهم التي اغتصبها منهم ولاة الجور ، وجرت عليها احكام المقاسمة ، وارجعها الى خراجها القديم ، واحيا الاراضي المعطلة ، وباع ما كان منها شاعراً للنامس ليهمروه ، وصرف ما حصل من ثمنها في الاجناد المرتبين للجهاد فعمرت عدة ضياع وأجريت عيون ، وحسنت بابالته طفتكين دمشق واعمالها ، وعمرت البلاد بجميل سياسته وحسن تدبيره ، وكثرة احسانه ، وانبسطت الرعية في عمارة الاملاك في باطن دمشق وظاهرها ، ولذلك اشتد حزن اهل دمشق عليه ، ولم تبق منها محلة ولا سوق الا والمآتم قائمة فيه عليه . قال ابن عساكر : كان لطفكين شهماً مهبباً مؤثراً لعارة ولايته ، شديداً

على اهل العيث والفساد . وقال آخر في وصفه : انه لا يشبه غيره من ملوك الطوائف ، وكان على شيء من التدين حتى انه لما عاون اهل صور على دفع الصليبيين سنة ٥٠٥ ولم يفوا له بما كانوا بذلوه له من تسليم البلد قال : انما فعلت ما فعلت لله تعالى وللمسلمين لا لرغبة في مال ولا مملكة .

وكان طغتكين كان مبشراً بظهور آل زنكي وآل ايوب في هذه الديار يردون حملة الغرب عن الشرق ، ويكفونها مؤونة التذبذب والنفوق ، ويجمعون كتبها على الحق والمطالبة بالحق فتصبح مملكة برأسها ، تأتمر الاقطار المجاورة بامرها ، وتسير معها الى الغاية التي هي نشدها من انقاذ البلاد . وكان في حذقه سياسته كما قيل يستخدم الفضائل والرزائل في الناس كما تستخدم الطبيعة فضول الاغذية فجعلها في اشياء لننفع بها . ولقد ازقف طغتكين سير الصليبيين عن التوغل في احشاء البلاد ، وقصر حكمهم على الساحل وعلى انطاكية والقدس وطبرية ، ولولا قيامه ذاك القيام المحمود لفتح الصليبيون دمشق وحلب ، وكثيراً ما كانوا يغزون برضها وضاحتها ، واكتفى المسلمون والفرنج باضعاف قوى بعضهم بعضاً تارة ، وعقد المهادنات طوراً ، ولم تسف دمشق الى دفع الغرامات للصليبيين على عهد طغتكين معتبرة نفسها الام والعاصمة اكثر من غيرها من حواضر الشام ، ولو أخذت دمشق لاستصفي الشام كله ولا تقطع ما بين مصر وهذا القطر من الاتصال ، وصعب بعد ذلك اخراج الفرنج منه ، فبقاء الرابطة مع مصر من البر ومن البحر الى ان سقطت صور حصر الفرنج في بقعة معينة من بلاد الشام لا تنعدي الطريق الى بيت المقدس عن طريق الساحل .

ولو كان جميع امراء الشام على مثل سيرة طغتكين خلفت وطأة الفرنج كثيراً في هذه الثلاثين سنة ، وماذا يرجي من خير الامراء اذا كان صاحب بعلبك يطلمهم على عورات المسلمين ، وصاحب اقامية يقطع السابلة وابنه يحث الفرنج على قصد بلده ابيه ، وقراجه صاحب حمص يشارك قطاع الطريق وكذلك ابنه خير خان ، وبامثال هذه الطبقة لا تخلص الرعية ولا ينفذ سلطان البلاد الى ارواح اهلها ويتعذر على امثالهم سوق القوم الى طريق الخير وهم لا يزالون محتلفين لانهم يرون من عملهم ان يستعبدوا من صاروا اليهم وينموا ولو باهلا كهم لان يحافظوا على ملك

و يدافعوا عن ذمار . ولذلك كان ظهور الدين بسياسة الحسنة مع ملوك الاطراف المرجع في الشام ، اطلق الخليفة العباسي يده فيه منذ سنة ٥٠٩ حرباً وخراجاً ، وجعل ارتفاعه على اثاره واختياره ، لما بان من حسن بلائه وجميل سيرته في رعيته . على حين بدلت حلب عدة مارك خلال دور ظهور الدين وكان بعضهم يتنازعون و يتفائلون و يتقانون .

كانت اخبار المسلمين تصل الى بلاد الفرنج بسرعة ، والغالب ان هؤلاء برعوا في النقاط الاخبار اكثر من الذين نزلوا عليهم ، فكان الفرنج عندما يبلغهم حادث في المسلمين يغيرون خططهم الحربية و يطبع كانوا يستمدون لذلك أناساً من ابناء مملكتهم من الارمن وغيرهم ، وربما كان للمسلمين ايضاً شأن في ذلك طمعاً في مال او انتقاماً من سلطان ، ولعل الصليبيين وقفوا الى امسك بعض ما كان ملوك الطوائف يطيرونه من حمام الزاجل و يحلون البطائق الصادرة عن بعض الامراء والقواد فنكشف لهم اسرار خصومهم . فقد ذكر المؤرخون ان صاحب انطاكية الصليبي ارسل الى عز الدين مسعود صاحب حلب يخبره بقتل والده قسيم الدولة آق سنقر البرسقي صاحب الموصل بيد الباطنية قبل ان يصل اليه الخبر ، وكان قد سمعه الفرنج قبل لشدة عنايتهم بمعرفة الاحوال الاسلامية .

• * * *

مؤاخذة الماطيين) ولقد آخذ المؤرخون الدولة الفاطمية على تهاونها في
وتوقيف سيرالفرنج | الغزو والجهاد حتى روى ابن تغري بردي : ان الأمر
كان يتناهى في العظمة و يتقاعد عن الجهاد ، حتى استولت الفرنج على غالب السواحل
وحصونها في ايامه ، لئن كان وقع لايه المستعلي ايضاً فأخذ القدس في ايامه ، فانه
اهتم لقتال الفرنج وارسل بديراً الجمالي امير الجيوش بالعساكر فوصلوا بعد فوات
المصلحة ، اما الأمر فانه لم ينهض لقتال الفرنج البتة ، وان كان ارسل مع الاسطول
عسكراً فهو كلاً شي . قال : ولم ينهض احد من المصريين لقتال الفرنج لما دخلوا
الشام فعملت الفرنج ضعف من بمصر ، وظهر عدم اكتراث اهل مصر بالفرنج من كل
وجه . الاول من تقاعدهم عن المسير في هذه المدة الطويلة ، والثاني لضعف العسكر

الذي ارسلوه مع اسطول مصر ، ولو كان لعسكر الاسطول قوة لدفع الفرنج عن البحر على حسب الحال ، والثالث عدم خروج الوزيرا لافضل بن امير الجيوش بالساكر المصرية كما كان فعل والده بدر الجمالي في اوائل الامر ، هذا مع قوتهم من العساكر والاموال والاسلحة .

ويغلب على الظن ان الفاطميين دهشوا لغزو الفرنج الشام ولم يريدوا ان يثيروا حفاظهم لئلا يحصروا وكدهم بفتح دار ملكهم ، وفتح مصر اسهل من الشام ، لانها سهول ليس فيها حصون طبيعية ، وفضل للبيت العلوي ان تبقى له البلاد المصرية ولو ذهب الشام بما فيه ، ولذلك كان الفاطميون ينجدون الشام في الاحابين لاول عهد دخول الفرنج اليه انجاداً ضعيفاً ، واكثر نجذاتهم وحملاتهم لم تثمر اثمرة المطلوبة بل خففت جزءاً صغيراً من الشر الى مدة معينة ، وقوى ذلك قلوب بعض اهل البلاد المحصورة ، وثقت خناقم ، واوهمهم ان وراءهم قوة الفاطميين عند مسيس الحاجة يستصرخون بها فتجدهم . والحقيقة ان الفاطميين على قوتهم من العمد والمد لم يستطيعوا ان يذبوا حقيقة عن عسقلان ولا عن صور وصيدا وبيروت وطرابلس دع البلاد الاخرى ، واذا عرفنا ان الدولة الفاطمية كانت في اواخر ايام ضعفها هان علينا ان لا نطلب منها ان تعمل عمل الشباب .

وقد انجذت الدول المجاورة الشام نجذات مهمة على بعد المدى وقلة المواصلات والصلات . وابلى جند التركان والاكرد مع عرب الشام والموصل البلاء الحسن في هذا السبيل ، ولكن كانت القوى القادمة على البلاد عظيمة جداً لا قبل لهم بدفعها ، فكان موقف المسلمين على الاغلب . وقف المدافع لا المهاجم ، وكان لامراء التركان في هذا الدور غيرة شديدة في الجهاد ولم يكن داخلهم الفساد الذي يدخل على البيوت والدول ، ولو كانت الآراء متجهة الى مقصد واحد لاستطاع المسلمون ان يدفعوا الفرنج عن هذا القطر على كثرة جيوشهم الجرارة لاول نزولهم قبل ان يتأصلوا فيه ، ويطلعوا على مبلغ قوات امرائه ، ويتعلموا بحكم الجسورة ما كان ينقصهم بالطبع من اصول الحرب وبعض الصنائع واعمال المدينة التي وجدوها في الشام يومئذ على حصة موفورة ، فاقبستوها ونقلوها بعد الى امهم غنيمة نافعة من بلاد الشرق .

وقد حرم الصليبيون الفرنج ان يستولوا على قرى حلب والبقاع وهوران والسواد والبلقاء في الاكثر لينتقوا بغلاتها لان معظم القرى في فلسطين كانت ساحات حرب لا تقوم باطعام جيوشهم . وكان الفرسان في حصون الفرنج يملكون القرى و يجبون الاموال من اهلها الاصليين ، ويسلبون قوافل المسلمين ، قال في التاريخ العام : كانت الحرب في الشرق كما في الغرب تجارة رابحة ، يقوم فرسان الفرنج و يغزون بلاد المسلمين ، وينهبون القرى و يخطفون السكان و يأخذونهم اسرى و يضطرونهم الى ان يفتدوا انفسهم .

وعلى الجملة فان امراء المسلمين في هذا الدور لم يتكاثروا في الحقيقة عن تخفيف بلاء المهاجمين عن الشام ، وقاتلوا فانهمزموا وهزموا ، وطاولوا وراوغوا ، واهدوا وعاهدوا ، وقاربوا وساددوا . ولكن الشام والجزيرة ، ومعها العراق ومصر على قلة ، لا تستطيعان دفع جيش مؤلف من اكثر امم اوربا ، ومتى كانت قوة قطر صغير ، توازي قوى قارة كبيرة ، ومن اين لامراء صغار لا تربطهم رابطة محكمة ، ان يقفوا في وجوه ملوك من ورائهم قوة البابلية ، وناهيك بها من قوة سيف ذلك العصر .

انتهى الجزء الاول من خطط الشام
و يليه الجزء الثاني واوله الدولة النورية



فهرس الجزء الاول

« من خطط الشام »

صفحة	صفحة
٥٧ (سكان الشام) — الممو واللودانو	٥ (صدر الخطط)
٥٨ الآراميون والعناصر الاخرى	١١ (مصادر الخطط) — المخطوطات
٥٩ العناصر القديمة والعرب	العربية
٦٠ دول العرب الاقدمين	٢١ المطبوعات العربية
٦١ سليج وغسان والفضجاءم	٣٧ الكتب التركية
٦١ الثنوخيون	٣٨ المطبوعات الافرنسية
٦٢ المهاجرات والايطوريون	٤٧ (تقويم الشام) — تعريف الشام
٦٣ سليج وعاملة وقضاة	للاقدمين
٦٤ نلم ، جذام ، عاملة ، ذبيات ، كلب	٤٨ معنى الشام وجمعه
٦٤ جبينه ، القين ، ببراء ، ثنوخ	٤٩ حد الشام قديماً
٦٥ إياد وطيء وكنسدة وحمير وعذرة	٤٩ حقيقة حد الشام
وزبهد وحمدان ويحصب وقيس	٥٠ حدوده مع مصر
٦٦ الفرس والزط وعهد اهل الزمة	٥١ مساحة الشام وصورته
٦٧ الاخلاط والسامرة وجذام وعذرة	٥٢ مدخل الفاتحين الى الشام
ونهد وجرم والازد	٥٣ مدن الشام
٦٧ قيس ويمن واحصاء السكان	٥٣ طهعة الشام وقراه
٩٨ المردة والجراجسة والارمن والروم	٥٤ خيرات الشام
والموارنة	٥٤ هواه الشام وماؤه
	٥٥ خصائص الشام

صفحة	صفحة
اول شعب غزا الشام والحثيون والكنعانيون	٦٩ التركمان والأتراك والاكرد والشركس وغيرهم
٨٨ تعدد الحكام والحكومات	٧٠ المهاجرون المحدثون: اليهود والارمن
٨٨ الفراعنة والآشوريون	٧١ عوامل النمو
٩٠ اليهود والكنعانيون وخراب وبخت نصر	٧١ العرب في الشام والاختلاط
٩٠ الفينيقيون واستقلالهم التجاري	٧٣ (لغات الشام) — اللغة الآرامية والسريانية والعبرانية والفينيقية والعربية
٩١ حروب الفرس والاسكندر	٧٤ البابلية والكنعانية والكلدانية
٩٢ دولة السلاسة وملك الارمن	٧٤ الحثية والآرية واليونانية واللاتينية
٩٣ دولة الرومان	٧٥ ننازع السريانية مع العربية
٩٤ مملكة يهودا وانقراض اليهود	٧٦ رأي رنان
٩٥ الايطوريون والنبطيون	٧٦ آراء أخرى
٩٧ دولة تدمر	٧٨ انتشار العربية
٩٨ زينب او زنوبها او الزباء	٧٨ اللغة العربية كاملة وفصاحة الشام
١٠٠ آخر عهد الرومانيين وسياستهم	٧٩ كيف انتشرت العربية
١٠٢ بنو غسان والعرب في الشام	٨٠ اللغة الصفوية
١٠٥ (تاريخ الشام في الاسلام من سنة ٥ الى سنة ١٨ للهجرة) — حالة الشام قبيل الفتح	٨١ الصليبيون ولغاتهم والعربية ولبنان
١٠٦ صلح دومة الجندل وغزوة ذات السلاسل ومؤتة والجرباء وأذرح ومقنا وجيش أسامة	٨١ اللغة التركية
١١١ جيوش العرب وجيوش الروم ، نصيحة ابي بكر الصديق لقواده	٨٣ السواد الاعظم والعربية ٨٣ رسوخ اللغة ٨٤ الشاميون أمة واحدة لسانهم العربية فقط
	٨٧ (تاريخ الشام قبل الاسلام) —

صفحة	صفحة
١٣٩ صلح الحسن مع معاوية وبعض ماغزني الى هذا .	١١٣ مبدأ الحرب بين الروم والعرب
١٤٠ خلافة يزيد ورأي ابن خلدون	١١٤ اهم الوقائع وقعة اليرموك
١٤٢ غزوات معاوية .	١١٦ الفتح في خلافة عمر بن الخطاب
١٤٣ أحداث معاوية ووصيته اهله .	فحل واجنادين وبيسان
١٤٤ خلافة يزيد ومقتل الحسين ووقعة الحرة	١١٧ الأردن وفلسطين وجبل اللسكام
١٤٥ عهد معاوية الصغير	١١٩ فتح دمشق والاحكام العسكرية
١٤٦ قيام ابن الزبير ومبايعة مروان بن الحكم بالخلافة ووقعة مرج راهط	١٢١ فتح حمص وشيزر والمعة وبعليك
١٤٨ خلافة عبد الملك بن مروان	وصيدا وبيروت وجبيل وعرفة
١٤٩ الجراجمة والمردة في جبل لبنان عهد الوليد	١٢١ قنسرين وحلب وانطاكية وجميع بلاد الشمال .
١٥٣ عهد الوليد	١٢٢ وقعة مرج الروم وقيسارية
١٥٤ سليمان بن عبد الملك	١٢٣ سر نجاح المسلمين وقتال نسائم يوم اليرموك .
١٥٥ عهد عمر بن عبد العزيز وسيرته	١٢٨ وداع صاحب الروم وآخر سهم في كنانتهم .
١٥٦ يزيد بن عبد الملك وهشام والوليد ابن يزيد .	١٢٩ منزلة ابي عبيدة
١٥٨ يزيد بن الوليد	١٣٣ (الدولة الأموية من سنة ١٨ الى ١٣٢) - امارة معاوية بن ابي سفيان واعماله
١٥٩ مروان بن محمد	١٣٥ مقتل عثمان بن عفان .
١٦٠ إيدبار الأمويين	١٣٦ أمال علي بن ابي طالب في الخلافة
١٦١ دولة بني مروان وحسناتها	١٣٧ اتفاق معاوية وعمرو بن العاص على المطالبة بدم عثمان
١٦٥ اسباب سقوط بني أمية	١٣٨ حرب صفين وشؤمها .
١٦٩ (دور الدولة العباسية الي ظهور	

صفحة	صفحة
٢٠٤ عهد ابي الجيش خمارويه وجيشه	الدولة الطولونية من سنة ١٣٢ —
٢٠٦ عهد جيش بن خمارويه وظهور القرامطة وانقراض الطولونية	١٢٢ فتح العباسيين عاصمة الأمويين
٢٠٩ (دور الدولة العباسية الاوسط «الإخشيديية والحمدانية والفاطمية» من سنة ٢٩٢—٣٦٤) — القرامطة	١٢٤ فتح فلسطين واهلاك رجال الامويين
والبوادي والخوراج	١٢٦ انتفاض الجنوب والشمال والاعتقاد بالسفيايى
٢١٢ الدولة الاخشيدية	١٢٨ انتفاض العباسيين على انفسهم
٢١٦ الدولة الحمدانية	١٢٩ نزع اللبنايين والفلسطينيين طاعة العباسيين
٢١٨ مغازي سيف الدولة	١٨١ قيس ويمن والفتن الداخلية والخارجية
٢٢٢ محاسن سيف الدولة ومقايمه	١٨٣ المحصيون وفتنة السفيايى
٢٢٣ ابتداء الدولة الفاطمية	١٨٦ فتنة نصر بن شبت
٢٢٧ (دور الفاطميين من سنة ٣٦٤ —	١٨٨ المأمون وحكمه على قيس ويمن
٣٩٤) — الدول الثلاث وغزوات الروم	١٨٩ سبب تباغض النزارية والبيانية وحكمة حكيم
٢٣١ تجاذب السلطة بين العباسيين والفاطميين	١٩١ بين قيس ويمن وفتنة المبرقع
٢٣٣ سوء حالة دمشق واضطراب الاحكام المصرية	١٩٣ قتن اهلية وعصبيات حمصية ولبنانية ودمشقية وفلسطينية ومعرية
٢٣٤ خوارج على دولة الجنوب ودولة الشمال	١٩٥ الحكم على الدور الاول للعباسيين
٢٣٧ حملة الفاطميين على الحمدانيين واستنجاد هؤلاء بصاحب الروم	١٩٩ (ظهور الدولة الطولونية وانقراضها من سنة ٢٥٤ — ٢٩٢) — بداية الطولونيين
٢٣٩ الخوارج على الفاطميين واستنجاد امراء المسلمين بالروم	٢٠٠ احمد بن طولون وسبب الطويل واحداث أخرى

صفحة	صفحة
٢٤٥ (نعمة دور الفاطميين من سنة ٣٩٤ -)	٥٠٠ - الحملة الصليبية الاولى
٤٦٣ -) خوارج ومذاهب جديدة	٢٧٩ الصليبيون في شمالي الشام
وقن	٢٨١ فتح الصليبيين القدس والساحل
٢٤٨ تقسيم البلاد بين القبائل ودولة بني	٢٨٥ تحاذل امراء المسلمين وبلاء طفتكين
مرداس	وابن عمار
٢٥٥ آخرة الفاطميين	٢٨٨ حرب طفتكين للصليبيين
٢٦١ (دور السلجوقيين من سنة ٤٦٣ -)	٢٩١ (حروب الصليبيين « ودولة طفتكين
٤٩٠ -) اصل السلجوقيين والتركان	وبقايا السلجوقيين » من سنة ٥٠٠ -
والفتح السلجوقي	٥٢٢ -) هدنة طفتكين للصليبيين
٢٦٣ فتح دمشق	وشدته عليهم
٢٦٦ اول جمهورية عربية ومقل آخر	٢٩٤ اجتماع كلمة امراء المسلمين وانجناد
امير عربي	بغداد للشام
٢٦٩ ننازع السلجوقيين والفاطميين وانقسام	٢٩٧ غارات المسلمين وغارات الصليبيين
السلجوقيين	٣٠٠ بقية الغارات
٢٧١ الدولة الاتابكية وطفتكين وبنو	٣:٤ مزايا حكم طفتكين
أرئق	٣٠٧ مؤاخذه الفاطميين وتوقيف سير
٢٧٥ (الحروب الصليبية من سنة ٤٩٠ -)	الفرنج



